ذكرى

دسوقي أباظة

الناشر
أحمد عبد المجيد الغزالي

حفلة أدباء العروبة

فقيد الوطن

للدكتور محمد صلاح الدين

ما من عجب فى أن تكون جامعة أدباء العروبة أول هيئة فى مصر تحتفل بتأبين فقيد الوطن الكريم المغفور له الأستاذ دسوقى أباظه . فالأدباء أهل مروءة ووفاء ، ووجدان فياض وشعور وضاء . وقد كان فقيدنا العزيز أباً للأدباء وغريزى أن يبكى الأبناء الآباء ، ويصوغوا لهم من حبات قلوبهم وقطرات دمائهم أخلص الرثاء .

لقد أتى على رياض الأدب فى مصر ،وعلى روضة الشعر بوجه خاص حين من الدهر اجتاحتها فيه الرياح الهوجاء ، والعواصف النكباء ، حتى خيف على الشجر والثمر .

اختار الله إلى جواره طائفة من كبار الأدباء والشعراء كان الأدب يعيش فى أكنافهم مرفوع الرأس عالى اللواء . ويكفى أن أذكر بعض الأسماء : شوقى . حافظ . مطران . عبد المطلب . الجارم . على محمود طه . المنفلوطى . المازنى مصطفى صادق الرافعى . كل أولئك وكثير غيرهم ثكلتهم دولة الأدب وكانت بهم تفتخر وتعتز . واجتذبت السياسة إليها طائفة أخرى من فحول الأدباء . ولا حاجة بى هنا إلى ذكر الأسماء . أما الأدباء الناشئون والشعراء الناهضون ولهم ما لهم من موهبة وفيهم ما فيهم من أفذاذ فقد عانوا أشد البلاء من طابع هذا العصر الذى نعيش فيه عصر العقد النفسية والنزوات العقلية ، عصر الصحف

والإذاعة والصور المتحركة الناطقة ؛ عصر الانحلال الخلقى فيما بين الحربين العالميتين وما بعدهما . . .

فى هذا الجو الخانق المضطرب . و بين هـذه العوامل المصطخبة والحوائل المعترضة . فـكر جماعة من كرام أهل الأدب والمواهب الشعرية فى حاضر الأدب العربى ومستقبله . أيدعونه للمقادير : لا يدرون كيف المسير و إلى أين المصير ؟ ، أم يقفون إلى جانبه فى نـكباته ومصاعبه ، ليأخذوا بيده و يشقوا له الطريق فى دياجير اليأس والقلق ، إلى أضواء المجد والرجاء ؟ .

وتغلبت العزائم الصادقة فتألقت جامعة أدباء العروبة لخدمة الأدب العربى .

ثم تلفتت الجامعة تلتمس لها رأساً كريماً تنتفع بشخصيته ، وتعتز بكرامته وتسعى فى ظلال حكمته فلم يطل بهـا البحث والتفـكير واتجهت من فورها إلى الفقيد الـكبير .

جذب الفـكر إليه أن أكثر مزايا الأعضاء وخير مطامحهم تتركز فيـه فهو شاعر ، وأديب ، وخطيب ، وهو فتى القلب و إن أدركه المشيب . وهو بسيط النفس جم التواضع ، و إن رفل من العزة والسؤدد فى الثوب القشيب . وهو الباكى مع الباكين على أمجاد الأدب العربى المـاضية ، الواقف مع الواقفين على أطـلاله البالية الخالية ، المتطلع مع المتطلعين إلى فجر اليوم الذى يعود فيه إلى حلته الزاهية ورونقه الحبيب . وكان هناك حائل واحـد هو أن تواضـع الرجل يأبى عليه أن يـكون رئيساً .

إنه على أتم الاستعداد لأن يعمل فى الصف مع العاملين جندياً فى الجند المخلصين . أما منصب الرئاسـة فهو له من الـكارهين و بعد تمنع و إلحاح غض التواضع الطرف وخفض الرأس أمام المصلحة المحققة .

ومضت الجامعة إلى غايتها فى خطوات مسرعة . وبرامج ممتعة : فما من مناسبة شعرية أو وطنية إلا رفعت فيها صوتها الشجى بأعذب النثر وأكرم الشعر . هذا مهرجان القمر ، وهذا عيد الربيع ، وذلك يوم الهجرة أو يوم الاحتفال بعودة أبطال الفالوجة من فلسطين . . وتضيق القاهرة عن عزمات الجامعة فتمد نشاطها إلى عواصم المديريات ، وتألف الفروع والشعب فى الكثير من بلاد الريف . ثم تجمع ماقيل من روائع الأدب فى كل هذه المناسبات فإذا هو أسفار قيمة سائغة للقارئين .

أرأيتم أيها السادة إلى هذا النبت الصغير يزرع فى تربتنا المصرية الطيبة من وقت لا يزيد على ست سنين فإذا هو ينمو أعجب النماء . وإذا هو يرتفع إلى أذن الجوزاء . وإذا هو شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء !

كل ذلك والشيخ الرئيس يسبق شباب الأعضاء همة ، ونشاطاً ، ومضاء ، ويبز فحولهم فى أسواق القول والبيان دقة شعور ، وبلاغة تعبير ، وبراعة تأثير .

وكان الرجل من الساسة البارزين فلم يسمح يوماً للسياسة على كثرة مشاغلها ووفرة مشاكلها بأن تجور على السهم الوافر الذى خصصه من وقته وجهده ونفسه لخدمة الأدب والأدباء ولعله كان يضيق بما يزدحم به ميدان السياسة من نزوات وأهواء وخصومات فى غير غناء ؛ تباعد بين الأقرباء وتمزق شمل الأصدقاء فيهرب من هذا العناء والبلاء إلى رياض الأدب الغناء وجناته الفيحاء .

أيها السادة :

لا أزعم أننى رثيت الفقيد . ومهما حاولت فلن أبلغ من ذلك بعض ما أريد ولكنى قدمت لزملائى أعضاء الجامعة وهم أقدر الناس على أن يصوغوا هذا الرثاء من فيض وفاء لا يغيض .

حَيٌّ يرثى حَيّاً

للمرحوم الدكتور ابراهيم ناجى

ودعْتُ أَحْلامِي وعفتُ حَياتِي ... ودفنْتُ بعدكَ فى التُّرابِ شَبابِي
هيْهاتَ ليسَ الدمعُ فيكَ بمُسْعِدٍ ... جفَّت على حوْضِ الردَى عبراتِي
يتمثلُ المَاضِى إلىَّ بأنسِهِ ... متألقَ الآمالِ والبسَماتِ
فإذا التفتُّ لحاضرِى ألفيتُه ... جهْماً وفزّعنى خيالُ الآتى
مَا أرتجى!؟ ذهَب الصَّديقُ وعمَّنى ... زَمنِي وأصْبحَ فى القفَارِ لِدَاتِى
وإذَا انطوَى طيبُ الزَّمانِ وحُسنه ... لم يبْقَ غَيرُ الوجْدِ والحَسَراتِ
عُذراً أخِى عَىَّ البيانُ وخَاننِي ... قَلمِي وغُصَّت بالدمُوعِ لهَاتِى
أينَ الدسُوقِ والمروءةُ والنَّدى ... وعظائم الأعْمالِ والخطَرَاتِ ؟
أينَ اللَّيالِي الحاشَداتُ بفضْلِهِ ... مَأهولةً مَعْمورةَ الجنَبَاتِ ؟
وَاحسْرَتَا صَارَتْ فِسَاحُ رِحَابِهِ ... قبراً بَعيداً ، ضيِّقَ العرَصَاتِ
لمنِ الشَّكاةُ، وكُنْتُ مهْمَا ضَاقَ بِى ... صَدْرِى أبثُّ لَهُ طَويلَ شَكاتِى ؟
وألوذُ من ترَحَابه بِصداقَةٍ ... مأمونَةٍ جلَّت عَنِ العَثَرات
وألوذُ منْ آفاقِه بكواكبٍ ... شَفَّافَةِ الأنوارِ والضَّحكَاتِ
نَفْسٌ تعيدُ لكَ الحَيَاةَ رخيةً ... فكأنهَا رَوْضٌ مِنَ الجنَّاتِ
ومُروءةٌ تلقاكَ عن قرْبٍ وعنْ ... بعدٍ بمَا ترجُو من الحسَنَاتِ
إقدامُ أبطالٍ وحزمُ غضنفرٍ ... فى لينِ أخْلاقٍ وعلم ثقَاتِ

يا هَادم العقبَات مِن صخرٍ ومنْ ... شوْكٍ لىَ الرحمنُ مِنْ عقَباتى

ومقلماً ظُفـــر الأعادِى لفتةً ... منْ لى إذا كَثُر الغدَاة عُداتى؟

ويحى ! تشاكلَت اللَّيـالى كلُّهـا ... حزْناً عَلَيْكَ عشيَّتى كَغداتى

أرنُو إلى الأدَب الرَّفيع تركتَه ... لطوارِئُ الحِدْثانِ دُون حُمَاةِ

أرنوُ إلى الأخْـلاق قد خَليتَهـا ... لِحوالكِ الظُّلماتِ دونَ هُـداة

أرنُو إلى الدنيَـا فأهتفُ قائلاً ... لمدامعِى : هَاتى معينَـكِ هاتى

وأقولُ للسُّحبِ الهواطِلِ هَهُنَا ... فيضٌ من الأخْـلاَق والعزَمات

فاسْـقِى ثَراهُ المستطابَ وسَاجِلِى ... شُؤبُوبهُ فيضاً منَ الرحمات

ذكرى خالدة

للدكتور سليمان عزمى

أيها السادة الأجلاء :

عرفت الفقيد العزيز منذ أربعين سنة ، عند ما كان يزورنى لأعالجه ، وظلت معرفتى به تتوثق وتتأكد على مرور الأيام ، حتى أصبحت صداقة متينة وقد هيأت لى هذه الصداقة أن ألمس جوانب العظمة فى النفس الكبيرة التى كانت تتمثل فى شخصية المغفور له إبراهيم دسوقى أباظه . . . قوة خلق ، وطيب عشرة ، وعظمة تواضع ، مع مكانة أدبية مرموقة ، ومكان اجتماعى ملحوظ . .

ألف رحمه الله جامعة أدباء العروبة ، ودعانى للاشتراك فيها ، فلم أتردد فى تلبية دعوته على الرغم من كثرة مشاغلى وازدحام وقتى بها ، وعلى الرغم - أيضاً - من أنه لم يسبق لى شرف الانتساب إلى صفوف الأدباء . . غير أننى تمثلت بقول الشاعر : إن التشبه بالرجال فلاح .

والآن وقد مضت ستة أعوام على إنشاء جامعة أدباء العروبة ، لا أذكر أننى تخلفت مرة عن حضور جلساتها وذلك لحرصى على أن أفيد من أدبها الجم وتوجيهاتها الرصينة . . .

يقولون فيما يقولون عن الجمعيات والهيئات . إن أعضاءها يعملون وعملهم منسوب إلى رئيسهم ، ولكن جامعة أدباء العروبة كان ينهض بأعباء العمل فيها أعضاؤها ورئيسها كل بنصيبه المفروض ، فالأعضاء والرئيس فى أدباء العروبة يمثلون الجسد والروح .

أيها السادة :

لقد خسرت مصر ـ حقيقة ـ بفقد دسوقى أباظه ـ رجلاً من كبار رجالها الأعلام ، رجلاً برز فى النواحى السياسية والإدارية .

كما فقدت إماماً فى الأدب ، وزعيما قاد نهضته فى ثقة ، وقوة ، واعتداد .

لقدلقى الشعراء فى ظل رعايته حدب الأب ، وعون الأستاذ ، وإنصاف الحاكم .

إننا نشعر مع الأدباء والشعراء بثقل الخسارة الفادحة ، وإن قلوبنا ليمزقها الحزن والأسى حين نتلفت الآن فلا نجده بيننا ، وإننى لألمح روحه الطاهرة ، ومبادئه المثلى ، تسرى فيما بيننا ، وسيكون لها أثر أى أثر فى نفوس أبنائه وأصدقائه ليؤدوا رسالته النبيلة أحسن أداء .

أيها السادة

إن أكرم تخليد لذكراه — طيب الله ثراه — أن نتأسى خطاه فى خدمة لغة القرآن ، ومؤازرة النهضة الأدبية حتى تؤتى أكلها، والله يتولاه و يحسن لقاءه بقدر ما أدى لبلاده من جليل الخدمات وعظيم المآثر .

رجل أحبه الجميع

للدكتور محمد فخر الدين السبكى

سادتى :

فى حفل أقمناه نحن أعضاء جامعة أدباء العروبة ، فى إبريل من العام الماضى ، تكريماً لكبيرنا إبراهيم دسوقى أباظه ، وقف كل منا يتكلم معبراً عما يكنه فى قلبه من حب وإخلاص للرجل الذى أحبه وأخلص له كل من عرفه . وفى ختام الحفل وقف الرجل الذى اجتمعنا لتكريمه يتساءل عن سر هذا التكريم وذلك الحب ، ويقول أنه لم يفعل ما يستحق عليه أى تكريم . ولم يكن المجال يسمح عندئذ بالإجابة على تساءل الرئيس ، فأسررتها أنا فى نفسى ، وعزمت أن أجيب عليه فى حفلنا التالى إن شاء الله .

عزمت أن أقول له إننا نحبه لأنه جمع فى طيات نفسه كل الخلال التى ترغم الناس على حبه . فهو رجل متواضع إلى أقصى حدود التواضع ، كان وهو وزير يلقى الرجل الفقير فيسلم عليه ولا يترك يده من يده حتى يكون هو البادئ .

وهو رجل كريم ، كريم أيضاً إلى أقصى حدود الكرم ، كان إذا اقترح عليه أحد أن يستضيف شخصاً ، سر منه وشكره ، حتى لكأنه يذكرنا بكرام العرب الذين كانوا يكافئون كل من يأتى إليهم بضيف جديد .

وهو رجل نبيل ، نبيل بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، يقيل العاثر ويحسن إلى المسىء ويعفو عن كثير .

وهو فوق ذلك رجل مهذب مؤدب لا نذكر له عثرة فى قول أو فعل . كان على خلق عظيم ، أدبه ربه فأحسن تأديبه .

أجل أيها السادة ، كنت أعد هذا وغيره فى نفسى لأقوله لرئيسنا فى حفلنا القادم . ليعلم لماذا نحبه ، وليعلم أنه لم يكن لنا إلا أن نحبه . ولكن شاء القدر أن أقول له هذا فى حفلة تأبين بدلا من حفلة تكريم . لا بل هى اليوم أيضاً حفلة تكريم ، فالعظمة لا تموت أبداً ، وقد كان إبراهيم عظيما دائماً .

ولكن . . . أين هو الآن أين أنت يا إبراهيم . . . آه لقد اختطفته الملائكة لتنعم هى الأخرى برفقته .

فسلام عليك يا إبراهيم ، سلام عليك يوم كنت بيننا ، ويوم فارقتنا ، ويوم نلتقى سويا .

يا تاج دنيـــاى

للأستاذ محمد مصطفى حمام

أقسمتُ بعدكَ لا أبكي عَلَى أحَـدِ ... وهانَ عندى أعزُّ الأهْلِ والولدِ

كمْ نكبةٍ دهمتنى كنتُ أهزمُها ... بالصبْر حتَّى دهتنى نكبةُ الأبدِ

فجيعتى فيـكَ ، لا وهمى ألمَّ بهـا ... لمَّا مرضتَ ولا مرْتَ عَلَى خَلدى

وقدْ أكونُ عَلَى بعْضِ الوفَاء إذَا ... ما أطفأتْ بصَرِى أوْ مزَّقتْ كَبدى

يا تَاجَ دنيَـاىَ ، يا ظلِّى ، ويَا أملِى ... ويا هُداىَ وإيمَـــانِى ومعْتَقدى

يا نفحةً منْ رِحابِ اللهِ مرسلةً ... لِلنَّاس أحرزْتُ منهَا حصَّةَ الأسد

لولَا حنانُك ما كُرمْتُ فِى وطنِى ... ولَا وجدْتُ مجَال العيْشِ فى بلَدى

لولا يمينُكَ تسْـــمُو بِى إلى قمم ... لـكنْتُ فِى السفْح لم أنقصْ ولم أزد

لولَا نداكَ جـــزيلًا لم أجدْ فرجًا ... فِى كل خطْبٍ جسيمٍ صاعقٍ نـكِد

وكنْتَ براً بأبنـائِى فإنْ ورثوا ... عنِى فلَا شىء غـيْر الحزنِ والـكمد

وكانَ بيتُكَ وجْهِى إن حننْتُ إلَى ... بيتٍ أُقيمَ منَ التقْوى على عُمد

بيتٌ وروْضٌ ومحرابٌ ومدْرسَـةٌ ... تَهدِى بنيهَا سبيلَ الخيْر والرَّشَد

خُلقْتَ للخيْر بذالًا وداعيـــةً ... وعَنْ حِمَى الحقِ لم تصدف ولم تَحد

كم جُدتَ للوطنِ الغَالِى وقَد قُبضتْ ... أيدِى القوارينَ لم تَبْذل ولم تَجُد

وكم وهبْتَ لدنيَـا الشعْرِ منْ نعمٍ ... عزَّتْ على الوصْفِ والإحْصاء والعدَد

فكم تَجليتَ فيهَـــا طائراً غَرِداً ... وكم بعثْتَ لهـا منْ طائرٍ غرد

وَيحى ! ! أمَات دسُوق ! ؟ يا لَه نبأ ... عجبْتُ لِلأرْضِ منه كيْف لم تَمدِ

رحم الله الفقيد

للأستاذ الكبير عبد الملك حمزة

حضرات الإخوان :

لئن عظمت فجيعتنا فى الفقيد الكريم . فقد زادنى حزناً عجزى عن توديعه إلى المثوى الأخير مع المودعين وشهود حفل رثائه مع الشاهدين .

وإذا حالت متاعب الجسم دون حضورى ، فحسبى أن أكون معكم بالقلب والروح .

أيها السادة :

لعل عهدى للفقيد العزيز أقدم العهود . فقد طلع علينا من الصبا فجر واحد وقامت بيننا يومئذ زمالة صادقة فى الجهاد الوطنى ، وكذلك فى مهنة المحاماة . ثم انطلقت بنا السنون ، فما زادنا مرورها إلا تآلفاً وتعاطفاً . وشهدت السنوات الأخيرة صلة جديدة بيننا هى مجلس جامعة أدباء العروبة ، وهو منشئها وعميدها الأول .

وما أكثر ما يتزاحم فى الذهن من ذكريات عن الأخ العزيز المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة .

لقد كان دسوقى بياناً رائعاً . وكان صدراً فسيحاً . وكان عاطفة رقيقة . بل كان بسمة مشرقة فى أفق حياتنا . ولم تكن سيرته إلا أنشودة عذبة من أناشيد العروبة السمحة بل كانت أبلغ قصيدة جمعت كل المعانى الإنسانية السامية .

والآن يا أدباء العروبة . يا أعضاء أسرته الأدبية ليس أجمل فى تخليد ذكرى عميدنا ، ولا أدخل فى باب الوفاء ، من أن نرسم الطريقة العملية المثلى لتحقيق ما تعاهدنا وإياه عليه، من النهوض برسالة جماعتنا حتى نسدى يداً إلى العروبة الشاكية وإلى الإنسانية الباكية . وإنما يكون ذلك بالسير فى أضواء البيان العربى الأكبر . وهو كتاب الله الذى أرسل به محمداً إلى الناس كافة ، وجعله هدى ورحمة للعالمين .

أيها السادة :

لقد ذهب الأخ الكريم مبكياً من الناس مرضياً عند الله . فسلام عليه يوم أحببناه وسلام عليه يوم فقدناه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

يا دســـوقى

للأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم الخامى

بَكَيْتُ الدهرَ لو نفع البكاء ... وما فى الدَّمعِ مِنْ ألم شِفَاء
توارَى نيِّرٌ حجبَتْ سَـــنَاهُ ... يدٌ للموْتِ ليسَ لهَـــا ارْعِواء
وليسَ بعائدٍ كالصُّبْحِ يوماً ... إذَا ما عادَ منْ صبحٍ ضيَاء

* * *

بكَى أدبُ العروبةِ يادسُـــوقى ... وحقَّ لهَـــا وللأدبِ الرَّثاء
فقدْنَا الفـكرَ والأمَل المرجَّى ... ونفســاً كلُّ شِرعَتهـا صفاء
وأخْلاقاً كأنهوى المعَـــالِى ... وحزْماً كانَ حِليتَه الحيَـــاء
وعلماً يكْتسِى أدباً وحلمًا ... وعقْـــلاً تستنيرُ بهِ ذُكاء

* * *

عَلَى آياتِ فضْلكَ يا دسُـــوقِى ... تلاقى الشَّـــملُ وانتظَم الأخاء
فكيفَ تركْتنا والجمعُ حزنٌ ... عليكَ وليْسَ منْ حزنٍ عَزاء
يريدُ المرْء فى الدنيا شُـــئوناً ... ويَجهلُ ما يريدُ به القضَـــاء
ويُمسِى ثم يُصبحُ ليسَ يدْرِى ... أيسْعدهُ صباحٌ أمْ مسَـــاء
وتُسلمه الحيَـــاةُ إلى كفاحٍ ... ويصْرعُـــه البقَاء أو الفَناء
تسيرُ بهِ اللَّيالِى حيثُ شاءتْ ... وينْصرهُ عَلَى القَـــدرِ الرِّضاء
ففِى إيمَـــانهِ أمنٌ وبَعثٌ ... وفِى تسْـــليمهِ وُلِدَ الرجَاء
إذا حُمَّ القضَاء وكنتَ ذِكْراً ... فعيشُ المـرْء والذكْرَى سَـواء
هىَ الذكْرَى نعيشُ بهَا تراثاً ... وللْفَـانى مِنَ الذكْرَى بَقَـاء
سَـــلامُ اللهِ إبراهيمُ عِطراً ... يدومُ به لِسيرَتكَ الثَّنـــاء
ستذْكركَ العروبةُ يا دسُـوقِي ... ويجمَـــعُنا لِفكْرتِكَ الوفاء

لم يمت ...

للأستاذ ط عبد الباقى سرور
سكرتير عام جامعة أدباء العروبة

أيها السادة :

عزيز على أدباء العروبة ، أن يقام لهم حفل . ويرتفع منبر ثم لا يكون فى الحفل كالعهد زعيمهم النبيل الأمين . ويخلو منبر الفصحى من لسانهم القوى المبين .

عزيز على أدباء العروبة ، وهم الذين طالما اجتمعوا على الوفاء وعلى الحب وعلى التكريم لدسوقى أباظه، أن يجتمعوا اليوم لتأبينه . أستغفر الله ، إنما نجتمع اليوم لتكريمه ، فالتأبين للموتى .ودسوقى أباظه لم يمت . ولن يموت .

إنما يموت هؤلاء الذين يؤرخون بالميلاد و بالوفاة ، إنما يموت هؤلاء الذين أفاض الله عليهم فأبوا إلا أن يعيشوا فى الظلام ، لأنهم ضنوا بالنور على الناس .

إنما يموت هؤلاء الذين لم يقدموا للإنسانية زاداً ، ولم يطفئوا للشر ناراً ، هؤلاء الذين عاشوا بأجسادهم ، وتذوقوا الحياة بشهواتهم ، ولم يسجدوا إلا فى محاريب أنفسهم .

أما دسوقى أباظه أيها السادة . فقد جاء إلى الدنيا . للناس أولاً، ولنفسه ثانياً، جاء نفحة من تلك النفحات العلوية التى ترسلها السماء فى ساعات الصفو والرضا ، جاء رحمة ونوراً وحباً ، ليكون آية للناس على أن الإنسان لا يزال جديراً بأنه من صنع الله وأنه سيد الحياة ، وتاج هذا الكون ، وسره ، و بطل روايته .

قال لى رجل يوم نعاه الناعى ، لقد تغير منزل دسوقى أباظه ، حتى لكأنه غير المنزل الذى نعرف ، بل لقد تغير الحى الذى طالما سعينا فى شعابه ، بل لقد تغيرت الدنيا إن لم تكن فى النظر والخبر ، ففى الحس والأثر .

ولقد صدق الرجل ، لأن دسوقى أباظه كانت روحه القوية المحبة للناس كافة بهالاتها وإشعاعها تغمر المنزل ، وتعمر الحى ، وتفيض على الدنيا المحيطة به ، ألحاناً وأنغاماً وإلهاماً ، يطبع كل شىء بطابع الجمال والكمال والمحبة .

كان دسوقى أباظه أيها السادة — روحاً من تلك الأرواح التى يطلقها الله من كنوزه ومن أسراره ، ومن بدائع خلقه ، لتكون فى هذه الدنيا أشبه بتكييف الهواء ، شىء يسرى على البرد حتى يرده حناناً ودفئاً ، شىء يمر على الحرارة حتى يردها سلاماً وأمناً ، شىء تنعدل به موازين الأشياء وتستقيم به أمور الحياة .

هكذا كان دسوقى أباظه ، يمسح بيده على آلام الناس ، ويمد ظله على من فقد الظل ، ويدفع من أقعده الزمن ، ويحرك الحياة إذا اضطربت موازينها ، ويمشى بين الناس بالخير وبالنور ، فإذ الدنيا حوله ، وإذ الدنيا لمن يلوذ به ، وإذ جو الحياة الذى يلوذ به كروحه وخلقه وقلبه نوراً وخيراً وسلاماً .

سيقول الناس مالك تتحدث عن خلق دسوقى أباظه ولا تحدث الناس عن الزعيم الأديب وعن الأديب الزعيم ، عن صاحب الرسالة فى الأدب والسياسة .

ودسوقى أباظه أيها السادة لا تفهم مكانته الأدبية وعظمته السياسية إلا على ضوء رسالته الأخلاقية .

كان دسوقى أباظه زعيما فى الأدب ، وكان زعيما فى السياسة ، ولكنه قبل أن يمسك بإحدى يديه زعامة الأدب ، كان يمسك بالأخرى رسالة الأخلاق ، فكان الأدب عنده خلقاً ، وكان الخلق أدباً .

وهكذا كان موقفه من السياسة ، لقد حاكمها إلى الأخلاق ، ولم يحاكم الأخلاق إلى السياسة كعهدنا برجال السياسة .

مثل هذا الرجل أيها السادة — لا يموت ولن يموت لأنه روح ، وقلب ، وخلق ، ورسالة .

لأنه ارتفع إلى نطاق المعانى الخوالد التى يريد الله أن يضرب الأمثال بها للناس ، وهذه المثل لا يلحقها الفناء وما ينبغى لها ، لأن الله جل جلاله يحبها ويرضاها لعباده ، ويقول رسوله الأكبر « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

أيها السادة — لم يمت دسوق أباظه ولن يموت ، وأن أدباء العروبة ليكرمونه اليوم كما كرموه بالأمس ، وكما سيكرمونه إن شاء الله فى الغد ، سيحتفلون به فى كل وقت على العهد كما كان . وكما كنا ، وفاء وحباً وتكريما ، لارثاء وبكاء وتأبينا .

وسلام على إبراهيم حياً خالداً ورحمة الله وبركاته .

زعيم العروبة

للأستاذ على الجمبلاطى

عظُمَ الخطْبُ يا دمُوعَ الوفاءِ وضَلَلْنَا فيهِ سَبيلَ العزَاء
قد تغشَّى القلوبَ فهى رَمَادٌ تحْت جمْرِ ذَاكِ منَ البُرحاء
بعْثرتْها الأَحزانُ فى لحظةِ التَّوديعِ حتَّي غدَتْ نعيبَ الفَناء
حينَ ذابتْ من الجوَى سكبتهَا رَاحةُ المَوْتِ دمْعةً للوفاء
لم أُشَاهِد جِنازةَ المجدِ لمَّا دفعتْ خَطوَ ركبهَا للبقاء
ونفوساً تذوبُ من لوْعةِ الحُزْنِ وتَسْرِى حَياتُها فِى النِّداء
لم يكُنْ صوتُها نحيباً ولكنْ هُو نجْوى الهوَى الذِى فِى الدِّماء
وسَجَاياهُ ينتحبْن وراء القبْر فى حيْرةٍ وفِى اسْتحياء
يَتلفتْنَ فِى وجُومٍ وفِى يأسٍ « م » ويُلبِّينَ فى أسًى وبكاء
وَيحادثْن أهْلَه ومحبيه ولكنْ بالرَّمزِ والإيحاء

* * *

مَاتَ منْ كَان قلبُه أملَ المجْدِ وإحسَاسُه ملَاذ الرَّجاء
مَات مَنْ كَان للعروبَةِ كهفاً وَزعيماً لِصَفْوةِ الأدباء
مَاتَ مَنْ كَان للبيان وللفَن قَليلَ الأنْداد والنُّظَراء
يَتمُ الشِعرُ يوْم منْعَاه واجتَاحَتْ يَدُ المَوْتَ ندْوَةَ الشُّعراء
وغَدا السَّامرُ الموشَّعُ بالأنسِ مثَار الشُّجونِ والبأساء
إنهُ عاشَ للحيَاةِ فأضحَى نعْمةً للحَياةِ والأحْياء

بَاذلاً ما اسْتطَاع . واللَّذةُ الكبْرى يرَاها فى البذْلِ والإعْطاء
إنَّه كانَ صافى الرُّوح والقلْبِ نقى الشعُورِ والأهْواء
أريحىّ الفُؤاد ، مُنْتَهَب النعْمَة ، صلْبَ اليمين ، عَفّ الإخاء
إنهُ عاشَ للتواضُعِ حتىّ خِيلَ فيهِ معْنَى منَ الكبْرياء
عرَف الأقْرَبُونَ ما السرُّ فيمَنْ عَشِقُوه حتَّى منَ الأعداء
كَانَ دُنْيا مآثرلوْ أردْنَا عدَّها لم نُطِقْ مِنَ الإحْصاء
لستُ أنْسَاه وهو يُنْشِد أو يُصْغِى ، نبيلَ الإنْشَاد والإصغاء
مُقْبلاً بابتسامةٍ مُشْرِق النَّفْسِ ، قريب الرِّضا ، عَمِيق الصفاء
فلهذَا منْه بشَاشة نجْوَى وَلهذَا منْهُ رفيفُ لقَاء
ولهذَا التفَاتةٌ تبعَثُ الودَّ وتدْنُو بالصَّفْحِ والإغْضاء
لستُ أنْسَاهُ وهو ينْهضُ بالأعْبَاء ، والمجْدُ فادحُ الأعبَاء
رَافعاً هضْبَة منَ الفكْرِ تسْمُو بذرَاها عَلَى حَواشِى الفضَاء
كاتباً فوقهَا كتاباً من الحكْمةِ صِيغَتْ حروفُه من ضِياء
فغدَا الشعْرُ من سَنَاه نشيداً منْ معانٍ قُدْسيةٍ عصماء
أيها الدافنُوه ماذَا دفنْتُم غيْر جُودٍ وعفَّة وحَياء
أيهَا الحامِلُوه ماذَا حمَلْتم غيْرَ مجدٍ ورفعةٍ وَإباء
كانَ فيناَ كبسْمةِ الأمل العذْبِ ونيلاً يفيضُ بالآلاء
كان صَوتاً يدعُو البلاَد إلى المجْدِ ويَحدُو مسيرَها للعلاء
ومناراً للحقِ إن أظْلم الشكُ وعمَّ الظلاَمُ فى الأنحاء
ونصيرَ الإسْلامِ فى كلِّ حينٍ ومُعينَ العُروبةِ الشَّماء
ليْتَ شِعْرِى ماذَا أقول وقدْ قصَّرَ عن قدْره العظيم رثائى
إنه كانَ كالسَّماء وَهَل يبْلُغُ شعرٌ آفاقَ تلك السماء

فيم الرثاء ؟!

للأستاذ عبد الله شمس الدين

فيمَ الرثاء . وأنْتَ ملء جفُونِي ... وتكادُ تلمَس راحَتاكَ يَمينى ! !
إنِّى أحسُّكَ فى دَمى ومشَاعِرى ... حيًّا برغْمِ الهيْكَلِ المدْفُونِ
إمَّا نظرْت ، فأنْت أفقُ نَواظِرى ... ومثَارُ إحْسَاسى ، ووحْىُ لُحونى
يَا سَيدى : هَذِى ابتسَامتُكَ التِى ... تجْـــلو برقتِهَا أسَى المحزون
أشكُو إليكَ منَ الحَياةِ فتنْثنِي ... بالعطْفِ تَمسح شِقْوتِى وشُجونى
وَتَظلُّ تعصمُنِي بحبكَ ما رمَتْ ... كَفُّ الزَّمانِ بسهْمِهَا المسنون
أبداً تشدُّ عَلَى يدىَّ مواسِياً ... وتُنيرُ سُبْلَ تحيّرِى وظُنونى
فَأعُود مُبتسمَ الجوانحِ رَاضياً ... لَكأنَّ تاجَ عُلَاكَ فوقَ جبينى
وأنَا الذِى مَا ذقْتُ قبلَكَ من يدٍ ... معْنَى الحنَان . . فعزَّتِى تَكْفِينِي
ولقدْ بلَوتُ النَّاسَ . حتَّى لم يعُدْ ... زيفٌ يَشُـــقُّ طريقَه لِيقينى
فإذَا بكيْتُكَ يَا أبِي . . . فَلأننِّي ... أدْرِى بأنَّ الدَّهْر جِدُّ ضَنينِ

دمعة الوفاء

للأستاذ خالد الجرنوسى

يَا سَـيد الأخْوانِ والأَخْدَانْ يَا أكْرَم الخُلَصَاء والخِلان ! !
مَا كُنت أحْسِبُ أن تموتَ فَخَانَنى ريْبُ الزمانِ .. وعقَّنِي حسْبانى ! !

* * *

وقفَ الصّحابُ كَمَا عهدتَ جميعُهم يتبَادلُونَ منابرَ الأحْزان !
أبغضْ بهِ من موْقفٍ أوقفتُه فى غيْرِ مَا رغَب . ولاَ رضْوان !
هَذا مكانُكَ قد خَلاَ منْ بيننَـا فبكَى النَّدىُّ . بدَمْعه الهَتَّان !
واسْتشعرَ الأدبُ الحزينُ حدادَه وجَرى كلذْع النَّار فِي الأبْدان !
فارْحَم بقايَا الحزْنِ ملء قلُوبنَا واعذُرْ بقَايا الدمع فِي الأجْفـان
لو تَـنْهَضُ الدنيَا .. بحقِ كريمِهَا أذْهلتَ كوكبهَا عنِ الدَّوران !

* * *

أتموتُ ابراهيمُ !! كيفَ أقولُها ! هَيهَات أخرستِ الشجونُ لسانى !
لغدوْتُ أسمعُها ... فأُنكرُهَا فلاَ تُصغى إلى ترديدِهَا . . آذانى ! !
أنَا إنْ رثيتُ الخالدَين بِأدْمُعِي ورجَعْت أشكُو البثَّ ... ماأشقانى!

* * *

فى عصرِ منْ سنعيشُ بعدكَ بعدمَا أخليْتَ للضِيفَانِ كلَّ مكان ! ؟
ولمنْ أقولُ الشعرَ مَصقُول اللغَى ولمنْ أصوغُ منَ الوفَاء بيانى ! ؟

قد كنتَ رائدَنا إليه نقـولُه ... فى غيْرِ قافيةٍ .. ولَا أوْزانِ
هىَ حلْبةُ الأحْرارِ .. قَدْ جاوزْتَها ... وتركْتَ مُلتاعين فى الميْـــدان
المنبعُ الثَّرارُ غيَّضَ فى الثَّرى ... والـكوكَبُ اللماحُ فِى المـيزان

* * *

وأنَا .. أنَا الشَّادِى بفضْلِكَ راعَنى ... صرْفُ الزمانِ وهدَّ منْ بنيـانى
وفجِعْتُ فى الخدْنِ الوديعِ . ومسَّنِى ... أضعافُ ما قدْ مسَّ منْ إخوانى
برَّ الأبوةَ والصَّديقَ كليْهما ... وبقيتُ للذكْرَى وللأشْـجَان
أسْوانُ اسْتبقِى العزاءَ إلى غَدٍ ... وغدٌ يَهيـلُ الحزْنَ كَالطُّوفان
ذُقتُ المرارَةَ فيـهِ فارتَاع الأسَى ... فِى خاطِرِى ، والتاعَ منْه جَنانى !

* * *

جُرْح العروبةِ فيكَ لا يُرْجَى له ... برء ولَا يَرْقى بجـــرْح ثان
وعليـكَ فليْبكِ الغمامُ فإنَّمَا ... ثَـكلتْك كُلُّ سَـحابة مرنان
تَندى عَلَى كَفِّ الغفاة سماحةً ... وتبلُّ صـدْرَ السَّاغِبِ الظَّمآن

* * *

أخْلفتَ ما خلَف الزمانُ لحاتمٍ ... وسحبْتَ ما خَلعُوا عَلَى سحْبان
وأعدْتَ عهداً للبرامكةِ الأُولَى ... شَرَوُا الثناء بأفْدحِ الأثْمان
تغْدو بناشِـــئةِ البيانِ مُعلِّماً ... وتروحُ ترحمُهم منَ الحـرْمان
وتمدُّ ظلكَ للفقيرِ كما رعَى ... غيْثُ السَّماء . مَراتعَ الرُّعيان
كفَّكَ لا تدْرِى الشِّمالُ بمَا أتَتْ ... يُمناكَ منْ بِرٍّ ومنْ إحسَان
تجْرِى على سَنَن النبـوَّةِ جَامعاً ... هَدْىَ النبِّي ورحْمـــةَ الرحمن

وإذَا تَسُوس الأمْرَ أو تَعْنَى بهِ تُقْصيهِ عنْ زُورٍ وعنْ بُهْتَان
كمْ عِشْتَ لِلوطَنِ العَزيزِ مجاهداً فيمَا يَصُونَ كرامَةَ الأوْطَان
عفَّ اليديْنِ . . عنِ الحرامِ وطَالَمَا نَهَبَتْ أمانَتَهَا يدُ السُّلطَان

* * *

أكْرِم بسيرَتِك الكريمةِ فِي فمِي فيهَا العُـــلَا والمجْد يلتقيان
فاصْعدْ . . إلى دَار الخلود مُشيعاً بالخَالدِيْن ، الذكْرِ والعِـرْفان

شاعر مات

قصيدة الشاعر اللبنانى الكبير

الأستاذ محمد على الحوماني

نمْ ملء عينكَ ، لاَ الحياةُ خليقةٌ ... بكَ أنْ تعيشَ ، ولاَ الخلود مُشَاعُ
والنَّاسُ خلفكَ ، منْ عهدْتَ ، ضمائرٌ ... تُشْرى كمَا شاء الهوَى وتُبَاعُ
تندَى بألوانِ الصَّباحِ مَباسمٌ ... وتشفُّ عنْ ظُلم المساء طِبَاعُ

* * *

ما كنْتَ إبراهيمُ فينا قائلاً ... إلَّا ليسْمع مخْذَمٌ ويراع
أسَكَتَّ حينَ رأيتَ كلَّ مثرثرٍ ... سِرْبُ البيانِ عَلَى يديْه يراع ؟!
حدث أبَا الأدباء هلْ منْ أمةٍ ... فَوقَ السَّماء يسودُها الإقطاع
أهُنَاكَ للرقعاء حكمٌ نافذٌ ... والشَّاخِصُون إلى الخُلودِ رَعَاع

* * *

حدِثْ عن الوطَن الجديدِ ومَا تَرَى ... وتَعِي به الأبصَارُ والأسْمَاع
أترَى العيونُ هُنَاكَ رُؤيتَها هُنَا ... وَيَمُدُّهُنَّ مِنَ الأثيرِ شُعَاع ؟
فترَى المليكَ هُنَاك أظلمَ غاشمٍ ... يَغشَى العدَالة منْ يَدَيه قِنَاع
سَيَّانِ لؤلؤُ تاجِه وحذَاؤهُ ... رأدُ الضُّحى فَكلاَهما لَمَّاع

* * *

حدثْ عنِ الملكُوتِ، هل صَدَق الأولَى ... مَلأوا النُّفوسَ بمَا رَوَوا وأشَاعوا ؟
أَلِكلِ رهطٍ فى السَّماء شريعةٌ ... وَلِكُلِ ربٍ منهُمُ أتْبَاع ؟

وهَلِ الحكومة بَينَهم يَختَارُها ... جَشِـــعٌ ، وَيملك أمرها طمَّاع
يَجْنِي القويُّ المستبد ثمـــارَهَا ... قَسْراً ، ويحْصُد شوكَها الزراع

* * *

قل للذى طُويتْ عليهِ قلوبُنـــا ... غيباً ونَابَ عَن العِيانِ سمَاع
أكذَا عبادُك منذُ كنتَ .. قويُّهم ... باغٍ ، وقلْبُ ضَعيفهمْ مُرْتاع ؟!
هَلْ تحْتَ عرْشِكَ للعُراة قطيفةٌ ... جرْدٌ ، وهلْ للجائعينَ كِرَاع ؟!
الناسُ غرْثَى يسألونَك ملء مَا ... تحْت الحيَـــازِم والقلوبُ جِياع

* * *

أأبا العُفـــاةِ أفقْ لعلَّك حالمٌ ... ولعلَّ عودَك بيْنَنَا مُسْـــطَاع
لترى وفودَ نَدَاك كيْفَ نردُّها ... بالدَّمعُ يُخْنقُ والزَّفـــيرُ يُذَاع
ضاقَتْ بكَ الدنيا يقلك فَوقَهـــا ... رَحْلٌ ويخفِقُ فى سمَاكَ شِراع
لم يُصْبك الغرضُ الدنىء ولَا سبَا ... عينْيكَ منْ عرضِ الحيَاة مَتاع
فلجأت للأخرى تحـــاولُ عالماً ... لم يشْـقَ فيه الفنُّ والإبداع
لبيْكَ أصـــدقَ شاعرٍ لم يُغْره ... مِمَّـــا نُزخْرِف مَظْهَرٌ خَـدَّاع
إنّا روينَا ما نقـــولُ فلم نُطعْ ... ويقولُ فينَا كاذِبٌ فيُطَـــاع
حتَّى كأنكَ كُنتَ آخرَ من بكَى ... شَعْرا أُضيعُ وشَاعِراً سَـــيُضاع

* * *

إنِّى لأذكرُ مِنْ حياتِك مقطعاً ... زَقَّتْ حمائِمَهَا بهِ الأسْـــجاع
فى أيِّمٍ ملأتْ يديْكَ دموعُهـــا ... وهَفتْ إليكَ بقلبِها الأضْـلَاع
لولَا رعايتُك ابنهَا لم ترْعَـــه ... عينٌ ولا لُفَّتْ عليْـــهِ ذراع
ألفاكَ أرأفَ منْ أبٍ وأعاضَـــه ... عنْ ثدىِ أمٍّ من نَداك رضَاع

* * *

قد كنتُ آملُ أنْ أراكَ وقد طَغى ... ما بيْن أرْضِـــك والسماء صِراع
ومشي إليْك الموتُ مشيَة وازرٍ ... يَنسَابُ منهُ على يديْكَ شُجاع
إمَّا تَفت عينيَّ لحظـــةَ ساعةٍ ... من ناظريْكَ ، وقد عَلَاك نزَاع
فلقــدْ وقفتُ حيَال رَسْمك آسفاً ... أنْ لَا يبلَّ يدَيَّ منْكَ وداع

* * *

نمْ ملءَ عينْكِ لَا الحيَاةُ خليقــةٌ ... بكَ أن تعيشَ ولَا الخلودُ مُشاع
والناسُ خَلْفكَ منْ عهدْتَ ضمائرٌ ... تُشْرى كما شاءَ الهــوىَ وتُبَاع

أبى

لأحمد عبد المجيد الغزالى

أأرثيكَ !!؟لاَ . لاَ دارَ يوماً بخاطرى ... رثاء الذى يَحْيـا بقلْبى وناظرِى
ذخرْتُكَ فى قلْبى يقيناً ، وفى دَمِى ... حيـاةً ، وفى عينىَّ نورَ سرائرى
فإنْ هَتفتْ روحى بنجْواكَ خلتَنِى ... أسلم أو أصْغى ، فأنتَ تُجَـاورى
أحسـكَ من حَوْلى حياةً أبيَّةً ... على الموْتِ . أقْوى مَنْ صُروفِ المقادر

* * *

تَصونْتَ عَنْ عَادِى الرَّدَى فَوقَ قِمّةٍ ... منَ الخلْدِ لا تدْرِى سفُوحَ المقَابرِ
هِىَ القمةُ الـكبْرَى التى ما تطَامَنتْ ... لغيْرَ الهـــداةِ الطَّاهِرين العَباقر

* * *

أبَا المثلُ العلْيَا ، كَتبْتَ سِـجلَّهَا ... بوحْى نبى عَنْ سنَى الحقّ صَادِر
ولقنْتَهَا الأيام صَرْخَـــةَ مصلحٍ ... ودعْوةَ هادٍ ، واسْـــتجَابةَ شَاعر
وسرْتَ عَلَى شوْكِ اللَّيـالِى وجمْرِهَا ... بعزْمٍ كمىٍّ ؛ وابْتـامَةِ سَاخر
وخضْت لظَاهَا يوم جُنَّ حـديدُها ... وحطَّمْتَ أغْلالَ اللَّيـالِى الجوائر
ومِلْتَ على أسْـوارِهَا فتَخشَّعتْ ... ومَالَت بعزم للدِسـوقىِّ قـاهر

* * *

لكَ الله ! كمْ كابَدْتَ للنيلِ مِنْ أسًى ... وناضلْتَ فى ليلٍ منَ الظلم حائرِ
وكم بتَّ مقْروحَ الجفونِ مؤرَّقاً ... عَلَى رصَدٍ منْ باطلِ البغْيِ ساهر
تَردُّ عن الشَّعْبِ المزَّقِ عَاصِفاً ... من الكَيْدِ ، يَعْوِى فِى الرِّياحِ النَّوائر

* * *

وقفْتَ فمَا هَانتْ لمصْرَ كرامةٌ ... وعزَّتْ بِفـــادٍ منْ بنيهَا مغامِر
أذلَّ حديدَ « البدْرشين » وهزَّهُ ... على قَصْفِ أقلامٍ ورعْدِ حنَـــاجر
صَواعِقُ منْ نَارِ الشَّبابِ ، ونورِهِ ... يؤرِّثُهَا وجْـدُ النفُوسِ الحـوَائر

* * *

إمَام الأُباةِ الطَّاهرينَ وشَـيْخَهم ... وأكْرمَ من ضحَّى بأغْـلَى الذَّخائر
وأولَ مَنْ رادَ النفوسَ على الفِدَى ... وأظْمأَهَا لِلثُّـورِ خَلْفَ الدَّياجر
لَئِنْ خلَتِ الأيامُ منْكَ ، فمَا خَـلَا ... ضميرُ الليـــالى من خُـلُود المآثر
حَيَاتُك تاريخٌ كريمٌ لأمَـــةٍ ... من المجْدِ أغْرتَ حقْدَ باغٍ مُكابر
لو انكَ من مجْدٍ قَنعْتَ بِبعْضِـه ... لمَا امْتُحِنَ المجدُ الغريضُ بما كر

* * *

أبى . . حَالتِ الأيامُ بعْدكَ وَانْطَوَى ... رَجَاء القوَافِى فى الكَرِيمِ المسَافر
وَجَفَّتْ كئوسُ الشعْرِ فى قصْرِكَ الذى ... ذَخَرن به بيْنَ النَّـديمِ المسَـامر
عَفَاءً عَلَى الأيامِ بعْـدكَ إنَّهَا ... مَتَاهُة مَحْزُونٍ ، وَمَوطنُ عَاثر
فعِشْ فى ظِلال الخلْدِ ، وانعمْ بسَاحِه ... وطَوِّف بها حَوْلَ الجِنَانِ النَّواضر

كلمة الأسرة

للأستاذ ثروت أباظة المحامى

كان رحمه الله يتخذ من أعضاء هذه الجامعة ، إخواناً له ، وأبناء ، فإذا نزلت النازلة ، وبكى الأخ أخاه ، والابن أباه ، فما أظن من الطبيعة فى شيء أن يقف ابن من هؤلاء الأبناء ليقول لأعمامه ولاخوانه شكراً . .

إلا أن تسمحوا لى أنتم كرماً منكم وفضلاً أن أقف هذه الوقفة لأقول شكراً . . شكراً . . . . عاجزة متقحمة ولكن لا أجد بين يدى غيرها ، وها أنذا أقولها و بقلبى ما بقلوبكم و بنفسى ما بنفوسكم عجزت عن بيانه فبينتموه ، وكتمته بين أضلاع تحترق به فهو لا يجد سبيله إلا فى تصعيدة مفزعة أو فى دمعة طافرة ، حتى إذا استعصت هذه التصعيدة ، و إذا نضبت هذه الدمعة لم أملك من أمر نفسى إلا أن أقول حسبى الله ونعم الوكيل ، حسبى الله ونعم الوكيل . .

حفلة الشرقية

رزء فادح

للأستاذ محمد فتحي السلمي

سادتي :

هوى نجم أضاء الشرقية زماناً ، وذبل غصن أظلنا أعواماً .

مات دسوقي أباظة ، فتصدعت بموته الأفئدة والقلوب .

وكان حقاً على أبناء الشرقية أن يقيموا له حفلة تأبين ، بل إنهم جميعاً فيه يعزون .

إيه يا دسوقي :

أحقاً منك أنك لا ترانا على حال وأنا لا نراك ؟

أحقاً ما يقولون : إنك ذهبت ؟ و إنك انتهيت ؟ وإنني منك حرمت ؟ وعن منهلك العذب منعت ؟...

كنت أظنه حلماً ، وكنت أحسبه خيالاً ، لكنه بات حقاً ، وأصبح واقعاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

عرفناك أخاً وفياً ، وعرفناك نبراساً وهدى ، عرفناك زميلاً كريماً ، وعرفناك أباً رحيما .

فكيف لنا بعدك ؟ وأى صبر يهون علينا بعدك ؟ تالله إنه لشاق ، ودونه كل المشاق .

أيها الراحل الكريم :

أقف اليوم لأرثيك ولكن بأى بيان أرثيك ... لك فى كل ميدان مكرمة ، وفى كل مجال همـــــة .

إن ذكرت كرم الخصال :

رأيتك الأمين الوفى ، النبيل الأبى . . . ما قصدك سائل ورددته ، ولا طلب منك ذو حاجة إلا أرضيته .

و إن ذكرت نبل الخلق :

رأيتك الحليم المتواضع ، الكريم الوادع ... الذى لم يغتر لمنصب ، ولم يختل لجاه ... كلما زاده الله رفعة ، كلما ازداد كمالاً وحياء .

و إن ذكرت السياسة :

رأيتك ظاهر الذيل ، عف اليـد ، حصيف الرأى ، نقى الضمير ... رجل الصراحة ، يوم توارت الصراحة ... ومثـل الشجاعة ، يوم عزت الشجاعة ... وقدوة الرجال ، يوم قلت الرجال .

و إن ذكرت الصحافة :

رأيتك فى مقدمة الصفوف ... وتذكرت الغزالى ومقـالاته العاتية ، وآرائه الفتية الحاسمة .

و إن ذكرت الأدب :

رأيتك شيخ الأدباء ، ورأس الكتاب دانوا لك بالرئاسة عن محبة وجدارة ، و بايعوك على فضل وكرامة .

حفلة اللجنة القومية

بقاعة بورت التذكارية

وإن ذكرت الشعر :

رأيتك أبا الشعراء ، يا رسول البلاغة ... فقد حبوتهم بعطفك ، وشملتهم بكرمك ... فكنت لهم نعم الوالد ، وكانوا لك نعم الولد .

فكيف يكون الرثاء ؟ وكيف يكون العزاء ؟ وسط هذا البحر من الفضائل وخلال هذا المحيط من الشمائل .

ولكن عزاؤنا فيك : أنه من كانت هذه صحيفته ، وتلك رسالته ... فلن يموت أبداً .

فإن غاب عنا وجهك ، فقد ذاع فينا فضلك . وإن توارى جسمك ، فقد طاب ذكرك . طيب الله ثراك ، وجعل الجنة مأواك .

وألهم ولديك وأخويك ومن أحبوك الصبر والسلوان .

موت العظيم لحياته

للقس بطرس يعقوب

سادتى :

مضت أربعون يوماً على وفاة الراحل الكريم . . . وهكذا تمر الأيام ، وتتعاقب الأعوام . . .

وإذا كانت الأيام استطاعت أن تمحوه جسماً فهى لم تستطع أن تمحوه اسماً . . . ! ! ! فهو حى يذكر فى قلوب من عرفوه وهو حى يشكر على ألسنة من عاشروه ، إذ يعز على كل لسان ذاكر ما له من فضل أن يرثيه وعلى كل قلب شاعر بعطفه أن ينعاه .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا ولد يصيح ، ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

سبحانك الله تنفذ أحكامك فى استقلال عن هوى الناس .

لأنك قضيت ولا راد لقضائك وحكمت ولا معقب لحكمك يجرى قضاؤك بما قدرت فى مكنون علمك كما جاء فى قول القرآن الكريم : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

لقد كان الراحل علماً من أعلام الأمة ، ورجلاً عاملاً من رجالاتها .

عمل على إعلاء كلمتها ، وإنماء حريتها .

وهو الرجل الوحيد الذى وقف وحده تجاه قوة الإنجليز فى حادثة البدرشين ، وعلمهم أن قوة المظلوم فى حقه أقوى من قوة الغاصب فى سلاحه . . . !

وترك لهم الوظيفة ، وأفهمهم أن من يعيش على حساب وطنه يتنكر له وطنه وينكره ربه . . . !

نعم لأنه رحمه الله وهو فى صدر عمره تعلم الوطنيـة من الزعيم مصطفى كامل يوم كانت الوطنية فى الشباب عقيدة روحية ، وحاسة قلبية ... لا منفعة حزبية ، ولا حرفة سياسية . . . ! !

وعلم الإنجليز ورسلهم أن له نفسـاً تكره الضراعة . . . وأن له روحاً تأنف الخنوع ... وأن رجولته تتخطى السدود ، وتأبى القيود . . .

فأصبح وزيراً مذكوراً . . . ولى الوزارة ، فكانت الوزارة كبيرة به ، مزدانة بشخصه ، فلم يتغير يوماً ، ولم ير فى المنصب الوزارى إلا أنه خدمة وطنية ، ولم يكن فى رأيه إلا تكليفاً لا تشريفاً ، وكان يغلبه الخجل كلما خوطب بصاحب المعـالى ، ولـكنه كان يفضل أن يلقب « بالغزالى » ، لأنه كان رحمه الله أديباً مطبوعاً يعاف نوازع الزهو والخيـلاء منذ حداثته وقد جملتـه الأقدار والعبقرية الخـلابة .

يسحرك بالأدب الغض ، والحديث المشقق فيمر جوانب النفس بأسـلوب ممتع رفيع ، ويشبع الروح من المعانى ببيان بديع .

نعم كان يتصرف فى فنون القول تصرف الشـاعر برقة الأسـلوب ، والفيلسوف بدقة الفكر ، والموسـيقى بجمال الإيقاع . . . فيدخل به إلى النفس المتكبرة فتتطامن ، وإلى الأذهان المكابرة فتقتنع ، وإلى القلوب الجامحة فتنصاع .

وختاماً أقول : « إن موت العظيم لحياته » .

فسبحان من أفناك من بيننا جسداً ليبقيك فينا روحاً .

وسبحان من طواك من عهدنا رجلاً لينشرك لغيرنا كتاباً .

نعى الناعى إلى مصر فتاها

للأستاذ إبراهيم بيومى المحامى

ما داخلتنى الهيبة فى حفل كما داخلتنى فى هذا الاحتفال ولعل السر فى ذلك أنه الاحتفال العظيم الذى اجتمعت فيه جميع القلوب على الوفاء للراحل الكريم والعرفان لمآثره وتضحياته الخالدة على الزمن .

لقد أصيبت الأسرة الأباظية فى هذا العام بجرحين داميين أصاب مكان الحب فى نفوسهما وموضع الإجلال من قلوبها .

جرح على جرح حنانك جلّق ... حملت ما يوهى الجبال ويُقلق
صبراً لَبات الشرق كل مصيبة ... تبلى على الصبر الجميل وتخلق

إننى أتمثل الفقيد الكريم وقد شيع الملايين نعشه إلى مقره الأخير بالدمع والحنين والزفرات الحارة التى تتصاعد من المكلومين الذين واسى جراحهم ومن البائسين الذين كان لهم خير معوان على الدهر ومن الفقراء الذين وصلهم بالحياة وكان لهم ندًى ورخاء ، أتمثلهم وقد أحاطوا بنعشه وهم يتمثلون بقول القائل :

أحبتنا وما حان الرواح ... جرى بالبين بارحهم فراحوا
وروع ركبهم قدر متاح ... رويدك أيها القدر المتاح
نَعى الناعى إلى مصر فتاها ... فزلزلت البقائع والبطاح
نَعِيّ هز بغدادا ونجدا ... وروّع جلّق وبكت صلاح

فقد كان رحمه الله عنوان الكرم وآية الجد وقبلة الذين جار عليهم الدهر وعضهم الزمان فسقت قبره الغوادى .

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر مَعن كيف واريت جُوده ... وقد كان منه البر والبحر مُترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

ولقد كنت تصارع المرض ويصارعك وكنت تتقلب فى فراشك ولكنك لم تنس وطنك فلا تغفل عيناك عنه ولا تهدأ نفسك من أجله بل كانت حالك كما قال القائل : —

لقد نصل الدجى فمتى تنام ... أهم زاد نومك أم هام
تبيت تقلب الكفين آنا ... وآونة تقلبك السقام
تبيت تساجل الأفلاك ليلا ... وعين الكون رنقها المنام
لعمرك ما أرِقتَ لغير مصر ... ومالى دونها أمل يرام

لقد كنت فى حياتك قوى الإيمان بربك تُعرض عن زخارف الحياة الدنيا فلما أذن مؤذن الموت بالرحيل استقبلت ربك راضياً مرضياً وكنت سميّك الإمام الغزالى .

تركتها وسلمى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى محبوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل

طيب الله ثراك وجعل الجنة مثواك .

سقتك سحائب الرضوان سحًّا ... كجود يديك ينسجم انسجاما
ولا زالت رواة المُزن تهدى ... إلى القبر التحية والسلاما

وكلما رأينا الموتى يحملون على آلة حدباء ، توجعنا لفراقك وذابت قلوبنا أسى لرحيلك وكلما طالعنا القبور بكيناك بالدمع المنهمر :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قـــبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدَّكادِكِ
فقلت له أن الشجي يبعث الشجى فدعني فهذا كله قبر مالك

نادر الأقران

للأستاذ عبد العزيز السعدني

مَاتَ مَنْ كَانَ مِلْءَ عَيْنِ الزَّمَانِ مَاتَ من كَانَ نَادِرَ الأَقْرَانِ
ماتَ مَن لاَ تَرَى لهُ من شبيهٍ فِي سَجَايَاهُ فِي بنى الإنْسَانِ
مَاتَ مَنْ بَاتَ يَغْرِسُ الخَيْرَ فِي الأَرْضِ لِيَحْظَى بِجَنَّةَ الرضوان
مَات عَفُّ اللِّسَانِ عَفُّ البَنَانِ مَاتَ حَيُّ الشُّعورِ والوِجْدانِ
مَات فابكِيه يا عُيونَ اللَّيَالى مَاتَ فابكِيه يا عيُونَ البيَان

* * *

مَاتَ والموتُ هَبَّ منْه عَلَيْنَا فَغَدَوْنَا مَوْتَى بلاَ أَكْفَانَ
وكَأَنَّ الوجُودَ أَمْسَى خَواءً بَعْدَه خَالياً منَ السُّكَّان
كُلُّ مَا فِي الوجُودِ أَذْهَلَه الخطْبُ فَأَمْسَى كَنَائِمٍ يَقظَان
وبدَا النَّجْم فِي السَّماءِ حَزِيناً سَاهمَ الطَّرفِ دَائم الخفقَان
وَغَدا كُلُّ ناظرٍ نَازفَ الدَّمعِ عليْه مُقرَّحَ الأَجْفَان
مَاتَ : فابْكِيهِ ياعُيونَ اللَّيالِي مَاتَ فابْكِيهِ يَا عُيونَ البيَان

* * *

مَاتَ مَنْ حَامت القلوبُ حَواليْهِ كَطيْرٍ لِنَبعـــه ظَمَآن
وَهَدَاها إليْـــهِ نورٌ محيَّاهُ ولألاء روحهِ الفنَّـــانِ
وَرأَتْ فيهِ أيكةَ الخلْقِ السَّمْحِ نَمَتْ فَوْقَ رَبْوَةِ الإيمان
فَتوافَتْ عليهِ منْ كلِّ صَوْبٍ واستظلَّتْ بِظلِّهِ الفينـــان
وَحبتْه منْ حبِّها مَا حبَـــاهَا منْ هَوَى قَلْبِهِ العطُوفِ الحانِي
ماتَ : فابْكِيهِ يا عُيُونَ اللَّيالِي مَات فابْكيهِ يا عُيونَ البيَان

* * *

ماتَ : بَلْ لم يمُتْ فما زَال حيًّا شَـاغِلاً كلَّ خَاطرٍ وَلسان
مُشعِلاً فى الصُّدورِ : ناراً ونُوراً موحياً لِلنُّفوسِ أسْمَى المعَـانى
نَامياً ذِكْره يَضُوع شَـذَاهُ مِنْ ثَنَايا العُصُورِ كالرَّيحان
حَاضِراً غَيْر غائِبٍ ولعمْـــرِى مَا خُلودُ الإنْسَـــانِ بالجثمان
لم يَمُتْ من بنى من المجْدِ صرْحاً سَامِق الرُّكْنِ ثَابتَ البنيـــان
حَسْبُنا منْـــه مَا أفاء علينَا منْ جَمِيـــل المعْروفِ والعرْفَان
حَسْبنا منهُ ذلِك الأثرُ البَـــاقى بقَاء الأجْيـــالِ والأزْمان
فَلَنَا فِيه عنْه خـــيْر عَزَاء ولَنَا فِيـــهِ أعْظم السُّلوان
قَرَّب اللهُ مِنْه رُوحَ دُســوقى بالذى قدمتْه منْ قُربان
وحَبَـاهَا النَّعيم تَنْعم فِيـــه بيْن حُورِ الفرْدَوس والولْدَان
وجَزَاهَا خَـــيْرَ الجزاء وأوفَا هُ جَزاء الإحسَـانِ بالإحسان

نَامَ مُوقِظ النفوس

الأستاذ كامل زيتونه

قَدْ ثَوَى مُوقظُ النُّفـــوسِ ونَامَا طَابَ فى جنَّـــةِ الخُلُودِ مقَامَا
قدْ قَضَى الشعْبُ أُمْنِـيَاتٍ طوالًا يَشْتهِي نُورَه وَيشكو الظَّلَامَا
وَيْكَ يا دَهْرُ كمْ تفـاجِىء بالموْتِ (م) فتفْـجِي بِسرِّكَ الأَفْهـــامَا
وَتَهُـــدُّ المنَى وتعْصِفُ بِالآ مَالِ حـتَّى تَردَّهنَّ حُطَامَا
أيُّهـا الموتُ هَلْ تُرَاكَ تخـــيرتَ (م) من النَّاس سيِّداً مِقْـدَامَا
أم تخـيرْت حاكماً كانَ للشِّيبِ وللنَّشءِ حُجَّـــةً وإمَاما
أم تخـــيَّرتَ شَاعِراً نَظَمَ الكونَ (م) قصـــيداً فسَّرَ الآلاَمَا
إنه كَانَ هؤلاء جميعًـــا كانَ صَرْحاً من النُّبوغِ مُقَـامَا
كان رُوحاً من السَّماء نبيلاً طَاف بالكَوْنِ وانتَشى فَتَسَـامى
كَانَ فيْضًا من الجـــلَالِ أَفاضتْه (م) يَـدُ اللهِ بيْنَنـــا فتَهَـــامى
كان مَعْنًى من الرجُولةِ حُرًّا حَمَل الطُّهْرَ والكَمَالَ وسَـــامَا
بَسَـــط العمْرَ صَفْحَةً وعليْهَا سَجَّلت أنمُلُ الزَّمَانِ كلامَا
سَجَّلت أنه خُلاصَـةُ جيـــلٍ خَـــلد الحقُّ فى مَـدَاهُ ودَامَا
سَجَّلت أنه — وإنْ عُـدَّ فرداً — كان قَوماً يُفَـاخِرُ الأقوامَا
سَجَّلتْ أنه بعيـــــدُ المرَامِى وَسع المجْـــدَ شَأْوَهُ وتَرَامَى
وابْتَغَى عزمه السَّماء فمَـا خافَ (م) ولا هَابَ أن يَجُوزَ الغَمَـــامَا
وامْتطَى صَهْوَةَ الصِّـعَابِ فما كَلَّ (م) ولَا مَلَّ أن يحومَ فحَـــامَا
وقَضَى العمرَ سَـــاهِراً لا يُبـــالى يَسْتحثُّ العـلَا ويأْبَى المَنَـــامَا

مُلْقِياً فى نُفوسنا العزْمَ حَيًّا ... باقياً ماضياً يُريدُ الأَمامَا

راسماً للحيَاةِ من قوّةِ الأخْلاقِ ... والدِّين هيْكَلًا وقواما

هَاتِفاً بالشَّباب هبُّوا جميعاً ... ننْشُد الموْتَ أو نعيشُ كِرَامَا

وَصَلَ اللَّيْلَ بالنهارِ يُرَجِّى ... أَنْ يَرى الشرق بَانِيًا هدَّامَا

وَيُعَانى الأَسَى إذا وجَدَ الناسَ (م) عَنِ المجْدِ غَافلين نِيَامَا

يَا دسُوقى إيهٍ بأى مَساعيكَ ... أباهى السِّنينَ والأيَّامَا

يَا أبَاظى المُلَى بأىِّ أياديكَ ... أردُّ العُيونَ إذْ تتعَامَى

يا غزَالى الحجَا تَعالَ تكلَّمْ ... جَاوِبِ الدَّمْعَ ، ناوِحِ الأفْلامَا

وابْكِ عنَّا المُصَابَ إنَّا وقفْنَا ... عِنْدَ هَوْلِ المصَابِ بُكْمًا كظَامَا

قَدْ بكينَا وقدْ رثينَا ولكِنْ ... ما وصَفْنَا ولا كَفَفْنَا الضِّرَامَا

نَضَبَ الشِّعرُ والبيَانُ فهَلَّا ... قمْتَ تُرْوِى الصَّدَى وتشْفِى الأُوامَا

قُمْ تأمَّلْ ترَ المَدَامعَ حَيْرَى ... حيْرَةَ النَّاس والقلوبُ يَتَامَى

ليْتَنَا نُدْرِكُ الحيَاة ونَدْرِى ... أنَّ منْهَا الأَسَى وفيهَا الزِّحَامَا

فإذا ما انتهَتْ فمَا أطْيبَ الأخْرى ... مَصيراً ومَا أجلَّ الدَّوَامَا

رَحْمَةُ اللهِ فوْقَ قَبْرِكَ تَهْمِى ... يا أَبَا النِّيلِ .. نعمةً وسَلامَا

حياة كلها كفاح

للأستاذ إبراهيم خليل رهشاد

أَجلْ : رزْءُ الكنانةِ فيكَ مرٌّ ... ومصرُ مُصابُها بكَ مستحِر
أيدْرِى الموتُ أنك عشتَ حراً ... فلمْ يبلغْك إلاَّ وهو حُر
أبَا الأحْرارِ إنكَ كنتَ حصْناً ... وسفرك ـ تشهَدُ الدنيا ـ أغَر
وما أبكيكَ بلْ أبكِي الأيامَى ... يضمُّك دُونهم فى الأرضِ قبْر
فأنتَ أبٌ ، وأنتَ أخٌ ، وعمٌ ، ... وأنتَ هُدًى ، وأنتَ جدًى ، وبر
ولم أنكِرْ عليكَ الخلدَ إنى ... رأيتُ الخلدَ لمْ يحبسْه عُمر
ولكنْ عزّ أنّى يا دسُوقى ... أبيتَّم فيكَ والكرَماء نزر
فيا لقمانَ ساسَتِنا وقسُّ الأ ... يادى : أمْرُنَا . . والله أمر
فقلْ فى البدْرِ شين وهلْ حماهَا ... أبيحَ وغالها بالأمسِ ذعر
بحاضِرُ شاهِدَاتٌ يا دسُوقِى ... بأنكَ واحد والعصْر عصر
بهَا أوضحْتَ للدنيا جميعاً ... مساوىء كلُّها خِزْى ونكر
ويومُك فى الكفاحِ تراهُ يوماً ... وفعلُك فيهِ أحقابٌ ودهْر
ولستُ أعد ، كم سهْم مريشٍ ... طعنتَ فمَا لذلكَ قط حَصْر
ولستُ أقولُ عنكَ وللكراسِى ... حديثٌ مذْ وَليتَ وأنتَ طهرُ
فإن فجَعْت فناحت فهْى أيضاً ... لهَا كالنَّاسِ إذْ تبكيكَ عذْر
أبعدكَ تزْدهى وبمنْ تُباهِى ؟ ... وبعْدَكَ ما لهَا واللهِ فخرُ
ألم تكُ ثورةً للحق لكنْ ... لها عقلٌ يبصِّرهَا ، وفكر

تَشـدُّ إذا دعَى الداعِي وتهدَا فإذْ بكَ روضةٌ غَنَّا وزَهر

* * *

ودارتْ دورةُ الدُّنيـــا وفيَا تدورُ فأنتَ أنتَ ، وليْس غير
يُشَار إليكَ فى الجلَّى ويُومَى و بيتُكَ كعبةٌ ، والرُّكن حجر
كأنكَ رُقْيـــةٌ تشْفى ويسرٌ و إنكَ رقيـــة حقاً و يُسر
أبَا الأحْرارِ ما قدمْتَ ذخرٌ يَدٌ سلَفتْ إليكَ ، وطَاب ذخر
أعنْتَ على الحيَاةِ بكل وجهٍ وأنتَ المرء لم يَدْفَعكَ شُكْر
فأىُّ الأجْر تطمعُ أن تجازَى وهلْ فَوْقَ الذى جُوزِيتَ أجْر
جَزاك الله عَنْ آدابِ قومٍ أتيحَ لها بعيْن رضَاك نَشْر
جزاكَ اللهُ يومَ فتحْتَ فتحاً بأسلوبٍ لهُ فى النفْسِ أسر
إذنْ فلتبككَ الفصْحى إماماً ويَبكى الشعرُ ، ولينْدبكَ نثر
فنمْ وارتحْ قريرَ العيْن إنَّا ترائُك نحنُ تَسْجيلٌ ، وذِكْر

دموع

للأستاذ أحمد القرعيش

فقدتُ نفسِيَ يومَ الرَّوْعِ والكربِ ... يومَ الفجيعةِ فى الأوْطَانِ والأدَبِ

فقدتُها يوْمَ سارتْ فِى جنازةِ مَنْ ... هزَّ الوجودَ بفقْدٍ غيْرِ مُرْتقب

فِى كلِ قطْرٍ لهوْلِ الخطْبِ صاعِقَةٌ ... وأفدح الرزْءِ ما قدْ حَاقَ بالعَرب

حُزْن أفاضَ على الدنيا فذكَّرهَا ... بِحالِ « يثْرب » يومَ اختيرَ خيرُ نبى

أحسَسْتُ باليتمِ لاقانى على كبرٍ ... أقسمتُ لم ألقَهُ فى يوم مَات أبى

كانَ الرحيمَ وما أقساهُ يومَ نوَى ... هذا الرحيلَ ولم يُخطر بمُغْترب

كانَ الوفىَّ أبا الأوطَانِ إن وفَدتْ ... جندُ المكَارِهِ بالأحْداثِ والنُّوبِ

كانَ الغيورَ على مصْرٍ فآثرها ... بالحبِّ والبذْلِ للأرْواح والنَّشَب

كانَ الكريمَ بلَا مَنٍّ ولا كَدرٍ ... مضَى وآلاؤه تبقَى عَلَى الحِقب

كانَ الشجاعَ فلَا يقعدْ بهمتهِ ... صَعْبٌ من الأمْرِ أو يصرفْهُ عن أرب

كانَ القوىَّ على الأشْرارِ وطأتَهُ ... وبالضِّعافِ رحيم القلْبِ ذَا حَدب

كانَ الوزيرَ الذِى تعنُو الوجُوه لهُ ... يُصفِى الودادَ ضعيفاً غير ذِى نَسب

كانَ الحليمَ وكانَ الحلمُ معجزةً ... لهُ مع الجَاهِ والسُّلطَانِ والحسب

كانَ الوقورَ فلم تشهدْ سَوامره ... حالاً من اللغْو أو حَالاً منَ اللعب

كانَ الخميل إلى الشادين قرَّبهم ... من وحْيهِ فأتَوْا بالسِّحرِ والعَجب

كانَ الحكيمَ كأن الغيبَ منبسطٌ أمامَه دُون أسْدالٍ ولَا حجُب
كانَ العظيمَ سَما بالنفسِ فارتفعتْ فوقَ العظائمِ والأقْدارِ والرتَب
كانَ المكمّل من دينٍ ومنْ خُلقٍ سَما على الوصْفِ والأشْعارِ والخطب
كانَ الجمالَ ولنْ تبلى محاسنُه عَلَى الدهُورِ فلُذْ بالصمْتِ واحتَسب
واجعلْ عزاءكَ آهاتٍ نُرَدّدُها فى كل حينٍ ومرْ بالدمْعِ ينسكب

الموت حق

للأستاذ محمد محمود شاهين

أيُّهَا الدهْـــرُ لم تعدْ مُسْتطابَا ... منـــذُ واريْتَ فى الثَّرى الأحبَابا
وبعثْتَ الآلامَ فى كلِّ نفسٍ ... ومـــلأْتَ الـكئُوسَ مراً وصَابا
وأسلْتَ الدمَـــاءَ من كلِّ عينٍ ... وتركْتَ الدموعَ تهْمِى انصَبابا
وجعلْتَ القلوبَ بالنَّـــارِ تصلى ... وأحَلْتَ الديَار قاعاً يبَـــابا
إيهِ يادهْر فاللَّيَـــالِى حُبَالى ... مثقلاتٌ وقدْ يَـــلدْن العجَابا
والذِى حيَّر العبـــادَ قديمـــاً ... وحديثـــاً فلم يحيرُوا جَوابا
حكمةٌ لم تع العقولُ مـــدَاها ... ما أزالَتْ عنِ العقـــولِ الحجابَا

* * *

لا تلمْنى يا دهْرُ إن حلّ رزءٌ ... وبدَا مَا يُحـــيِّر الألْبـابا
فمماتُ الـكرامِ يُوهِنُ صَـــبْرى ... وذهابُ العِظَام يفْنى الصَّـــوابا
لستُ أدرِى — والموتُ حقٌ — أإبرا ... هيمُ ولَّى عن الحَيَاةِ وغابَا ؟
كانَ بالأمسِ مِلْءَ عَينى وسمْعِى ... وهو اليـــوْمَ قد أطَال الغيَـابا
أيكونُ العظيمُ فِى بَاطنِ الأرْ ... ضِ ونحْنُو فوقَ العظيمَ الترابا ؟
أيُّها القـــوْمُ : كيفَ يجمع قبرٌ ... سحباً فى الندَى وبحراً عُبـــابا ؟
كيفَ وارَى الثرى لساناً فصيحاً ... نسمعُ الشعرَ منـــهُ والآدابا ؟

كَيْفَ يخفى التراب علمـــاً وفضلاً ... وســـداداً وحكمةً وصَـــوَابا ؟
نحنُ نبكيهِ ما حيينَـــا جميعاً ... فيه نبكى تلكَ الخلالَ العِـــذَابا
فيه نبكى السخاء والكرمَ النـــا ... درَ والفضلَ والنَـــدى المستطابا
فيـــهِ نبكى الوفاء والخلقَ المحمُـ ... ـودَ والحلمَ والنُّهَى والصـــوابَا
فيه نبكى شعراً رصـــــيناً وعلماً ... وذكاءً ومنطقـــاً خـلاَّبا
فيـــه نبكى كياســـة وذكاء ... نَال فى كلِّ ذلكَ الإعجـــابا

* * *

ذلكم يَابنى أباظـــةَ خطبٌ ... فادحٌ فاصْـــبروا عليهِ احْتسَابا
ما رأينَا كرزئكم حينَ عمَّ الـ ... ـحزنُ فيـهِ ولا رأينَا مُصَـــابا
هَـــذه مصرُ كلُّها قد بكتْهُ ... ورأينَـــا فِى ذكْرِهِ الإطنَابا
ولكُمْ فى الرَّسُـــولِ خيرُ عزاء ... فَبِـــه يؤتَسى إذَا الخطْب نابا
واعْلمُـــوا أن فيكمُ أشـبالاً ... وأسوداً تحْمِى عرينـــاً وغابا
إن يمتْ سـيدٌ يقمْ سيدٌ منْ ... بعْـــدِه يحزمُ الأمورَ الصِّعَابا
فاصْـبروا أيهَا الكرامُ تكُونوا ... عندَ رب العبـــادِ أعْلى جَنابَا
أسكَن اللهُ جنـــةَ الخلدِ إبرا ... هَيم حتَّى يضفِى عليْـــهِ الثوابا

فقيد الشرق

للأستاذ سيف النصر عبد العزيز المجلى

عُذْراً إذا لمْ تُسْعفِ الأبْيـاتُ ... سَارتْ وراءَ مَسـيرِكَ الآياتُ

ومضَتْ تحثُّ ركابَها فى خطْوكمْ ... نفسٌ مُشَـتَّتَةٌ بهَا الغَايَات

لمْ تدْرِ بعْدَ فِراقِكمْ : ما حَالُها ؟ ... قدْ وزَّعتْها بعْـدَكَ الحَالات

سُدَّت نواحى الكون فى وجهى كما ... فتحت لنـا فى ظلك الطرقات

عصَرتْنى الأحْداثُ قبْلكَ لم ألِنْ ... وتكفَّلتْنى بعْـدَكَ الحسَرَات

وأنَا الذى مَاهـدَّه خطبٌ وَلَا ... أعْيتْه أحْـداثٌ ولَا عِلاّت

قَد كنتَ دهرَ الشَّاعرينَ وحصْنَهم ... إمّا عـدَا عادٍ ؛ وَعزَّ حُمَـاة

فغـدَا بيانُ الشَّاعرينَ وسِحْرُه . ... حُزْناً تخطُّ سـطورَه الآهات

قد سُوِّدت صَفحاتُه من بعْد مَا ... قدْ أشْرقَتْ بصنيعك الصَّفَحات

وتضوّعَتْ أزْهارُه حزناً وكمْ ؟ ... بَسمَتْ عَليْهَا باسْمكَ الزهـرات

زَرْعٌ زرَعتَ لنَا فأخرجَ شَطْأهُ ... مَاتَتْ عَلَى أغْصـانِه الثمَّرات

***

فاعـذُرْ إذَا لم تُسعفِ الأبْياتُ ... سَارت وراء مَسـيرِكَ الآيَات

غابتْ وكنتَ لهَا الخلود فلم يَعُدْ ... يُرْجَى لهَا خُـلْدٌ ولَا غايَات

***

منْ لِلْبلاغةِ والفصَاحةِ والنهَى ؟ ... إنْ قيلَ لِلفُصَحاء يَوْماً : هاتوا

مَنْ لِلعُروبةِ حَامياً وَمُنَاضِـلاً ... إنْ طوّقتْنا بعـدَكَ الظُّلمات

قد كُنْتَ وَحْدَكَ لِلعُروبَةِ مؤْئِلاً ... لا تَنْثَنِي فِي كفِّكَ العزَمَاتُ
كَمْ ذُدْتَ عنْهَا فى مواقِفِكَ الرَّدى ... وتَخَاذَلَتْ فِي سَاحِكَ الطَّعَنَاتُ

***

يا أيُّهَا السَّـــارِى إلى غَاياتِهِ ... مَهْلاً فلمـــا تَنْقَضِ الحاجَات
وَلمَنْ يكونُ المجْدُ بعـدَكَ عالِياً ؟ ... وأكفُّنَا لِسَنَاكَ مُبْتَهِـــلات
أقسَمْتُ لَا بلْ أقسَمَتْ مصْرُ التى ... شَهِدَتْكَ لا تسْعَى بكَ الشَّهوَات

***

يابَانِى الخُلقِ الرَّفيعِ لأُمَّـــــةٍ ... قلْ لى أبْعَـــدَكَ لِلْحياةَ بُنَاة ؟
وَهلِ السَّمَاحَـةُ والمروءةُ والنَّـدَى ... طُويتْ عليْهَا بعْـدَكَ الصَّفَحَات
ولَّتْ وراءكَ لا تُطلُّ عَلَى الورَى ... دفنتْ وراءكَ فجْـرَها الهمَّات
غَابتْ وكنْتَ لهَا الشروقَ فلم يَعُدْ ... يُرجَى لهَا نُورٌ ولَا لَمَحَـــات
فاعْـــذرْ إذَا لم تسعفِ الأبْيَاتُ ... سَارتْ وراءَ مَســـيرِكَ الآيات

***

يَا راحلًا أدمى فؤادى نعيـــه ... وتقاذفَتْ أبْيَـــاتى الحسَرَاتُ
قدْ مزَّقتنِي آهَـــةٌ مكتومَةٌ ... والحُرُّ تَقتـــلُ قَلْبَه الآهَات
إنى رأيتُ وفودَ قبرِكَ حـوله ... فكأنمَا حُشـــدَتْ بهم عَرفَات
هذا الجَلَالُ على الأكف مشيعاً ... تَمْضِى به الحسَرات والآفَات
نَضَبَ البيَانُ وكسَّرتْ أقلَامـهُ ... واستنْزَفتْ دمهَا لَكَ العـبَرات

***

فانْعم « دسُوقِ » فى جنَانكَ عالياً ... سَـعِدَتْ بكمْ مِنْ دُونِنَا الجنَّات
واعـذرْ إذا لم تسعفِ الأبْيَات ... سَـارَتْ وراءَ مسـيرِكَ الآيات

***

ودَّعْتُ نفسى فى الحيَاةِ فلمْ يعُدْ ... لِى بَعْدَ موْتكَ فى الحيَاةِ حَيَاةُ

حصن تهدم !!

للأستاذ عبد الوهاب عبد الغفار

متى يشتفى هـــذا الفؤاد المفجع ... وفى كل يوم راحـــل ليس يرجع

تميل بنا الدنيا إلى ظـــل مزنة ... لها بارق فيـــه المنية تَلْمَعُ

وكيف يطيب العيش والمـرء قائم ... على حذر من هـــول ما يتوقع

بنا كل يوم للحـــوادث وقفة ... تسيل لهـــا منا نفوس وأدمع

تسير بنا الأيام والمـــوت موعد ... وتدفعنا الأرحام والمـــوت يبلع

عفاء على الدنيا فمـــا لعداتها ... وفاء ولا فى عيشها متمتـــع

* * *

هيه يا دنيا ، تجمعين هذا الحشـــد من كل فج ، فى صمت بالغ ، وسكون رهيب ، وعواطف والهة ، تحس لوعة الأسى ، ومرارة الفراق ، وحرارة الفجيعة ، فى عزيز يجل عن خطبه العزاء ، ولا يجدى الدعاء ولا الفداء .

تهدمين يا دنيا حصناً من أمنع حصون الوطنية ، وتسقطين علماً خفاقاً من فخر الثورة المصرية . تمدين يدك فى غـير رفق إلى ابن مصر البـكر ، الذى وهب حياته لوطنـه ، فعاش له ، ومات فى سبيله ، وحرمت الشرقيـة ودائرة بردين من أعز من أنبتت عميداً صارع الحياة من أول لمعة من نور شبابه الوضاء فى جهاد وطني مرير ظل فيه جوالاً صوالاً ، لا يعرف الرفق بنفسه الـكبيرة ، حتى ألحت

عليه علة الجهد فى هذا الميدان الذى لا ينتهى إلى حد ، فصرعته المنون ، بعد أن أخذت منه السنون ، وتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجـد لسنة الله تبديلا — فنعاه الناعى فأصم ، فدوّت جنبات الوادى بصيحات النذير الأليم . مات الوطني العف الكريم ، مات دسوقى أباظه النائب الشهم العطوف الرحيم — فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فكان فقده خطباً للوطن جسيما ، ورزءاً أليماً .

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

***

سادتى : هتف بى هاتف الوفاء فلبيت ، وأهاب بى داعى التقدير فأجبت على مابى من علة ووهن ، لعلى أوفق فأؤدى حقاً وجب ، وأذكر الجميل لمسديه ، والعرف لذويه ، وإنى لأستميحكم عذراً وعفوا إذا قصرت ، فإننى فى حيرة من أمرى ، وحق لى ولغيرى أن يقع فى التقصير والحيرة ، فنحن أمام ذكرى تنحنى أمامها الهامات ، وترتاع القلوب؛ ذكرى كلها روعـة وجلال ، ورهبة وقدسية ، تملك النفوس ، وتحبس الأنفاس ، وتوهن الوعى ، وتزلزل المنطق السليم . . .

إنها ذكرى بطل :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

حياته الغالية سجل حافـل بجلائل الأعمال ، تقرأ فيه تاريخ أمة فى فرد ، وبطولة جيل فى بطل . ولقد كان بودى أن تواتينى الفرصة فأحدثكم عنه حديثاً فياضاً يلم بكل أطراف حياته ، ويشـيد بجميع مناقبه وصفاته ، ولـكن حسبى أن أسرد لـكم طرفاً على قدر ما يتسع له المقام .

نسبه : هو ابن المرحوم ابراهيم بك رجل الورع والتقى ، وجده السيد أباظه باشا أول من نال لقب الباشوية فى مصر ، فهو غصن دوحة كريمة أنبتت عباقرة

مصر الأفذاذ ، ورجالها الأمجاد ، تقلب بين أعطاف النعيم ، يحوطه ورع أبيه ، وتكنفه تقواه، فنشأ ربيب الفضيلة، وعنوان الأدب العالى، فأنبته الله نباتاً حسناً ، ودرج فى حجر السمو والكمال ، فتأصلت فيه روح الكرامة والإباء، والخلق الرفيع وعاش زهرة ناضرة بين لداته وأقرانه فى جميع مراحل التعليم ، وبدت عليه منذ نعومة أظفاره أمارات النبوغ ومخايل الذكاء ، فكان مثلا أعلى يقتدى به ويركن إليه ، ويستجاب له .

ولقد شغف بالأدب منذ صباه ، ورسم به خطوط الحياة فى كل مناحيها وصورها فى مقالات رائعة ، ومهرها بالغزالى . كما أولع بالشعر فقصد القصيد ، وجال فى رياض الأدب فاقتطف منها اليانع النضير ، فصاغه فى عقد ثمين ، وذوق سليم . وسحر حلال ، وهكذا ظل يدارس الحياة علماً وأدباً حتى أتم حلقات الدراسة على خير ما يكون نضجاً ، وإدراكا ، وعبقرية ، ووطنية .

ثم شاءت المقادير أن ينتظم فى سلك الموظفين من رعاة الأمن ، وحراس العدالة ، فتجرى الحوادث سراعاً ، وتهب مصر فى ثورة عاصفة على المستعمرين سنة ١٩١٩ ، فيكيدون لمصر ويسومون أبناءها عسفاً ، فيحرقون ويدمرون ويقتلون ويستبيحون الأعراض، فإذا به أول من يثور — وهو موظف مسئول — فيعلن سخطه ، ويترك عمله ، ويحتج احتجاجاً صارخاً على هذا العدوان الوحشى البغيض ، وسلط أدبه الثائر سوطاً من عذاب على المستعمرين ، ورماهم بشواظ من نار، لا يخشى بأساً ، ولا يرهب قوة ، ولا يخاف عاقبة . فهو أول شاب مصرى فى مقتبل العمر وسلسل النعمة والجاه — يضع رأسه على كفه — غير هياب ولا وجل — قرباناً لوطنه العزيز .

ومنذ ذلك الحين وقف حياته على مصر لحمل علم الجهاد مع أساطينها فى الرعيل

الأول، فشب وترعرع فى أحضان الثورة والتضحية فعرف حق وطنه عليه ، و بقى مكافحاً مع المكافحين حتى نال الوطن بعض ماله من حقوق ، وأصبح له دستور وممثلون للأمة فى مجلسى الشيوخ والنواب، وهنا يبدأ طور جديد فى الحياة السياسية يكون فيصلا فى الحكم على الرجال .

تقدم الراحل الكريم للنيابة عن دائرة بردين فخظى بهما مرات ، وكان من الشرف أن يمثلها الوطنى القوى الأمين، و إنه لمن القول الكريم أن تسمعوا على هامش النيابة فى هذه الدائرة ما يجعل الفقيد العزيز فى صف الملائكة الأبرار :

فقد شاءت الأقدار أن ينافسه أحد أقربائى فى تلك الدائرة ، فتكون المهاترات وتشتد الخصومات واللدد إبان المعركة ، ويتعكر الصفو ، وتقع الأحداث وكل يتربص بأخيه الدوائر ، حتى إذا ما انقضى الأمر انقشعت السحب القاتمة ، وعادت المياه إلى مجاريها ، وكان له فضل البدء فى وصل ما قطعته الأيام . فكان المجامل فى المآسى لا تنفصم عرى صداقته ، ولا يسف فى خصومته ، وظل جاراً كريماً يعرف حق الجوار ، و يقدس تقاليد الحب الموروث، و يعز عليه أن تثلم كرامة الناس على مذبح الشهوات .

ولقد عاش مثلا أعلى للنيابة ، مناضلا مكافحاً يحفظ كرامتها ، و يؤدى حقوقها فى حرص وأمانة ، و يضحى براحته ووقته وماله لا يبغى جزاء ولا شكورا .

ولما تبوأ دست الوزارة مرات عدة بقى فى طبعه يعطف على الصغير و يرعى الحرمات و يجبر العثرات و يرد اللهفات و يمسح بيده على اليتيم والفقير والمحروم و يحسن إلى الناس أجمعين و يفتح أبوابه لذوى الحاجات يكلمهم فى هدوء المتواضع الرحيم و يحقق أمانيهم بنفس طيبة رضية .

وأشهد لقد زرته بقصره ووجدت أبناء صغار الفلاحين يسرحون حوله

ويمرحون ويلعبون أمام ناظريه وهو مبتهج لهم يبادلهم حباً بحب فذكرنى موقفه هذا برفق سيدنا عمر بن الخطاب عليه رضوان الله .

وقد عاش نقى اليد طاهر الذيل لايعرف ملقاً ولا رياء يأتى الأمور فى صراحة ووضوح ولم تحدثه نفسه (وهو صاحب السلطان) لا يستغل نفوذاً أو يعمل للثراء من دم الوطن، أو يعبث بحقوقه لحسابه وحساب أقاربه وأصهاره والمحسوبين عليه ولقد رماه حساده بعد قيام الثورة الأخيرة فى العهد الجديد بدائهم وكان رحمه الله حساساً مرهف الحس فأسرع بتقديم نفسه إلى القضاء ولكن وارحمتاه فقد عاجله القضاء .

ولقد أعاد للأدب عصر الرشيد وأقام له الندوات يجتمع فيها الشعراء والكتاب يكتبون ويخطبون ويتناشدون ويتنقلون بين أعطاف الوادى الرحيب حتى أحيا سوق عكاظ وألبس الأدب حلة بهيجة تبلى الأيام وتبقى زاهية نضيرة .

وإن أجمل ما يفخر به أنه كان أول المحافظين المتمسكين بأهداب الشرع الشريف يبرأ من تلك المدنية الفاجرة الصاخبة التى تحل الاختلاط بين الجنسين وقد عاشت الفضيلة فى أحضان بيته وعاش من معه كراماً أطهارا .

ولقد عنى أشد العناية بتربية نجليه العزيزين ثروت وشامل رعاهما وسما بهما صعداً إلى الذروة فى مراقى الحياة علماً وخلقاً وأنعم الله عليهما فى ظله نعمة النجاح والفلاح وإنهما لخير خلف لأكرم سلف .

تلك قطرات من بحر زاخر نسوقها فى موكب الذكرى لعل النفوس الحسيرة تطمئن إلى أن الراحل العزيز أتمّ رسالته على خير ما يرجى ، وأنه خالد بما عمل ماثل بما قدّمت يداه ، فهو لم يمت ولكنه ارتحل إلى عالم الخلود ليلقى جزاء الأبرار كما ارتحل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد أن أدوا رسالتهم فى الأرض واختارتهم السماء .

فعزاء لمصر فى بطلها الذى وقف حياته لأجلها ومات فى سبيلها .

وعزاء إلى دائرة بردين والشرقيـة فى ابنها البار وعميدها الذى قلما يجود بمثله الزمان .

وعزاء للبائسين والمعوزين واليتامى والأرامل والمنكوبين وللأصدقاء والأجانب فقد فقدوا الرأى الصائب والحب الوثيق .

عزاء الأدب فستقفر مغانيه وتذبل معانيه ويتولاه الأسى بعد رائده ومحييه .

عزاء أولاً وآخراً لبنيه وأسرته وذويه فقدكان لهم ركناً ركيناً وكنزاً ثميناً وراعياً كريماً أميناً .

عوَّضنا الله فيـه جميعاً خيراً ورزقنا صبراً جميلاً وأنزل عليـه شآبيب الرحمة وجعل قبره روضة يانعة يستمع فيها إلى نداء ربه الحبيب :

« يَـأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى » .

دسوقى الخالد

للأستاذ توفيق عوضى

تولَّتْ بشاشاتُ الحيـــاةِ وغودرَتْ ... مباهجُهـا صرْعَى بغـدْرِ الفواجع
وصَـدَّعنى ناعى الدسُوقِى بنعْيِـــه ... فقـدْ نعَى النـاعى بأدْهَى الصَّوادع
وجدَّدَ أسْـقَامى و بلْبـلَ خَاطِرِى ... وأفْعمنِى حُزْناً أقَضَّ مضَـــاجعى
فأصبحْتُ أمشِى سَـاهم النَّفس خاشعاً ... وما كنتُ قبْـلَ الرزْءِ فيـه بخَاشع
فمَنْ كَانَ مَحْزوناً عليْـهِ فإنَّنى ... أحِسُّ احتراقَ القلْبِ بيْنَ الأضَـالع

* * *

فمَنْ لِرُبُوعِ النِّيـــلِ يَأْخذُ حقَّها ... ويدفعُ عنْهَـا كلَّ عادٍ وطامع
مواقفُـــهُ فى البـدْرشين كفيلةٌ ... بتخْليـدِه بيْنَ الشُّموسِ السَّواطع
فقـدْ سعِدتْ منْـه بخيْرِ مجـاهدٍ ... يُحرّرُ أوْطاناً — وأسمى مُـدافع
ومنْ للبيـان العبقرىّ يصُوغـه ... فيملؤُنا سـحْراً بشتَّى الرّوائع

* * *

مضَى الماجدُ السَّمحُ الذى إن قصدتَهُ ... لحاجٍ فلا تأْتى إليْـــه بشَـافع
سجيَّةُ مطْبوعٍ على النُّبْـلِ والنَّدى ... تفيضُ يداه بالغيوثِ الهَوامع

* * *

فيـا أوحداً فى فضْـــله وخَلاقِه ... قد كُنتَ ضخمَ المجـد جمَّ التواضع
أناديكَ لِلآداب — راحَ عميـدُها ... ورائدُها الأعلى ـ فهلْ أنتَ سامعى ؟
إذا ذَكرتْ نفسى سَجاياكَ مضَّنى الـ ... ـفِراقُ وجاشتْ بالدمُوعِ مَـدامعى
لئن خَلَتِ الأيامُ منكَ فإنمَـا ... تُفارِقُهـــا معمورةً بالصَّـنائع
وفضلُكَ فيهَـا ذائعُ الذكْرِ خالد ... ومعروفُكَ المعروفُ ليس بضـائع

فقيد الشعر

للأستاذ أحمد موسى عفيفى

يَا شعْرُ أوْلَى أن تَذوبَ منَ الكمدْ ... فقد اختفَى البدْرُ المنوّرُ والسَّندْ
يا شعْرُ لنْ تجزِى الفقيدَ صَنيعَهُ ... يا شعْر حتَّى لو تنوحُ إلى الأبد
هُو منْ حباكَ غرامَه وحِبَاءهُ ... وحماكَ منْ أهْل العداوَة واللَّدَد
يَا شعْر ليْتَ اللّحْد ضَمَّكَ قبْلَه ... أتُراك تخطو بعْدَ ماهُو قَدْ رقَد
أتقُولُ شِعْراً بعْدَه — لا والذى ... أخْفَى سَنَاهُ لنْ يكونَ لنَا جَلد
أم هَل سيبْسِمُ شاعِرٌ منْ بعده ؟ ... كلاَّ — فليسَ الشَّاعِرُون منَ الجمد
حسبُ القصَائد أن تظلَّ بقبْره ... كَفناً يضمُّ نَسيجُه أنْقَى جَسَد
سَنودِّعُ الأشْعَار تشْقى بعْدَه ... محروقةَ الأنفاسِ وجْداً والكبد
النيلُ روَّعه المصَابُ فلمْ يكُن ... إلَّا نصيرَ الحقِّ فِى هَذَا البَلَد
يَا مِصرُ آزرَك الإلهُ فإنه ... جيلٌ بأكملِهِ منَ الدُّنيا افتقد
كمْ صَال فِى جنَباتها منذُ الشباب ... مُكافحاً فِى قوةٍ مثل الأسد
وَيكرُّ بالرَّأْىِ السَّديد كفَارس ... إيمانُهُ فى المعْمعَانِ لَه زَرد
لمْ يخْشَ بطْشَ المستبدِّ ولمْ يرع ... عندَ البلَاء منَ المشَانقِ والرَّصَد
وَلىَ الوزَارةَ فاسْتعَان بحوْلهَا ... ليقيمَ ظهْرَ العَاجزينَ منَ الأوَد
لِيُيسِّرَ الرزقَ الحلالَ لمِعْدمٍ ... حرم الحياةَ ولَم يَذُقْ معْنَى الرَّغد
كمْ منَّةٍ أسْدَى وكمْ صنعَ المحا ... مدَ مَا حَيِينا ليْسَ يَنْسَاها أحَد
منْ كتعْدَادِ النجوم كثيرةٌ ... إذْ ليْسَ يُحْصيهَا حِسَابٌ أوْ عَدد

تِلْكَ البيُوتُ . العَامِراتُ بفضْـله ... ستبيت تذكُره إلى أقْصَى الأمَد

نمْضِي إليْـــــه فى الزِّحَام مواكباً ... ونطوفُ نلتمسُ الشفَاعَـةَ والمَدَد

أيْن التَّواضُع بَعْده أيْنَ الكمالُ ... الجمُّ والأخْلَاقُ والرأْىُ السَّدد ؟ ؟

أين الفُـؤادُ السَّمْحُ بعْدَ فؤادِه ... أيْنَ الخلىُّ منَ الشَّوائبِ والحَسد ؟ ؟

قدْ كَان موردَنَا الذى منْ فيْضِـه ... نضرت به الأرْوَاحَ والقلبُ ابْتَرَدْ

ما أرْوعَ الأصْـدافَ عندَ ضِفَافِه ... حِلٌّ لكلِ القَاصِدينَ وَمَنْ وفَد

قدْ غاضَ هـذا البحْرُ بعْدَ مَسيره ... لم يبْقَ شيء بَعْـــدَه إلاَّ الزَّبد

يا ليْتَه قدْ أبْطأتْ أيَّامُـــــه ... والمَوْتُ لم يُسْرعْ خُطَاهُ . . واتَّأَد

اللهُ يَرْحمـــهُ ويُنزلهُ الجنَانَ ... الفيحَ يَنْعَمُ بالجِوارِ وبالرَّغَـــد

أرْضَى الإلهَ الحقَّ طُولَ حيـــاته ... بِصَلاتِهِ فكَم اسْتقَامَ وكَمْ سجَد

مات الدسُـوقِى لم يَحمْ فِى خاطِرى ... هذا المصيرُ ولَمْ يَدُرلىَ فِى خـــلَد

« ماتَ الدسُوقِى » يالهَا من نكبةٍ ... قدْ أفْزعتْنى واســـتبدَّ بىَ النكَد

لو كنتُ أمْلكُ أفْتديكَ لـكنْتُ ... نفسِى فِى الفدَاء وكَانَ مَالِى والْولد

أقسمْتُ أحْطمُ بعْـدكمْ قيثَارتى ... وأمزقُ الأوتَار تخْرسُ للأبَـــد

أيقظْتَ أنتَ مَواهِبى ومشَاعِرى ... فلَمَنْ سوَاكَ يكُونُ شَدْوى والغَرد

أأقُولُ صبْراً يا أباظَةَ — ليسَ يَنْفَع ... أنْ أقولَ فكلُّ صَـبْرٍ قدْ نَفَد

أُلهِمْتُمُ الصَّبرَ الجميـــلَ فأنتمُو ... العارفُونَ وأنْتمُو أهْلُ الرشـــد

خطب العروبة

للأستاذ محمد رشاد إمام

لا الدمعُ يُجْدِى ولا الأوزانُ تكفينى ... فى بثِّ حزْنِى وفى إعْلَان مكْنُونى

إنِّى أبيتُ على الآلامِ مُحْتسباً ... بين الضُّلوعِ جوًى كالنَّار يُضنينى

فإنْ نطقتُ فأنّاتٌ أردِّدُها ... وذاكَ غايةُ إفْصَاحى وتبْيِينِى

وإن بَكيْتُ فذوبُ القلبِ أسكبهُ ... على عَزيزٍ طواهُ الموتُ مكْنونِ

فى القلب صُورتُه فى الكون آيتُه ... كالشَّمْسِ ظاهرَةٌ كلَّ الأحايين

هو الدُّسُوقي ومنْ ذَا ليس يعرفُه ... لهُ على النَّاسِ فَضْلٌ غيرُ ممْنون

اليومَ يبْكيه أهلُ الفضْل قاطبةً ... فالكلُّ ما بيْنَ مكْلومٍ ومحْزُون

يَبْكُون فيه صفاتٍ جلَّ واهبُها ... عَبيرُها فوقَ أنْفَاسِ الرَّياحين

قد صَاغه اللهُ للأمجَاد مفخرةً ... والمجْدُ فى آله الغُرِّ الميامين

من طبْعه الجودُ والمعروف شِرعتُه ... يقضى الحوائجَ فى يُسرٍ وتهوين

فى برِّه لجميعِ الخلق متَّسعٌ ... لا فرقَ بين أخِي عزٍّ ومسكين

وابنُ الأكَابرِ ما أحلى تواضُعَه ... قد خُصَّ بالحلمِ والإحسَانِ واللِّين

وإن تولَّى أمورَ النَّاسِ كانَ لهم ... مِحْرابَ عدلٍ فلمْ تَظْفَرْ بمغبون

هوَ الوزيرُ الذى كانَتْ سيَاستُه ... جدًّا ونفعاً وعدلاً فى القوانين

هوَ الأمينُ عَلَى أوطانِه أبداً ... وفى صحَائفه خيرُ البرَاهين

كذَاك أخْلاقهُ كانت مطهرةً ... قد صَانهُ اللهُ فى خُلْقٍ وفى دين

بنى العروبةِ هذَا الخطبُ خطبُكمُو ... وتلك فاجعةٌ للضَّاد تُبكيني

قد كان رائدَها المجْدِ حارسَها ... غدتْ بهمتِه فى خيْرِ تحصين

كم كان فى روضه من بلبل غرد ... يلقى بأبدع منظوم وموزون

يا دولة الشعر أدى بعض واجبه ... وإن يشق علينا يوم تأبين

لكنه حكم قهار إرادته ... على خلائقه بالكاف والنون

يا ناعماً بجنان الخلد معذرة ... إن قصر القول عن إدراك مضمون

أنت العظيم الذى ذاعت محامده ... فهى الغنية عن وصف وتبيين

يا رحمة الله صبى فوق ساحته ... وأكرمى حامى الأخلاق والدين

يا رب متعه بالفردوس يسكنها ... واقبل دعائى له واسمع لتأمينى

وأنزل الصبر يا رحمن يشملنا ... وبارك الأهل واجبر كل محزون

صديق صدوق

للدكتور محمد حسين هيكل

يرحمك الله يا صديقي عدد حسناتك . ولئن كان عدنا يخطئها لكثرتها ، إنها عنده جل شأنه في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى .

أما والله يجزي الحسنة للبشر بعشر أمثالها فما أعظم أجرك عنده . فجزاء الله المحسنين عظيم . وحسابه الظالمين يوم يلقونه عسير .

لقد قضيت حياتك من يوم نشأت إلى يوم لقائك ربك، وحب الوطن يجري مع الدم في عروقك ، وخدمة الوطن آثر عندك من كل عزيز عليك ، والإيمان بالله ومخافته وتقواه وحده لا شريك له نبراس هداك في حياتك الخاصة ، وفي حياتك العامة . فلك عند الله أجر المؤمنين الصادقين المتقين ، ولذكراك في نفوس بني وطنك الإكبار والإجلال والتكريم .

عشت يا صديقي نزيهاً أبياً وفياً ، وخدمت وطنك نزيهاً أبياً وفياً ، ولقيت ربك يوم دعاك لجواره طاهراً أبياً وفياً . والله يحب من عباده الأباة الأوفياء والمؤمنين الأتقياء .

* * *

نشأ دسوقي أباظه وسياسة بلاده تجري مع الدم في عروقه . وقضى وهذه السياسة شغله وشاغله . لم ييأس قط يوماً ولم يلق سلاحه . ولم يقل قط يوماً . . نفسي .. بل كانت قولته دائماً .. وطني .. وبني وطني .

ولم يحبس نشاطه يوماً فى دائرة محدودة ، بل كان هذا النشاط يفيض دائماً إلى كل ناحية يرى الرجل فيها خيراً لوطنه . ذلك أنه كان رجل عقل ، وعاطفة وشعور دقيق ، وكان متمسكاً بأهداب دينه محباً لتراث الإسلام والعروبة فى تسامح مع أبناء وطنه جميعاً وإكرام لهم جميعاً . لهذا كله لم تكن مشاغله فى السياسة لتنسيه الأدب والشعر ، ولا كان الأدب والشعر لينسيه السياسة أو شئون الاجتماع، أو أياً مما يمس هذا الوطن فى حاضره وفى مستقبله ، وفى صلة الحاضر والمستقبل بالماضى العزيز عليه ، الحبيب إلى قلبه .

كان دسوقى أباظه رجل عقل، وعاطفة ، وشعور دقيق . وكان عقله وعاطفته وشعوره تتضافر كلها فى توجيه حياته السياسية . ولقد كان حريصاً على التقاليد التى ورثها عن آبائه وأجداده ، والتى ورثها عن قومه فى ماضيهم ، فكان لا يرى الخروج على هذه التقاليد فى حياته الخاصة ، وكان يؤثر المحافظة عليها ما استطاع فى الحياة العامة ، وكان يعتز بها اعتزازه بنفسه ، لأنها كانت بعض نفسه ، لم يثر عليها ، ولم يكن يرضى الثورة من غيره عليها إلا أن تحمله الصداقة والوفاء على السكوت على هذه الثورة يقوم بها صديق يحبه ، أو زميل سياسى يحرص على زمالته .

وكان اعتزاز دسوقى بنفسه عميقاً فى أغوار نفسه . كان فى صباه وفى شبابه الأول، من أنصار مصطفى كامل، والحزب الوطنى عن عقيدة وإيمان، دفعاه ليكتب فى جريدة اللواء لسان الحزب ، مقالات وطنية تفيض بحرارة الشباب وقوته . ولقد أراده والده على أن يتفرغ لدراسة الحقوق، وألا يكتب فى السياسة فلم تطاوعه نفسه على أن يفعل ، بل استمر يكتب بحرارة ضاعفتها هذه النصيحة .

فلما كانت ثورة سنة ١٩١٩ واتحدت كلمة الأمة بعد توكيلها الوفد المسافر إلى

مؤتمر السلام بفرساى ، وكان قد أتم دراسة الحقوق ، وانتظم فى خدمة الحكومة ، أبت عليه نفسه إلا أن يترك خدمة الحكومة احتجاجاً على بطش البريطانيين وأن يندمج فى هذا النشاط الوطنى الجديد ، وأن يبرز فيه مشبوب العاطفة ، جم النشاط قوى الإيمان مندفعاً فى الاتجاه الوطنى الذى كان مندفعاً فيه إذ كان يؤيد مصطفى كامل والحزب الوطنى . فلما تألف حزب الأحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٢ انضم إليه وحماسته هى حماسته ، وعاطفته الوطنية على أشدها ، ونشاطه لا يفتر ، وحرارة الشعور المتدفق تدفعه بالقوة التى كانت تدفعه بها يوم كان طالباً للحقوق يكتب مقالاته فى جريدة اللواء .

رفعته صفاته هذه إلى مكان الثقة من نفوس رؤساء الأحرار الدستوريين وزعمائهم ، فكان أثيراً عند المغفور لهم : عدلى باشا يكن ، وعبد العزيز باشا فهمى ، ومحمد محمود باشا . واختاره محمد باشا حين ألف الوزارة فى سنة ١٩٢٨ مديراً لمكتبه ليكون الحفيظ الأمين على سره ، فهو موضع ثقته واحترامه . وكان محمد باشا ، وهو الزعيم النبيل النزيه ، يكبر فى دسوقى نزاهته وطيب عنصره وسماحة نفسه وكرم خلقه . ولقد اتصل ما بين الرجلين من ثقة واحترام إلى أن اختار الله محمد باشا إلى أكرم جوار وأعزه .

ورغم هذه الصلة الوثيقة فقد أبى اعتزاز دسوقى بنفسه إلا أن يخالف الأحرار الدستوريين ، وعلى رأسهم محمد باشا محمود ، حين قرروا وقرر الوفد المصرى متضامنين ، مقاطعة الانتخابات التى دعيت الأمة إلى خوض معركتها فى سنة ١٩٣١ ، ، كما قرروا التمسك بدستور سنة ١٩٢٣ . خالف حزبه وانقطع عنه وخاض معركة الانتخابات ونجح فيها كما نجح فى كل معركة انتخابية خاضها . على أن انقطاعه عن الحزب ومخالفته قراره لم يحملاه على التنكر له

أو الانضمام إلى حزب غيره . بل لقد ظل وكله البر بماضيه فى الحزب ، والوفاء للحزب ولرئيسه ، حتى لقد عرض أحد النواب فى ذلك المجلس الذى قاطعه الأحرار الدستوريون بكلمة لسياسة محمد (باشا) محمود، فأبى الوفاء على دسوقى أباظه إلا أن ينبرى لهذا النائب و يرد عليه و يرد بذلك غيبة رجل لم يكن حاضر المجلس ليدافع عن سياسته ، ولم يثر هذا الصنيع الكريم من دسوقى عجب أحد ، لأن الجميع عرفوا فيه الوفاء واحترام الذات واحترام غيبة الأصدقاء .

وعاد دستور سنة ١٩٢٣ وعاد دسوقى سيرته الأولى مع الأحرار الدستوريين . عاد يناضل معهم فى سبيل النزاهة والحرية وسلامة الحكم من كل فساد . وكان قد نجح فى انتخابات سنة ١٩٣٦ كما نجح فى غيرها من الانتخابات ، فكان ساعد محمد (باشا) محمود الأيمن فى البرلمان وخارج البرلمان ، وكان من ذوى الكلمة العالية المسموعة بين نواب الأحرار الدستوريين ، وكان لا يكتفى بالدفاع عن رأيه ونضال خصومه داخل مجلس النواب ، بل كان يلجأ فى كثير من الأحيان إلى قلمه يسطر المقالات و ينشرها فى الصحف دفاعاً عن رأيه ، ومقارعة لخصومه .

نجح دسوقى أباظة فى جميع المعارك الانتخابية التى خاض غمارها . ذلك بأنه كان رجلاً متألقاً لقومه ، محبو باً منهم جميعاً ، صغاراً وكباراً ، أغنياء وفقراء ، خاصة وعامة ، لأنه كان لهم أكثر مما كان لنفسه ، ولأنهم كانوا يعرفون فيه الوما - للنزاهة بقدر ما كانوا يعرفون فيه الكرم وسماحة الخلق . ولئن ضاقوا بنزاهته أحياناً ، لأنها كانت تقف ون مايرونه مشروعاً ، من مصالحهم الإقليمية ، لقد أكبروا فيه كل خصاله وشمائله ، وقد رأوا فيه أباً وأخاً وصديقاً لهم جميعاً ، ولكل فرد من أفرادهم ، فلم يكونوا يضنون عليه بثقتهم ، بل كانوا يهرعون لتأييده كلما دعاهم لهذا التأييد ، وكانوا يرون عملهم هذا واجباً محبباً إليهم أداؤه عن طيب نفس و رضاً .

وكان كلما تجدد انتخابه ازداد نشاطه ، وازدادت حماسته لحزبه ، لأنه كان يرى حزب الأحرار الدستوريين ميزان التعادل فى حياة مصر السياسية والاجتماعية والحكومية ، سواء أكان الحزب فى الحكم أو فى المعارضة . وقد كان دسوقى من حزب الأحرار الدستوريين فى أقصى الجناح الأيمن . ذلك بأنه ، على إيمانه المتين الثابت بالحرية و بالديمقراطية كان لا يؤمن بالطفرة الاجتماعية ، بل يراها خطراً على مجتمعنا المصرى . ولهذا كان لا يطيق أن يسمع حديثاً عن الشيوعية ولو لمجرد الحديث فإذا ذكرت الاشتراكية سلم بما احتواه الإسلام من مبادئها .

وإذ كانت الاشتراكية الإسلامية واسعة المدى، فقد كان من أنصار الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى فى حدود هذه الاشتراكية الإسلامية . ولعله كان من أنصار هذا الإصلاح كذلك، انتصاراً لفكرة العدالة الاجتماعية ، لأنه كان شديد الحدب على الطبقات الفقيرة ، يرعاها رعاية خاصة ، ويرى فى رعايتها قربى إلى الله يطمئن لها قلبه ، ويستريح لها ضميره ، وتتفق مع ما جبل عليه من كرم فى الطبع ومن تواضع جم جعله محبباً إلى الناس جميعهم ، على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم .

على أن تواضعه وكرم طبعه وشديد تسامحه لم يخفض يوماً من كبريائه الذاتية ولا خفض من عزة نفسه . أشار إخوانى الذين سبقونى إلى الحديث اليوم إلى العريضة التى أبلغناها الملك السابق فى شهر أكتوبر من سنة ١٩٥٠ ، ننصح له فيها ، أن يلتزم حدود الدستور وأن يبعد من حوله غير المسئولين ، ممن كان لهم السلطان النافذ ، والكلمة المسموعة فى شئون الحكم ، من غير أن تكون عليهم مسئوليته . وكان دسوقى فى مقدمة من شاركوا فى المشورة بوضع هذه العريضة ثم وقعوها . فلما لم يسمع الملك السابق لنصحنا ، وسارت الأمور سيرتها التى تعرفونها ، ثم لما تغيرت الوزارة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ ، طلب على (باشا)

ماهر أن أشترك و يشترك بعض زملائى معه فى الوزارة التى عهد إليه يومئذ بتأليفها ، فاستشرت دسوقى فى الأمر ، فكان رأيه أن نرفض هذا الاشتراك ، لأن الملك لم يجب ما نصحناه به وما أشرنا به عليه ، ولأن قبولنا الاشتراك والأمور كما كانت يوم وقعنا العريضة ، وغير المسئولين يتمتعون من ثقة الملك بما كانوا يتمتعون به ، و يتدخلون لذلك فى شئون الحكم كما كانوا يتدخلون من قبل ، فيه معنى النكوص على الأعقاب فى غير مقابل إلا كراسى الوزارة . وهذا ما لم يرضه هو لكرامة حزبه ، وما لا يرضاه أحد منا لهذه الكرامة . فلما قيل بعد ذلك إن الملك يطلب اعتذار من وقعوا العريضة عن عملهم ، ثارت ثائرته ، وقلما كان يثور ، وقال لى : « أرأيت ! لقد كان يريد باشتراك الحزب فى الوزارة أن يعتبر هذا الاشتراك اعتذاراً . فلما لم نشترك صرح بما كانت تنطوى عليه نفسه . ونخير أن نطلق الحياة السياسية أو نقف إلى جانب رأينا » . ووقفنا إلى جانب هذا الرأى حتى تخلت الأمة كلها عن الملك . وحتى تخلى عنه من كان يعتمد عليهم فى حمايته من غضب الشعب فأنزلوه كارهاً عن عرشه وألزموه كارهاً مغادرة البلاد .

ومع أن دسوقى كان يرى هذه النهاية خاتمة محتومة اختارها الملك السابق لنفسه بتصرفاته ، فقد تولاه يومئذ إشفاق أى إشفاق على فتيات حرمن بتصرف أبيهن حنان الأمومة وعطفها البار الشفوق . ذلك بأنه لم يكن يعرف الحقد و إن كان يعرف الإباء ، و بأنه خير الآباء ، فكان يعرف ما للأمومة الرحيمة العطوف من فيض ، هو لهاتيك الفتيات كل النعمة وكل السعادة فى الحياة .

هذه لمحات من حياة دسوقى أباظة يجب أن أضيف إليها لمحة اتصلت بحياته ، واتصلت بها حياته . لقد كان سكرتيراً لحزب الأحرار الدستوريين قرابة عشرين عاماً . وكان قبل ذلك سكرتيراً مساعداً للحزب من يوم إنشائه . وقد كان منذ تولى

سكرتيرية الحزب، حركة الحزب الدائمة، ونشاطه الذى لا يفتر، وكان إلى ذلك يتولى من شئون الحزب ما يتوانى غيره فى توليه. كان قائماً بأمانة الصندوق عن ثقة مطلقة من رجال الحزب جميعاً، لأن أمين الصندوق لم يكن يعير هذا العمل من نشاطه ما يجب له. وكان رئيساً لكثير من اللجان التى يؤلفها الحزب كلما أحوج الأمر إلى تأليف لجنة. وكان يشترك فى لجان الاتصال مع الأحزاب الأخرى كلما أحوج الأمر مثل هذا الاتصال. وكان المستشار الصادق الأمين لرؤساء الحزب وموضع ثقتهم جميعاً. وهذا النشاط الجم الذى جعله يضحى فى سبيل الحزب بالمال والجهد هو الذى جعله، يوم صدر القانون بحل الأحزاب، يؤثر لقاء الله على أن يرى هذا الحزب الذى أعزه واعتز به وقد حيل بينه وبين العمل فى خدمة بلاده.

* * *

يرحمك الله يا صديقى عدد حسناتك. لقد كنت الأخ الوفى، والصديق البار، والمستشار النصوح، والوطنى الصادق فى نزاهة وكرامة وإباء. وها أنت ذا اليوم فى دار الخلد تنعم بجوار الصديقين والأتقياء البررة الأكرمين. ها أنت ذا قد تركتنا ووطنك أشد ما يكون حاجة إليك، وإخوانك أشد ما يكونون جزعاً لفراقك. فلتسعد بمقامك حيث أنت، وإن خلفت فى نفوس عارفيك ومحبيك اللوعة والأسى.

وليغفر الله لنا جميعاً ما قصرنا فى حقك، وليعوض الله الوطن عن فقدك، وليرحم قلوباً كليمة أضناها فراقك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكرى إبراهيم

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

أَقِيمُوا الوزْنَ أَوْ مِيلُوا ... فَمَا (ابراهيمُ) مَجْهُولُ
فَتًى مِيزَانُه بالْقِسْـ ... ـطِ عِنْدَ اللهِ مَكْفُولُ
لَهُ فِى كلِّ تَارِيخٍ ... منَ الْمَجْدِ أَكَالِيلُ

* * *

سَلُوا الأَوْطَانَ يَنْبِئْكُمْ ... بِمَا يَعْلَمُه النِّيلُ
يُحَيِّى نَاصِرَ المِصْرِ ... يِّ ، والمِصْرِىُّ مَخْذُولُ
وَأَوَّلُ رَافِعٍ صَوْتًا ... وسَيفُ الحَرْبِ مَسْلُولُ
وَلِلمحْتَلِّ فِى مِصْرٍ ... على كلِّ فَمٍ غُولُ
لَهُ فِى بَرِّهَا جَيْشٌ ... كَجَيْشِ النَّمْلِ مَوْصُولُ
وَفِى البَحْرِ أَسَاطِيلُ ... وَفِى الجَوِّ أَبَابِيلُ
إِذَا لَمْ يَنْعَهُ الأَحْيَا ... ءُ ، والدُّنْيَا أَبَاطِيلُ
نَعَاهُ فِى (العَزِيزِ يَّةِ) مَدْفُونٌ وَمَجْدُولُ
وَجِيلٌ فِى حِمَى التَّا ... رِيخِ ، لا يُشْبِهُهُ جِيلُ

* * *

سَلُوا الآدابَ يَنْبِئْكُمْ ... بِهِ الصَّدَّاحَةُ القُولُ
يُرَدِّدُ ذِكْرَهُ فِى الشِّعْرِ ... تَسْبِيحٌ وتَرْتِيلُ
ويَهْتِفُ بِاسْمِهِ فِى القَوْ ... لِ مَطْبُوعٌ ومَنْقُولُ
وَيَحْمَدُ فَضْلَهُ فِى العُرْ ... بِ مَنْسُوبٌ ومَدْخُولُ

فَلا المَـــاضِى بِمنْسِيٍّ وَلا الحَـــاضِرُ مَعْزُولُ
وَراعى الشِّعْرِ لا يَنْسَـــا هُ مرعًى مِنْـــهُ مطْلُولُ
سَلُوا الإِحْسَانَ والإحْسا نُ طبْعٌ فيـــه مَجْبُولُ
وأقربُ شـــأوهِ فى الجُو دِ مشْرُوبٌ ومأكُولُ
وَأيْسَرُ جُـــودِهِ بَادٍ لِمَرْأَى العَيْنِ مَسْئُولُ
وكَم أعْطَى ولمْ يُسْـــأَلْ وبَعْضُ السُّؤْلِ مَمْطُولُ
وبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَمْحُو نَدَاهُ القالُ والقِيـــلُ

***

سَلُوا الأَحْسَابَ لا عِزٌّ يُدَانِيهـــــا ولا طُولُ
وَلِلآسَادِ والأَشْـــبَا لِ مِنْ أعلامِها غِيلُ
ذَوُوهُ مِنْ بنِي مِصْرٍ هُمُ الغُرُّ البَهاليـــــلُ
ومِنْ أحسابه كَسْبٌ بمسْعَـــاهُ وتَحْصِـــيلُ
بِرَأْيٍ زَانَهُ فى القصْـــدِ إِجْمَـــالٌ وتَفْصِيلُ
وصَبْرٌ راضَ دنْيـــاهُ وراضَتْهُ العَراقِيـــلُ
سَلُوا سِـــيرَتَه الحُفْلَى وللسِّـــيرَةِ تَسْجِيـــلُ
سَلُوا (الشَّلَّالَ).. والمجْرَى مِنَ القُطْرَيْنِ مَفْصُولُ
لَتَمَّ القـــربُ لَوْلَا قَا عِـــدٌ بالشَّرْقِ مَشْـــلُولُ

***

خِصَالٌ كُلُّها نُبْـــلٌ وأَفْضَـــالٌ وتَفْضِيلُ
وذِكْرَى كُلُّهَا حَمْـــدٌ وتَشْرِيفٌ وتَبْجِيـــلُ
فقـــدْنَاهُ ونَادِى الرَّأْ يِ فى القطْرَيْنِ مَأْمُولُ

فَلا يَبْعُـــدْ بِهِ المَثْوَى ومَثْوَى الخَـــيْرِ مَأْهُولُ
لَهُ مِنْ بِرِّهِ أُنْسٌ وشَمْلٌ ثَمَّ مشْـمُولُ
ومِنْ سِـــيرته الفيْحَـا ءُ، تَرْوِيحٌ وتَظْلِيـــلُ
لَهُ فى مَـــنْزِلِ الرِّضْوَا نِ تَسْلِيمٌ وتَنْزِيلُ
وأَجْرٌ مِنْ ثَوَابِ اللَّـــهِ عِنْـــدَ اللهِ مقْبُولُ

جهاده فى الحزب الوطنى

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

سيداتى . سادتى :

إن الحياة وما نشاهده فيها من أحداث وآلام . كانت خليقة بأن تبعث فى نفوسنا شيئاً من المناعة والجمود حيال ما يصيبنا فيها من مآس ومفاجآت . ما دام هذا من طبيعة الأيام .

ولكن هذه الحكمة أو هذه النظرة المنطقية ، كثيراً ما تتلاشى عند ما يفقد الإنسان صديقاً أو أخاً أو شخصاً يؤثره بالحب والإعزاز . فهنالك لا نملك للألم دفعا ، ولا نستطيع أن نستمع إلى صوت المنطق ، بل قد يطيب لنا أن ندع الحزن يستولى على مشاعرنا فتسكن إليه نفوسنا إذ نرى فيه نوعاً من عزاء الصديق فى صديقه أو وفاء الإنسان لفقيده . ذلك كان شعورى عند ما فجأنى وصدمنى نعىّ صديقى المرحوم الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه .

كانت تربطنى بالفقيد صلات من الود والصداقة والتجاوب الروحى منذ سنة ١٩٠٨ . حين كان طالبا بمدرسة الحقوق . إذ نشأنا معا فى مدرسة الحزب الوطنى . وتتلمذنا معا على يد مصطفى كامل ومحمد فريد . وضمنا ناد واحد وهو نادى المدارس العليا الذى كان منهلا عذبا من مناهل الوطنية فى ذلك الحين . ولئن كنت قد سبقته إلى التخرج فى مدرسة الحقوق . لأنى كنت أكبر منه سنا . فلقد تخرجت سنة ١٩٠٨ وتخرج هو سنة ١٩١١ . فإن مدرسة الحزب الوطنى قد جمعتنا على تعاقب السنين .

ومهما باعدت الظواهر أو الظروف بين خريجى هذه المدرسة أحياناً فإنى كنت أشعر أن روح الفقيد ظلت تحمل دائما طابع الوطنية العميقة . والنفس الكريمة . والقلب السليم . والود الصافى . والإحساس المرهف الرفيع .

بدأ انضواؤه تحت لواء الجهاد الوطنى وهو طالب بمدرسة الحقوق . فقد اشترك فى المظاهرة الكبرى التى قام بها طلبة الحقوق يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ احتجاجا على عرض الجيش البريطانى فى ميدان عابدين (ميدان أحمد عرابى الآن) لمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا وقتئذ . وكان لهذه المظاهرة دوى كبير فى المحافل وتردد صداها فى الصحف الأوروبية إذ كانت من أهم الأعمال الإيجابية للشباب فى مقاومة الاحتلال . وتكررت هذه المظاهرة من طلبة الحقوق ومنهم الفقيد يوم ٩ نوفمبر من العام التالى — (١٩٠٩) .

وبدأ يكتب فى الشعب والعلم من صحف الحزب الوطنى وهو بعد طالب فى مدرسة الحقوق . وكان يوقع مقالاته بإمضاء (الغزالى أباظه) نسبة إلى بلده الطيب (غزاله) . فلقيت مقالاته استحساناً كبيراً من المواطنين حتى صار اسم (الغزالى أباظه) علماً له ولمقالاته الوطنية قبل تخرجه فى المدرسة وبعد تخرجه .

وأذكر أن أول ما نشر له بهذا الإمضاء قصيدة من الشعر الوطنى ظهرت فى عدد ٤ أبريل سنة ١٩١٠ من صحيفة (الشعب) وكان عنوان القصيدة (أكرههم) . يريد المحتلين . قال فيها ضمن ما قال :

أكرههم لأنهم أعداؤنا ... قد سلبوا ما وهب الله انا
أكرههم لأنهم لم يحفلوا ... بوعدهم بل أخلفوا وضللوا
أكرههم فقل لهم يا (شعب) ... أن ليس يرضى بالهوان الشعب

وهذه القصيدة تدل على أن نشأة الفقيد الوطنية قد امتزجت بنشأته الأدبية . فى سن مبكرة من الشباب . فلا غرو أن صارت الوطنية عقيدة فى نفسه حببت إليه الإخلاص والجهاد فى سبيل الله والوطن طول حياته .

ويبدو مبلغ تعلقه بالزعيم محمد فريد من مقالة تفيض وطنية وإخلاصا نشرها

فى عدد ٣ فبراير سنة ١٩١١ من صحيفة (العلم) تحت عنوان (الكلمة الهائلة) كتبها على أثر الحكم على فريد بالحبس ستة أشهر فى تهمة صحفية لا أساس لها من الحق ولا من الصحة .

بدأها بقوله : « كنت فى الجلسة الرهيبة . نعم حضرت الحكم على فريد بك . فسمعت الحكم . وكذبت سمعى مرارا . ولكنى انتهيت بتصديقه » وختمها بقوله عن الكلمة الهائلة التى جعلها عنوانا لمقالته وعلّق بها على ذلك الحكم الجائر وهى (لتحى الحرية) .

وتعددت مقالاته فى صحف الحزب الوطنى عاماً بعد عام . كأنه محرر مقيم فيها . ولم يكن كذلك . وإنما كان رحمه الله مقيما على العهد .

حتى إذا ما شبت الثورة سنة ١٩١٩ وكان الفقيد وقتئذ مأمورا لضبط مديرية الجيزة، ألهمته روحه الوطنية أن يكافح تحت لواء الثورة، كما كان يكافح من قبل . وكان له فى الثورة دور إيجابى يدل على أن الوطنية قد ملأت شغاف قلبه . لقد كانت مديرية الجيزة مسرحا لفظائع المستعمرين الذين أسرفوا فى الإرهاب والبطش والتنكيل . وما فظائعهم فى العزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك ببعيدة عن الأذهان . فماذا كان موقف الفقيد وهو يشغل مركزا رسميا فى المديرية والإنجليز واقفون بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالانضمام إلى الثورة، أو التحريض عليها ، وخاصة إذا كان من الموظفين ؟

إنه لم يرهب الموقف . ولم يخش بطش المستعمرين ، بل تعقب هذه الفظائع وحققها وسجلها وأثبتها فى محاضر وتقارير رسمية ، قدمها إلى الجهات المختصة ، واحتج فيها على هذه الفظائع المنكرة ، وأرسل صورا منها إلى الخارج ليستثير بها سخط الرأى العام العالمى على سياسة المستعمرين ، وكان لهذه المحاضر والتقارير

صداها فى خدمة القضية المصرية . وكان إلى جانب ذلك عضواً بارزاً فى لجنة الموظفين التى تألفت إبان الثـورة ، وكانت تجمع الصـفوة المختارة من موظفى الحـكومة الأحرار فى مختلف الوزارات والدواوين . وكان لهـا عملها وأثرها فى تأييد الثورة واتساع مداها ، وتنظيم إضراب الموظفين . وظل بعد الثورة يستلهم الوطنية فى كل أدوار حياته العامة .

لقد كنت ألتقى به ، الفينة بعد الفينة . فى شتى الظروف والمناسبات . شهراً بعد شهر . أو عاما بعد عام . فلم أجد الأيام والأعوام . قد غيرت من نفسيته . أو بدّلت من طباعه وسجاياه . بل كنت أراه هو ، هو ، الوطني المجاهد . هو ، هو (الغزالى أباظه) الذى نال محبة و إعجاب زملائه ومواطنيه . لم يداخـله زهو أو خيلاء . ولا نالت الأيام من وفائه و إخلاصه للوطن . كنت أراه على الدوام الصديق الوفى . والوطنى الصادق . ثابت العقيدة . سليم الوجدان . باقيا على العهد . حافظا للود . رافع الرأس . باسم الثغر . طلق المحيا . وضاء الجبين .

فوداعا أيها الصديق الصدوق . وفى ذمة الله أيها المجاهد الـكريم . و إلى روحك الطاهرة تحيات الذكرى والوفاء .

إنا عليك يا إبراهيم لمحزونون !!

للدكتور طه حسين

إنا إلى الله راجعون لقـد أصـبح حزنى عليك ألوانا
حزن اشتياق وحزن مرزأة إذا انقضى عاد كالذى كانا

* * *

غيرى من الخطباء والشعراء أقدر منى على ذكر مآثر الفقيد العزيز وتعدادها إن كان إلى تعدادها سبيل .

أما أنا فلم أقم مؤبناً أو معـدداً للمآثر ، وإنما أنا صـديق ، يقول كلمة الحق فى صديق . لا أبكيه ، ومتى نفع البكاء على الذين فارقوا الدنيـا ؟ إنه لا يردهم ولا يسلّى الباقين على ما يجدون من الحزن ! !

لا أبكيه هو ، وإنما أبكى لأصدقائه الذين عاشوا بعده — وأنا منهم — فإن فقد الأصدقاء ليس إلى تعويض وليس إلى العزاء عنه سبيل .

إن الشباب يستطيعون أن يستقبلوا حياتهم فى أمل رضى ، يستطيعون أن يجدّدوا عهدهم بالأصدقاء — أما الذين تقدمت بهم السن فإنهم إذ يفقدون صديقاً فإن حزنهم مقيم ما أقاموا فى هذه الديار ، حزنهم لهم صديق وعشير ، ملازم لعقولهم مستقر فى أعماق ضمائرهم ، ليضطربون فى شئونهم مع الناس ولـكنهم ما يكادون يخلون إلى أنفسهم حتى يجدوا الحسرة والهم والبؤس .

إنى — أيها السادة — لأذكر هذا الصديق الـكريم منذ عرفتهُ فى ميعة

الشباب — كنا فى ذلك الوقت نشيطين عنيفين فى نشاطنا ، نستقبل الحياة غير حافلين بأحداثها قد آمنا بالحق واندفعنا فى سبيل الذود عنه لا نعمل لأحد ولا لشيء حساباً و إنما نندفع مع الحق حيث يريد أن يدفعنا وكان هذا الصديق أخاً كريماً وفياً يذكرنا إذا غبنا عنه ويتفقدنا إن طالت غيبتنا — ثم أخذت الأيام تفرّق ما بيننا فكدنا لا نلتقى إلا بين العام والعام ولكننا كنا على ما عرف كل منا لصاحبه من الود وصدق الوفاء ، و إنى لأذكر ذات يوم — وكان وزيراً — وكنت من أشد الناس عنفاً فى مخاصمة وزارته التى كان فيها كنت أصبّحها وأمسّيها باللوم الشديد — ولكنى لا أذكر أنى وجدت على دسوقى مأخذاً أو مغمزاً — وما أذكر إنى فكرت فيه لحظة حين كنتُ أوجّه إلى وزارته أشد اللوم وأعنفه — ومع ذلك فقد شكا إلىّ بعض الناس أنه يطلب التليفون منذ خمس سنين ولا يجد السبيل إليه إلا سبلاً لا يريد أن يسلكها وذكرتُ أن دسوقى هو وزير المواصلات واستحييْتُ أن أكلمه فى ذلك فكلفت صديقاً بذلك و إنى لجالس ذات يوم و إذا دسوقى يدعونى بالتليفون ويعتب علىّ عتباً مريراً على أن وسطت بينى و بينه صديقاً حتى اضطرنى أن أعتذر إليه فى أن لم أتصل به اتصالا مباشراً .

أذكر هذا الصديق الكريم وأذكر أصدقاء آخرين سبقوه إلى الموت ماتوا كما يموت الناس إلا أنهم فى قلبى أحياء لم يرفق واحد منهم على هذه النفس البائسة التى ألفت توديع الأصدقاء حتى سئمت توديعهم وتمنت أن تفرغ من هذا التوديع كما يقول أبو العلاء :

إن قلوب الأصدقاء الأوفياء أشبه شيء بالمقابر الحية فى كل قلب مقبرة تعيش مع صاحب هذا القلب يخلو إليها حين يجنّ الليل يتحدث إليهم و يذكر الساعات

الحلوة التى لم تشتق حلاوتها من متاع الحياة وأغراضها و إنما شتقته من صدق الود وكرم الصلة وحسن الوفاء .

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمـــة ما شاء أن يترحما
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولـكنه بنيان قوم تهدما

بنيان هذه الأسرة الكريمة و بنيان هؤلاء الأدباء الذين كان يحبّهم ويؤثرهم ويرعى الشباب الذين يحتاجون إلى الرعاية منهم لا يتكثّر بذلك ولا يتخذه فخراً ورياء و إنما فُطر محباً للأدب فرأى حقاً للأدب أن يرعى الأدباء — و بنيان أصـدقائه هؤلاء الذين يذكرونه مصحبين محبين الذين يذكرونه كل آن ثم يعرفون .

لا أقول فيه إلا ما قاله رسول الله .

حين مات ابنه فى حجره فدمعت عينه فقال له بعض أصحابه أتبكى وقد أنهيت الناس عن البكاء فقال :

« ان النفس لتجزع و إن العين لتدمع و إنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

نشأته وشخصيته

للأستاذ الكبير على أيوب

لقد نشأ فقيدنا العظيم نشأة كانت العامل الأكبر فى تكييف طبعه وخلقه . وإذا كان حقاً علينا فى حفل تأبينه أن نستعرض سيرته العطرة ، وأن ننظرَ فيما أداه لبلاده من خدمات ، وما اتصف به من نزاهة تامة ، واستقامة كاملة ، ووطنية صادقة ، وأن ندعوَ شباب اليوم إلى ترسم خطاه ، واتخاذه قدوة صالحة ، فإن علينا أن نلتمس فى طفولته ، مبعث ما تحلت به رجولته .

لقد ولد فقيدنا لأبوين كريمين . فكان أبوه المغفور له إبراهيم أباظه ، سيدا فى قومه وجيرته ، لم يسوده الغنى الطائل ، والثراء العريض ، وإنما سوده صلاح لا يعرف اعوجاجاً ، وتقوى برئت من النفاق ، وإيمان يعمر القلب فيدعو إلى التعاطف ، وإلى الحنو على الضعفاء والمحتاجين . وكانت والدته الشركسية الأصل تزدان بالوقار ، ويشع من وجهها نور السماحة وصفاء النفس ، وتتجمل بالكرامة التى لا تعرف مذلة ، وحب الخير الذى يتجنب الإعلان والدعاية .

وقد قست الأقدار على هذين الأبوين الكريمين . ففقدا أبناءهما الذكورَ واحدا بعد آخر حتى بلغ عدد من ثكلاه تسعةً من الذكور قبل أن يرزقا ولدهما دسوقى . فكان حدبهما عليه يملك مشاعرهما ، وكان إشفاقهما من أن يمسه أى سوء يستبد بقلبيهما ، وكانت أقل وعكة تلم به تقض منهما المضاجع . وقد عز عليهما أن يفارقاه وأن يسمحا بابتعاده عن موطنهما بالريف . واكتفيا بتلقينه مبادئ القراءة على أيدى مدرسين خصوصيين . وتركا له الحبل على الغارب

فلم ينهراه مرة واحدة ، ولم يُصدرا له أمرا أو نهيا . ولـكن الطفل مقلد بفطرته . وقد وجد أمامه نمـاذج من الأخلاق السامية والفعال الـكريمة . فناب سـلوك الوالدين عن إرشاد المؤدب ، وعصا المعلم ، وزجر المدرس .

وكان كثيرون من أفراد الأسرة وأصدقائها يخشون على هـذا الطفل المدلل، ولا يتوقعون له المستقبل الحافلَ بالجد ، الزاخرَ بالعمل المنتج المجيد . ثم تـكشفت مواهبه بما كان يثقل به على والده من أسئلة واستفسارات لم تـكن الإجابة عليها سهلة دائمـا ، ميسرة فى كل حال . فأدرك الوالد أن هذا الذهن المتوقد ، وهذه الرغبة الملحة فى طلب المعرفة ، وهذا الطموح إلى إزالة الستار عن كل مجهول ، إن هذا كله يقتضيه التضحية بمفارقة ولده و إرساله إلى المدرسة الابتدائية بالقاهرة . وقد أهلته دراسته المنزلية إلى الالتحاق بالسنة الثانية . وأقام عند عمه المغفور له إسماعيل أباظه . ولـكنْ عاوده الحنين إلى والديه ، فجمع أوراقه وكراساته وتسلل قافلا إلى الشرقية بعد أن كتب على باب غرفته توديعاً لمن أضافوه وأكرموه :

يا بابنـــا ســـلم على أحبابنـــا

و إن سألوك عنا فقل دســوق رحل من هنا

و إنه ليبين من هذه الـكلمة الساذجة فى مبناها، القوية فى معناها، روح الأدب فى مدارجها الأولى ، وعبير العاطفة الرقيقة فى أكمامها الفضية ، والصبي لا يزال فى الثـامنة من عمره . وقد رده أبوه إلى المدرسة رداً رقيقاً خالياً من الخشونة أو العنف . وكانت تلك أول وآخر مرة ، يتمرد فيهـا الطير الصغير ، فيغلبـه الشوق إلى عشه .

ولقد عرفت الفقيد أول ما عرفته ونحن صبية نرتع فى حقول الريف ، ونلعب حول مرابط الخيل ، ونتنافس فى حلبة السباق ، ونسمُر فى مضارب البدو . وكان

يلازمه تابع أسمر اللون أبيض القلب هو عمنا أمين سعيد السودانى . وكان أمين هذا على قلة حظه من التعليم شغوفاً بتلاوة القصص القديمة . فحبب إلى الفقيد فى طفولته قراءة المطولات من سيرة عنتره وشعره ، ورحلات بنى هلال ، وأخبار البسوس والمهلهل وكليب . وكان لهذه القراءات أثر عميق الغور بعيد المدى فى حياته كلها . فقد أخذ عنها شيم الفروسية ، وهى الشجاعة التى تواجه الأخطار فلا تثنى ، والنجدة التى تسرع إلى كل طالب فى غير تردد ، والكرم الذى يفيض بالخير فى غير مَنٍّ أو تفضل . والمودة الصافية يوليها الأصدقاء ولو تنكروا ، والترفع عن الأحقاد والمبادرة إلى الصفح عن الحاقدين . والتجاوز عن معاتبة المخطئ المسيء . ولم يألف من ألوان الرياضة البدنية سوى ركوب الخيل ولعبة السيف . وآمن قبل أن يقرأ المتنبى بما قرأه له بعد ذلك إذ يقول :

أعز مكان فى الدنا ظهر سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

وكان لا يزال فى إهاب الطفولة حين تجاوبت الأصداء بكلمة قالها شاعر النيل ، فى رثاء أحد كبار الأسرة ، حيث قال :

بنى أباظة ما زالت دياركم أفق البدور وغاباً للصناديد

وإنها لكلمة توقظ الهمم وتلهب الشعور وتدعو إلى كل عمل جليل ، وتدفع إلى النهوض ما وجدت مغرساً خصباً . وقد صادفت فى نفس صاحبنا أحسن منبت وأطيبه .

وقد وُلد رحمه الله بعد سبع سنوات من إخفاق الثورة العرابية . وكان آباء ذلك الوقت لا يزالون يعانون بقية من مرارة الفشل وخيبة الأمل . كما كانت الأحوال المالية عامة قد بلغت نهاية السوء وثقلت على الناس أعباء الديون . ثم بدأت حيوية الشعب تستعيد شيئاً من يقظتها ، وتسترد القلوب قبسا من حرارتها .

ولم يكن للشعب سلاح يرد به الغاصب ويذود به عن الذمار . فتطلع الآباء إلى العلم يسلحون به أبناءهم ، ويعدونهم به للكفاح والنضال . ولهذه الغاية العظيمة قصد فقيدنا إلى دور العلم ، واستمر فيها إلى نهاية الشوط ، ثم مضى بعد ذلك يسعى لإتمام رسالته حتى غاية العمر . فهو لم يتعلم ليحصل على وظيفة ، أو ليكسب بالعلم مالاً أو جاهاً أو نفوذاً . وكانت حياته سلسلة من التضحيات والخدمات . وكان يذكر دائماً وطنه والخير العام ، وينسى نفسه ويزهد فى كل نفع شخصى . ويعلم الكافة أنه ولى وزارة المواصلات سنين عدة ، فكم منهم من يعلم أنه ضَنَّ على قرية وبها منزله ، فلم يشأ أن يمهد لها طريقاً زراعياً لا يزيد على خمسمائة متر ليصلها بالطريق الرئيسى . غفر الله له هذا التزمت فقد أضر بنا وبأهله وجيرته كثيرا . ولكنه لم يزدنا إلا حباً فيه وتقديراً له .

طوى الموت إبراهيم

للأستاذ محمود غنيم

ألَا ما لهذا الروْض صَوَّح زاهرُهُ ... وذابت أغانيـــهِ وأجْفل طَائرُهْ ؟
ألَا ما لهذَا البحْر غيضَ عُبَـابُهُ ... وعطَّل مرسَـاه وأسكتَ هَادره ؟
ألَا ما لهذَا الغـاب حلَّ حرامُهُ ... وخلَّاه مكسورَ الذراعين كاسره ؟
ألا ما لهذَا الطوْدِ خرَّ أساسُـــه ؟ ... ألَا ما لهذَا الغيْثِ أخْلَفَ مَاطره ؟
ألا أيها الوفَّادُ حُـــلُّوا رحَالكم ... طوَى الموتُ إبراهيمَ وانفضَّ سَامره
سَلوا القصْر . . مَا للقصر غشَّى سَماءهُ ... قَتامٌ وقُدَّت من حدَادٍ ستائره ؟
وَماذا بهِ من وحْشَـةٍ وتجهُّمٍ ... وكان به فيْضٌ منَ البشْر غامره ؟
سَلامٌ على القصْر الذى رِيعَ أهـلُه ... فريعَتْ لهُ منْ كلِّ قصْرٍ حَرائره
أطوفُ بهِ فِي صمْتِـــه وكأنهُ ... مُصـلى عتيقٌ لا تُقَام شـعائره
وكنتُ أغنِّيـــه فَيطربُ ربُّه ... فما بالُه قد أعْولَ اليـومَ شَاعره ؟
سَـــلامٌ على وجْهٍ أغرَّ كأنه ... سراجٌ وضيءٌ ساطعُ الضوْء بَاهِره
سلامٌ على الثغْر الذى كانَ باسماً ... إذا غَام صـبْحٌ أو تحجَّبَ سافره
سَـــلامٌ عَلى ثاوٍ ثوَتْ معهُ العلَا ... وضَمَّتْ عِتاقَ المكرمَاتِ مقـابره
على مَنْ تَداعى حائطُ المجْدِ بعـدَه ... وأقْفرَ من ربْع المـــروءة عامره
على مَنْ لو انَّ الأرضَ عُدَّت همومُها ... وعُدَّ حصَـــاها لا تُعدُّ مآثره
سَلامٌ على مَنْ كنتُ أسطُو ببأسِهِ ... على الدهْرِ إنْ دَارَتْ علىَّ دوائره
ولم أنْسَ عهداً .. عهدُ «نيرونَ» دُونَه ... إذا أحصيتْ آثامُـــه وكبائره

أوَى السجنُ فيهِ كلَّ شيخٍ مهدَّمٍ ... وكلَّ صبيٍّ ناعماتٍ أظافره
قضى حِقبةً فى أسْرِه لىَ ناشئٌ ... عزيزُ الصِّبا لم يتَّقِ اللهَ آسرُه
وما كانَ ذا ذنبٍ جنَى . . غير أنّهُ ... أخٌ مسْلمٌ بالدين شُدَّت أواصره
فنَاديتُ إبراهيمَ والأمرُ حازبٌ ... وصَدْرىَ بالآلام يزخرُ زاخره
فردَّ على يعقوبَ يوسفَ بعدما ... تيقَّن أنَّ الذئبَ فى الغابِ عاقره

* * *

رَماكَ زمانٌ كُنْتَ تدفعُ شرَّه ... كأنَّكَ بالإحْسانِ للنَّاسِ واتره
توخَّاكَ لمَّا كانَ مثْلُك نادراً ... بهذَا الورَى . والدرُّ أغْلاه نَادره
تبعُدُ والآمالُ دانٍ قُطوفُها ... ولا تحصُدُ الحبَّ الذى أنْتَ باذره
رُويْدَكَ فالأوْطَان يعصفُ جيشُها ... بأغْلالها والنَّصْر تبدُو بوادره
عهدنَاكَ سبَّاقاً إلى نُصْرةِ الحمى ... إذَا قلَّ فى وقْتِ الشَّدَائدِ ناصره
وتَحملُ ألوانَ الأذَى فِى سَبيلِهِ ... فما كانَ من ذنْبٍ فحلمُك غافره
أذا ذرَفتْ عيناهُ كفْكفْتَ دمعَه ... وإن مسَّهُ كَسرٌ فعطفُك جابره
وإن آدَهُ عبءٌ نهضْتَ بحمْلِه ... وإنْ نالَه خَصْمٌ فعُرفُك قاهره
لقد كُنْتَ تَحبوهُ بمالكَ حِسْبةً ... إذا راحَ يَجبى باسمِه المالَ تاجره
لكَ اللهُ حرًّا ما ابْتغَى الحكْم متْجراً ... ولا جرَّ نفعا أهلُه ومَعاشره
ولا جَار فى عهدِ المظَالم حينما ... تولَّى زِمامَ الحكْمِ فِى مصرَ جائره
أميرٌ مطاعٌ غيْرَ أن ضميرَه ... أميرٌ عليه نافذاتٌ أوامره
عيوف عفيفٌ يجرحُ الفحشُ سمعَه ... وفىٌّ أمينٌ يأمَن العذْرَ غادره
صريحٌ إذا صَافى ، صَريحٌ إذا قلَى ... على وجْهِهِ الوضَّاحِ تَبدُو سرائره
إذا ودَّ إنساناً فليْسَ لودِه ... حُدودٌ وإن عاداه فهو مُجَاهِره
طَليقُ المحيَّا ما تجهَّم مرَّةً ... ولا ثَار إلّا لِلْكَرامة ثائره

قريبُ الرِّضَا يَبْقَى على الدهْرِ ودُّه ... ولا يلْبثُ الهجْرَ الذِى هُو هَاجره
أحدُّ منَ السّيفِ المجرَّدِ ذهنُه ... وألمحُ منْ إيماضةِ البرْقِ خاطره
كريمٌ إذا مَا الضيْفُ حلَّ بدارِه ... تهَشُّ له أرْجاؤها وتسـامره
شُجاعٌ إذا ضنَّ الشجاعُ بنفْسِـه ... ولم يبقَ فى الميْدانِ فردٌ يؤازره
فتًى صَاول الجبَّـارَ فوق سَريرِه ... وإيمـانُهُ قوَّاده وعساكره

* * *

ولما نَعى النَّاعى الدسـوقىَّ أمسكَتْ ... سماء الحمى حُـزْناً وَسَالَت محاجره
وقلتُ لقلْبى : حلَّ خطبُكَ فانفطرْ ... فهذا الذِى يا قلْبُ كُنْتَ تحاذره
بقلْبِى جراحٌ غائراتٌ ومثلُهـا ... بقلب الحمىَ . والجرْحُ أردَاهُ غائره
وكيف يُعزِّى فى خَسائرِه الحمى ... إذَا هـو كانتْ فى الرِّجالِ خَسائره
هُم الثرْوةُ الكبْرى إذا سَاد أرضَـه ... سَـلامٌ وهُمْ يومَ اللقاء ذخائره
ولمَّا أقيمَ المِهْرجانُ تهامستْ ... بنعيكَ أفْـواهٌ فأعولَ زامره
مَشى الركبُ يحدُوه الأسَى فتعثَّرت ... مَيامنُه فى سَـيْرها ومَياسِره
فلَا عينَ فيه لم تُقرح جُفونُهـا ... ولا صَـدْرَ إلّا والهمُومُ تخامره
كأنَّ صُدورَ النَّاسِ حِينَ توهجتْ ... أضَاءتْ بهَـا أنوارُه ومَنائره

* * *

سَلُوا عن عُكاظٍ هَل تعطَّل سوقُهُ ... وهلْ حُطِّمت أعـوادُه ومَزاهِره ؟
سَلُوا الأدبَ الفيَّاضَ هلْ غاضَ نبعُهُ ... وهل طُويتْ أقلامـهُ ومحابره ؟
أمِنْ بعْدِ إبراهيمَ لِلشعْرِ موكبٌ ... يُقامُ بمصرٍ أو تدقُّ بشـائره ؟
وهلْ بعْد إبراهيمَ مِنْ متكلِّمٍ ... يُحاضِرُنا أو مِنْ سَميعٍ نحاضره ؟
لقد كان حصناً للأديب فإن يمت ... فكل أديب تاعس الجـدِّ عاثره
مَضَى ناظمُ الشِّعْرِ الرصينِ قلائداً ... وناقِدهُ نَقْدَ البَصـيرِ وناشره

وَما الشِّعْر إلَّا الرُّوحُ لو أنَّها سَرتْ ... إلَى هيكَلٍ بالٍ تحـــرَّك ناخِره.
به يقْـدُم الهيَّابُ فى ساحةِ الوغَى ... ويأنَسُ من وحْشِ المفاوِز نافره
وَمَا عالمٌ لم يَصْـقلِ الشِّعْرُ ذَوْقَهُ ... ومَا أمَّةٌ لم تَعْلُ فيهـــا مَنابره ؟
إذا لم تَقُمْ لِلشِّعْر فى الشَّعْبِ دَولةٌ ... تيقَّنتُ أن الشَّعبَ ماتَتْ مشاعره

* * *

وقفْتُ على قبرِ الدُّســـوقىِّ وقفةً ... يُســـاورُنى فيهَا الأَسَى وأساوره
عَرفتُ بهَا الأفلاكَ كَيْفَ وقوفُها ... وأدركْتُ هذَا الخلْقَ كَيْفَ مصايره
وآمنتُ أنَّ المجْد والجَاه والعُـــلَا ... سَرابٌ كَذُوبٌ يَخْدَعُ الناسَ ظاهره
كَأنِّى ما أبْصرْتُ جامَ منيَّـةٍ ... يَدورُ ولَا أيقنتُ أنِى مُعَـــاقره
فيالَك قـبراً يخطف النَّاسَ صخرُه ... ويُدرِكُ أسْرارَ العـــوَالم زَائره
وَيالَك قبْراً خُطَّ فى الأرْض مَعْهداً ... وَبزَّ « ابنَ سينا » فى الحقَائِقِ حافره

* * *

ألَا أيهَا البيْتُ الكريمُ تجارُهُ ... مصابُك يؤْنَى الأجرَ ضعفيْن صابره
تُشاطرُكَ الأحزانَ مصرُ ولم يَهُنْ ... حزينٌ غداةَ الحزْن مصرُ تشاطره
ومَا ماتَ إبراهيمُ لكنَّه على ... ممرِّ اللَّيـــالِى خالدُ الذكْر عاطره
سَـــلامٌ عليهِ كلما ذُكر اسمُه ... فعطَّر أرجاءَ الكنَانة ذَاكره
سَـــلامٌ عليْه راحَ وهو مُبرَّأٌ ... تَقِىٌّ نَقِىٌّ أبيضُ الثوْب طَاهِـــره
مَضَى وبيمْناهُ ســـجلُّ حيَاتِهِ ... يشرِّفُ ماضـيه ويُشرق حاضره
إذَا كان لِلأطْهَار سِـــفرٌ يضمُّهم ... فأولُ هـــذَا السِّفْرِ أنْتَ وآخِره.

عظمة الرجولة

للدكتور نجيب اسكندر

عرفت الفقيد العزيز إبان ثورة سنة ١٩١٩، تلك الثورة التى خرج فيها الشعب المصرى بجميع طبقاته ، رجالا ونساء .. وكان اتحادا قوميا رائعا لإعلان حق مصر فى الاستقلال التام، أو الموت الزؤام . وآيته أن فى ميدان الضحايا متسعاً للجميع .

عرفت الفقيد لأول مرة عضوا فى لجنة الموظفين العليا، ممثلا لإقليم الجيزة وكان قيام جماعة الموظفين، كبيرهم وصغيرهم لمشاركة الأمة فى حركتها الوطنية النبيلة، نقطة التحول فى توجيه السياسة البريطانية نحو مصر ، لأن طابع الموظفين كان الطاعة والخضوع لأصحاب السلطة والسلطان ، فانتقاضهم بصورة إجماعيـة على السلطات رغم قيام الأحكام العرفية البريطانية أمر له خطورته ومغزاه .

عرفت فى الفقيد وقتئذ أصالة الرأى، وعلو الهمة، وحماسة وطنية، بالغة جعلته مرموقاً بين الإخوان .

فمن نفحات الفقيد فى تلـكم الأوقات قيامـه رسمياً بتحقيق حوادث الشوبك والعزيزية .

وقد سجل فى تقريره مختلف الفظائع الوحشية التى ارتكبها الجنود البريطانيون ضد الأهالى . . وقام بطبع ونشر هذا التقرير على نفقته الخاصة وشاعت قصة هذه الفظائع فى جميع الأنحـاء . فألهبت الشعور الوطنى وكانت وثيقة خطيرة ضـد الاحتلال البريطانى ، وسلاحا قويا للنضال الوطنى .

وقد كان موقف الفقيـد رائعا إذ حوكم عسكريا وتحمل بشجاعة وحـده كل مسئولية بهذا الخصوص مستعذبا كل ألم فى سبيل حرية وطنه وبلاده .

عرفت الفقيد زميلا فى بعض التشكيلات الوزارية متزنا فى تفـكيره يبدى

الرأى خالصا لوجه الله والوطن محيطاً إحاطة مستفيضة فيما يعرض على مجلس الوزراء من شئون وزارته .

عرفته وقد ثارت ثائرته عند ما علم بقيام فتنة عنصرية فى مديرية الشرقية فقام فوراً إلى عاصمة المديرية واقتطع الشر من جذوره وأحل السلام والوئام محل الفتنة والخصام ، واذكر جيدا ما أنبأنى به صاحب النيافة مطران الشرقية والقدس من عظيم تقديره وثنائه والإشادة بكفايته الممتازة ولباقته الفياضة .

عرفت الفقيد عضواً فى لجنة اتصال الأحزاب سنة ١٩٥١ إثر كوارث الحكم الماضى وفساده وقد اشترك مغتبطاً بتوقيعه تلك الوثيقة التاريخية الخالدة التى وجهها أعضاء هذه اللجنة إلى الملك السابق ، مبصرين ومنذرين ومهددين بجرأة منقطعة النظير أقضت مضاجعه . وعبثاً سعى وحاول بسلطانه وجبروته أن يستنكرها موقعوها فلم يعبأ به أحد وكانت هذه الوثيقة بعد الاجتراء عليه ، والتهوين من شأنه علناً وفى كل مكان . .

وقد أيدت الحوادث المتتابعة صدق تنبؤات هذه الوثيقة بما وقع فى البلاد بعدها من أحداث توجت بثورة الجيش المجيدة فى يوليو سنة ١٩٥٢ .

وقد مثل فقيدنا دائرته الانتخابية منذ وجدت الحياة النيابية،ونجح دائماً حتى وقت أن تحامل وتآمر الحكام على عدم فوزه . عرفته من أشد النواب توافرا على تأدية رسالته بذمة ونزاهة وإخلاص وكان من أشد النواب غيرة على الدفاع عن الحريات السياسية .

واشتهر الفقيد بعطفه وحنانه على الأدباء والفقراء مادياً وأدبياً .

أيها السادة :

هذا نموذج لرجل من رجالات مصر فى تاريخها الحديث ظل فى الميدان الوطنى مكافحاً من أجل الوطن لآخر نسمة من حياته. شعاره وشعار زملائه دائماً « الاستقلال حياتنا ، والوطنية ديننا » .

طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه وله شكر الوطن وتقديره .

هول الفاجعة

للأستاذ الكبير أحمد على علوبة

فى شهر فبراير سنة ١٩٤٩ دعيت لمقابلة المغفور له « إبراهيم دسوقى أباظه » فى وزارة المواصلات ، وقد كان متولياً شئونها إذ ذاك . وكان حاصل حديثه أنى فى عملى بالقضاء أقوم بتطبيق القوانين . وهو عليه رحمة الله يعرض علىّ الانتقال إلى عضوية مجلس الشيوخ حيث أساهم فى تشريع تلك القوانين . والصلة بين العملين من هذه الناحية لا شك فيها . ومن هنا تجددت الصلة بيننا فى ميدان السياسة بعد أن كانت قد أتوقفت منذ وليت القضاء .

وكان هذا التجاوب السريع بين العرض منه والقبول منى مدعاة لثقة متبادلة . تمت إلى صداقة حميمة . وهذه أو تلك كشفت لكل منا عن مكنون قلب أخيه . وما تعكسه أحوال أمته فى صدره من آلام وآمال .

ولقد أتى علىّ حين أثر صدمة رزئنا بوفاته تمنيت فيه لو أن صلة بينى و بينه لم توجد . أو أن صداقة لم تتوطد حتى لا تتقطع نياط قلبى كما تقطعت ولا أنوء بحمل هول الفاجعة .

لولا أن خاطراً روحياً هو من غير شك رحمة من الله تعالى بعباده المرزوئين يرد النفوس الهالعة الجازعة إلى صوابها ، وينزل الصبر والسكينة عليها . وهذا الخاطر فى مصابنا هو أن فقيدنا و إن غاب شخصه إلا أنه باق بعمله . خالد بآثاره وذكراه .

ساهم الفقيـد بنصيب عملى فى حياتنا البرلمانية منذ نشأت عقب ثورة الأمة ونهضتها فى سنة ١٩١٩ وولى الحكم فى أكثر من وزارة فترة أربت على الخمس سنوات وعضوية البرلمان أو الوزارات هى دائماً الدور البارز فى ميدان السياسة ، ولكنهم قليلون من يعرفون أن المرحوم دسوقى أباظة وإن جال فى هذا الميدان عن علم ورغبة وإيمان . إلا أنه ضاق بفترة ولى فيها وزارة بعينها هى وزارة الخارجية . ولم يكن ذلك عن ضعف أمام مشاق أعمالها فلطالما حمل أعباء عجز عنها الكثيرون . ولا عن قصور فى الكفاية الدبلوماسية ، فهو العليم بأساليبها ، والخبير بطرائقها ، ولكن لسبب واحد كان لا يفتأ يصارح به أصدقاءه المقربين . ذلك أنه عجز عن ترويض نفسه على ما درج عليه البعض فى ميدان السياسة من تبرير أساليب اللف والدوران . والاعتماد على المراوغة والبهتان . فهو لا يفهم مثلاً أن تتحلل بعض الحكومات من عهودها أو أن لا تبر بوعودها ، بل الرأى عنده أن ما يسود نضال الأفراد وتنافسهم فى الحياة من أوضاع . يجب أن يخضع له بالمثل رجال السياسة وكذا الدول والحكومات .

وأن المبادىء العامة للأخلاق يجب أن تكون فى المجال الدولى دستوراً له قدسية الدساتير الموضوعة لتنظيم الحكم داخل البلاد .

على هذا النحو الواضح كان فقيدنا أيها السادة ينظر إلى السياسة فى صورها المختلفة داخلية كانت ، أو خارجية . يخضعها يوماً بقواعد الأخلاق ، ومبادىء الفضيلة والاستقامة . ومن أجل هذا لم يكن عجباً أن يختصه الله بميزة قل أن تتوفر للكثيرين . هى أنك ترى الخصومة قد اشتدت بينه وبين مخالفيه فى السياسة ، وارتفع الجدل ، والعراك الحزبى إلى درجة الغليان . فإذا الذى يقوم معه ذلك النضال مستطيع أن يصل به إلى أعنف الحالات . ولكنه مع ذلك عاجز عن أن ينكر على الرجل أمراً واحداً . هو حقه فى التقدير وجدارته للاحترام .

ولقد عرف الفقيد كيف يفيد أمته من المكانة التى حازها بين سفراء الدول وممثليها . وآية ذلك ما رجحته مصر وهى تعرض قضيتها على مجلس الأمن . وقد تحالفت عليها قوى الاستعمار . وضاقت أمامها السبل حيث وجدت عوناً وتأييداً من موقف حكومة الصين الوطنية ، وكان عضواً بالمجلس ، ففوتت بهذا العون على خصمها بعض ما دبره للمساس بموضوع حقها .... ويعرف العاملون ببواطن الأمور ، وتدل وثائق وزارة الخارجية على أن وزير خارجية مصر فى تلك الفترة الدقيقة ، وقد كان المرحوم دسوقى أباظة هو الذى حقق لبلده وهو فى القاهرة هذه المؤازرة عن طريق سفير دولة الصين هنا بما انطوت عليه نفسا الرجلين من الإيمان بمبادىء واحدة ، وما تجاوب فى يقينهما من أن لبلديهما مصلحة مشتركة فى أن تسود العالم مبادىء الثقة واحترام حقوق الأمم .

وهكذا وفى الفترة الوجيزة التى ولى فيها فقيدنا وزارة الخارجية ثبت لمصر ولشخصه بكياسته ولياقته وعن طريق تمسكه دائماً بالمثل العليا مكانة ظهر صداها فى قول سفير لدولة صديقة فى إحدى المناسبات : — « لو أن للسفراء والمفوضين رأياً فى تعيين وزير للخارجية لانتخب دسوقى أباظة وزيراً دائماً فى وزارة الخارجية المصرية » .

* * *

أما غير ذلك من الوزارات التى تولى الفقيد شئونها فقد كان لسيرته فيها طابع خاص قل أن يجاريه فيه أحد . رعاية خاصة للطبقات المتخلفة فى أى فرع من فروع الحياة والأخذ بيدها ما وسعها الجهد فى الناحيتين المادية والمعنوية .

ففى وزارة الشئون الاجتماعية : ما ولى أمرها فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ حتى اتجه فى بداية عهده بها نحو وضع تشريع بأن يكون زواج المعدمات وتزيلات

الملاجىء على حساب الدولة ، حماية لهذا الفريق الكبير من بنات الأمة من صروف الزمن ، وتمكيناً لهن من أن يصبحن عضواً صالحاً فى جسم الأمة .

وبهذه الروح عالج أمر عدد يذكر من موظفى الوزارة تأخرت لهم درجات ، وعلاوات . فعمل على إنصافهم ، إرضاء لما جبلت عليه نفسه من حب العدل ، وثقة منه بأن هؤلاء الموظفين هم عضو الحكومة فى أداء رسالتها ، فواجب أن تشعرهم من جانبها بالإنصاف قبل أن تطلب إليهم أن يكونوا فى عون من تأخذ وزارة الشئون بيدهم من الأهلين .

فلما عهدت إليه وزارة المواصلات فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ بادر بإلغاء حق الوزير فى منح تصاريح للسفر على خطوط السكك الحديدية بالدرجة الأولى . وقصر هذا الحق على الدرجة الثالثة ، بأنها هى المقصودة بالذات ، للتيسير على العاجزين والمستحقين .

ثم كانت لوزير المواصلات بحكم رياسته مجلس النقل المشترك مكافأة مقررة فأصر على التنازل عنها لعدم رضائه عن فوضى المرتبات الإضافية فى صور مكافآت .

وفى وزارة الأوقاف رأى بثاقب فكره أن الوعظ والإرشاد المقصودين من الخطب المنبرية فى المساجد لا يتحققان إلا إذا كانت تلك الخطب جديرة بما يقصد منها ولهذا وتقديراً منه لشأنها ولرسالتها كان يسهم بنفسه فى تحضيرها . فكان أول وزير يضع هذه الخطة وما أعم نفعها للناس فى دينهم وفى دنياهم .

وقليلون من يعرفون أنه رحمه الله . بحكم صلته بالأدب والأدباء . وعلمه بأن كثرتهم لا حظ لهم فى عالم المادة وضرورات الحياة . فتح للمحتاجين منهم وللفقراء من ورثتهم اعتماداً خاصاً من أموال الخيرات وأحاط هذا الإجراء بالسرية التامة . والغرض الكريم من ذلك لا يخفى .

* * *

إنكم تلحظون أيها السادة أنى حرصت على أن أخص بالذكر فى كلمتى بعض ما سمح به الوقت المحـدد للخطباء مما كان من أعمال الفقيـد متصلاً بالناحية الإنسانية وما يجب أن يكون عليه الإنسان نحو أخيه الإنسان . وبالخلق القويم فى أروع صوره وأكمل معانيه وأشعر أنى فى ذلك أرضى روحه فى مثواه .

فلقد احتمل فقيـدنا أعباء الوزارة لأطول مدة قدر عليها وزير منـذ نهضة البلاد فى سنة ١٩١٩ ، واضطلع بها مدة متصلة منـذ ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ إلى ٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، ومع ما كان يضفيه هذا المنصب من سلطان ونفوذ وجاه . فإن صحيفة المرحوم دسوقى أباظة مفتوحة للناس مكشوفة للتـاريخ . وإنى من جانبى ، ومما خبرته ودرسته لأقسم غير حانث أنى لم أعهد فى الرجل ضـعفاً أمام إغراء السلطان أو النفوذ أو الجاه . ويكفيه ذكراً أنه وقد كان أطول الوزراء عهداً بسلطان الحـكم عنَّ يوماً لإحدى الصحف فى معرض عدم الضن على قرائها بما يروى ، وما يشاع ، أن تنشر واقعة واحدة أسـندتها إلى قريب لدسوقى أباظة أنه أفاد من نفوذ قريبه وزير المواصلات وكان ذلك فى فترة تلت صدور قانون تنظيم الأحزاب . ومع أن حصر الإسناد فى هذا النطاق الضيق يعد عند الـكثيرين ضئيل الخطر إن لم يكن فى نظر البعض حميـد الأثر . إلا أن دسوقى أباظة تقدم إلى الوزير ذى الصفة طبقـاً لقانون الأحزاب ، وكنت فى صحبته . يطلب منـه فى إلحاح أن يرفع أمر ما أسند إليه إلى القضـاء المختص ، وهو مجلس الدولة . وإنى أشهد الله أمام رهبـة الموت وجلال الذكرى . أن الوزير قال فيما قال إنه إن كان سيرفع الأمر إلى القضـاء فإنه فى وجدانه واثق من أن الأخ دسوقى لا شىء عليـه . وإنه على يقين من أنه بعد الحـكم المنتظر لمصلحتـه سيشكره على إقامة الدعوى .

ولقد نطق الوزير حقاً وصدقاً . فإن الفقيد لم يكن ناصع الصحيفة فحسب ،

بل إن منبر البرلمان وصفحات الجرائد ناطقة بأن الرجل كان سباقاً إلى محاربة الفساد واستغلال النفوذ و إلى المناداة بوجوب المبادرة إلى تطهير البلاد من كل ما يجافى نزاهة الحكم أو يوهن من تقديس الشعب للمثل العليا .

إن من المصلحة العليا لمصر . أن يفهم الشعب أن الخصومة للفساد ليست طارئة علينا . بل هى متأصلة فى نفوس رجالات من أمتنا حباهم الله من قديم مناعة ضد البغى واستغلال النفوذ والإثراء من غير الطريق الحلال .

و إن من الحق فى ذاته ، ومن الإنصاف لهؤلاء الرجال الذين سبقوا فوقفوا فى وجه الطغيان أو حملوا على أسباب الفساد أو نادوا بوجوب المبادرة إلى التطهير على أساس أنه سبيل التحرير من الاستعباد والاستعمار فى الخارج . إن من الحق والإنصاف أن لا تنسينا غمرة الحوادث ، وحماسة الكفاح ،طهارة الأطهار ، وعفة المتعففين ، وفضل الأبرار .

اللهم إنك لتعلم أكثر مما نعلم أن عبدك دسوق أباظة الخاضع لما أمرت . المنتهى عما نهيت . الصادق فى طاعتك فى السر وفى العلانية . المخلص لأمته . المؤمن بحقها فى أن تخلع عنها نير الاستعمار . وأن تحيا حياة كلها عزة وكرامة . اللهم إنك لتعلم أنه مواطن جدير بأن تحيي الأمة ذكراه . وأن يقتدى مواطنوه بعاطر سيرته وأن يهتدوا بهداه .

مثال حى

للأستاذ حسن الحطيم

يَا حبيبَ الجميع هَـــذَا ندائِي ... يَامثَال الأطْهارِ والأوْفيـــاء
يَا دُسُوقِ ولاسْمِكَ الضَّخْمِ ذِكْرٌ ... سَـــوْف يبْقَى على مَمَرِّ الوفَاء
يا مُعـــينَ الضَّعيفِ أنَّى تراهُ ... يَا صَـــدِيقَ السَّراء والضَّراء
كم هُمومٍ خَفَّفْتَهَـا عن نُفوسٍ ... عَانياتٍ من ْ شِـدَّةِ البأْساء
كنتَ أنَّى حَلَلْتَ عفًّا كريمًا ... مُودعَ النيـــلِ آيةً فى الصَّفاء
كُنْتَ تلْقى الجميعَ بالبشْرِ رحْباً ... عَـــلِمَ اللهُ لم تضقْ برجاء
كُنْتَ فى المجْلسِ القوىِّ بياناً ... كنتَ فيهِ منْ أبْرزِ الأعضـاء
لم تغبْ عنْـهُ منذْ كانَ بجاهٍ ... وبماضٍ وصفْحةٍ بيْضَـــاء
تعلِنُ الرأْىَ واضحًـــا وتُؤدِّى ... حَقَّ ما ترتئيـــهِ فى الآراء
كنْتَ أنَّى أقمتَ خيْراً وفضْـلًا ... كنْتَ فينا كالعيْنِ أو كالضِّياء

* * *

لهْفَ نفْسِى وقَدْ فقدْنَا عميـداً ... قَد سَمَا فضـــلُه عن النُّظَراء
خـيْرُه سائغٌ لمن يَرتجيـهِ ... فَهْوَ أنَّى دعى مُجيبُ النِّـــداء
كَانَ عيْناً وعالمًـا وأديباً ... ووزيراً من ْ صـفْوةِ الوزراء
دَارهُ ندوةٌ لمن ْ يَصْطفيهَا ... من ْ فحُولِ الشعارِ والأدباء
يَسمع الحاضرونَ فيهـا شَتَاتاً ... من ْ طريفِ الآيَاتِ والأنبـاء
كلمَـا سـاقنى الوفاء إليْهَـــا ... خلتُ أنِّى فى روْضَةٍ غنَّـــاء

زادَه اللهُ بَسْـــطةً فى حِجَاهُ وخِـــلالٍ كريمَـةٍ غـراءِ
وحَبَـــاه تواضعاً وحيَـــاءً فى وقارٍ محبَّبٍ وإبَـــاءِ

* * *

نمْ مَلاذِى وملجأِى ومعَـاذى فى نعيمٍ وراحةٍ وصَـــفَاءِ
علَّك اخْـــترْت موعداً لثواءٍ قد تراه مناســـباً للثواءِ
يَقْصُر العيشُ أو يطولُ ســواءٌ فى حيـاةٍ مَصيرُها للفنـــاءِ
شُـــغْلة أنت كمْ أنرتَ سبيلًا فَتـوارتْ وآذنَتْ بانْطفـــاءِ
ربَّ عينٍ يَضيرُها الضـوْء حتَّى تجدَ الضـــوْءَ مؤذناً بانتهـاءِ
يا مَـــلَاذى وملْجأِى وحبيبِى وحبيبَ الجميعِ — هل من لقاءِ ؟

عزيز الصحافة الراحل

للأستاذ حافظ محمود

سيداتى ، سادتى :

كنا جماعة من الصحفيين تعددت نزعاتهم ، ووحد الحزن بينهم ، فى سيرنا خلف هذا النعش الممدود فوق الرقاب يذكرنا بتلك القامة الممدودة فوق الرءوس .

نعش الرجل الذى مأتمنى صحفى واحد أن يفقده مصدراً وثيقاً ومخلصاً ومُعيناً : دسوقى أباظه .

و بينما نحن فى هذه الخطى الوئيدة الحزينة لفت أنظارنا وأسماعنا صوت رئيس فى النواب السابقين ، السيد مدنى حزين ، وهو يرفع وجهه المبلل بالدموع إلى السماء مردداً : رباه إنك تعلم أنك لو طلبت عنه الفدى لفديته بنفسى .

وتساءل بعض زملائى ماذا تكون اليد التى أسداها دسوقى لهذا الشيخ الجليل؟

قال قائل منهم : إنها لم تكن يداً ، إنه كان قلباً كبيراً وهبه دسوقى لكل من يعرف من الناس .

وجلس الصحفيون فى أعقاب هذا المشهد الرهيب يتذاكرون : هذا صحفى يقول أتذكرون يوم كانت الوزارة تشكل بليل، فلم نجد من يرد على هاتف التليفون ليجيب سؤلنا إلا دسوقى أباظه ؟ ! . . . لقد كان الصحفيون إذا حيرتهم الأزمات فى انصاف الليالى يهرعون إليه والناس نيام ، فيهب إليهم من فراشه ليجيب على أسئلتهم دون تردد ، دون برم ، دون من ، ولا ضيق ، كأنه كان مستيقظاً يجلس فى انتظارهم ؟ !

قال صحفى آخر ، وكان من المعارضين ، اليوم أزيح الستر عن سرى . بل عن سر السبق الصحفى الذى كنت أتيه به عليكم . فقد كان دسوقى الوزير يعطينى من الأنباء ما يصلح مادة معارضة شريفة للوزارة التى كان من أعضائها ! ! . . . كنت أنا أعلم بهذا السر وحدى . وكنت قد تحدثت فى خطورته إلى الفقيد فكان جوابه : أن مستقبل زميلك الشاب مرهون بهذه الأنباء ، ولمستقبل شاب مثله عند الله ، خير من تحفظ السياسيين جميعاً .

ليت زميلى المعارض كان هنا الليلة ليسمع سرى أنا الآخر . فقد ذهبت إلى دسوقى وهو وزير أشكو إليه شدة الرقيب على أنبائنا ، فقال إن كان هناك نبأ ترى مصلحة قومية فى نشره وحاول الرقيب منعه أكتبه منسوباً إلىّ أو قل صراحة إننى قائله ، فإذا شطبه الرقيب ، أنبئنى بذلك فوراً ، كى أستقيل من الوزارة .

بهذه الروح كان دسوقى يعامل رجال الصحافة وشبابها . . كان يتخذ من المؤيدين له والمعارضين أصدقاء على سواء . . . كان يقيم لهم المآدب التكريمية ويحذرهم من النشر عنها ، وكان المعارض فيهم أثيراً عنده كالمؤيد أو يزيد . . وكنت أحسبها روحاً اجتماعية بارعة حتى اكتشفت أنها روح إنسانية أسمى ما تكون حين جاء لى زميل هاجم دسوقى بما لم يهاجمه به أحد ، وقال لى أن أعمالى قد تعطلت لافتقار مكتبى إلى تليفون . لكن كيف السبيل إلى إجابة مطلبى وكل من فى وزارة المواصلات يعلمون أننى هاجمت الوزير دسوقى هجوماً ليته ما كان .

أخذت هذه الرواية فى فمى إلى دسوقى . فقدم إلىّ ورقة بيضاء طالباً أن أكتب عليها طلباً باسم زميلى . . فلما كتبته كتب هو عليه : يركب له الجهاز اليوم مباشرة . ثم التفت إلىّ قائلاً : بلغ صاحبك إن كان مؤمناً حقاً بما يكتبه ضدى أن يضاعفه بما يشاء وكيف شاء .

ومات صحفى كبير كان الناس يحسبونه موسراً . ثم اكتشفنا يوم موته أنه لم يترك سوى العدم لآل بيته . . وذهبت فى اليوم التالى إلى دسوقى . وكان وزير أوقاف ، لأشاوره فى الأمر ، فإذا به يصيح بى معاتباً : حرام عليك ترك هـذا البيت على هذه الحال أربعاً وعشرين ساعة . إننى فاعل اليوم ما كان ينبغى أن أفعله البارحة .

سيداتى وسادتى :

لقد حزن الصحفيون بوفاة دسوقى أباظة ، وكان الحزن حقاً عليهم . فقد آخاهم أفراداً وآزرهم جماعة . وإنى لمعلن اليوم مأثرة له كانت خافية حتى على الصحفيين أنفسهم . .

كان للصحفيين مشروع قانون بإنشـاء نقابتهم تعثر بين أمواج المشاريع البرلمانية منذ سنة ست وثلاثين . . فلما تولى دسوقى رياسة لجنة الداخلية بمجلس النواب حوالى سنة ٤٠ أنجز للصحافة هـذا القانون الذى تعثر سنوات فى جلسة واحدة . فلما أنشئت نقابة الصحفيين وابتغت لها داراً اتخذ من هذه الدار ندوة له ولأدبه الرفيع .

سيداتى وسادتى :

ماذا نذكر وماذا نبقى من ذلك ؟ ! . . . لقد فقدنا بفقده أكثر من رجل وأكثر من زميل . بل أكثر من قلب وأكثر من حبيب . . وإذا كانت الفرصة لم تتح لـكل الصحفيين أن يعبروا عن أسفهم لفقده فرداً فرداً . فذلك أن الخطب قد حطم بعض أقلامهم ، فطفقوا يكتبون مراثيهم بمداد الدمع على صفحات القـلوب . . وها أنا أجيل بصرى فى هذه القاعة فأجد منهـا عدداً من الصحفيين قل أن يتوفر لمناسبة واحدة فى مكان واحد .

سيداتى . سادتى :

لقد سجل الصحفيون للتاريخ أمراً يوم وفاة دسوقى . فقد توفى فى يوم عاصف ، ولم تنشر صحف الصباح أنباء وفاته ، ومع هذا كان الذين شيعوا جنازته بالقاهرة ألوفاً ، وكان مشيعوه إلى مقره الأخير فى غزالة أكثر من ألوف . . . وهكذا أبى الله للرجل الذى نصره فى كل استفتاء شعبى إلا أن يصاحبه الفوز بهذا الاستفتاء فى يومه الأخير .

يومئذ تحول إقليمه إلى مأتم كبير تقاسمته ألوف البيوت القروية المتواضعة ، ويومئذ تساءلنا : هل اتسعت حياة دسوقى لكل هذه الأمة من الناس ؟ ! . . وجاءنا الجواب على أصوات الريفيات النائحات فى هذه البيوت القروية من وراء الحجب : أجل لقد كان هنا فى كل بيت أباً . وكان هنا فى كل بيت عائلاً ونصيراً . . . وإنها لاشتراكية صحيحة عزت على الكثير غيره من الكبراء .

كان دسوقى كبيراً بروحه لا بماله المحدود ولا بجاهه الممدود ، كان كبيراً فى تواضعه ، كبيراً فى ترفعه ، كان كبيراً فى حبه للغير حباً أتحسسه الآن فأجد أننى فقدته ، ثم أتلمس بعد ذلك دمعى فأجد أيضاً أننى فقدته . . . فيا لقبر فى غزالة غرسنا حوله الحب وسقيناه الدموع . . ويا لنفس هناك ، الله يرضيها ، الله يجزيها ، الله يسكنها جنات الخلود .

دمعـــة الوفاء

للأستاذة المربية الفضلى نظمة الحكيم

يَا ربَّةَ الشِّعرِ صُبِّي دمعَكِ الغَالِي ... وابكِي عظيماً . قَضى فى صرْحِكِ العالى

وارثى خطيباً أديباً عالمـــاً عَلَمـاً ... شهماً كريماً ندىَّ الكفِّ والآلِ

كَان المَبرزَ فى حسْن الصنيع . إذَا ... ما قَارن النَّاس أقوالاً بأفعـــالِ

يزينهُ الصـدْقُ . فى قولٍ وفى عملٍ ... ما أجملَ القولَ مقروناً بأعمـــالِ

مَنْ « كالدسوقى » . فريدَ الخلق واحدَه ... مَنْ مثلُه ، عمَّر الدُّنيا بأفضـالِ

كالجوْهر الفَرْدِ ، لا تغروهُ شائبـةٌ ... ولَا يغـــيِّرهُ تبـــديلُ أحْوالِ

بالعلمِ والفضْـلِ والأخلاقِ نذكـرهُ ... ذكْرى تعاقب أعواماً لأجيـــالِ

مَنْ كان مثل « دسوقى » فى شمـائلهِ ... هيهاتَ يرْثيه بالأشْـــعَارِ أمثالى

يا جنَّةَ الخلْدِ . هذَا الضَّيفُ جوْهرُنا ... فقـــدِّريه وفِى تقْـــديرهِ غالِى

ثمَّ اجعلى الصَّدْرَ فى الفردوْس منزلَه ... وبوِّئيه الذُّرَى . مِنْ صرحك العالِى

أثر الأسرة الأباظية فى السودان

للأستاذ على البربر

حضرات السادة :

إنه لمن الصعبِ على المرء ، أن يُحيط بصفات فقيدِ وادى النيل النبيلةِ الغراء ، ونفسيته الكبيرةِ الكريمة ، وما يُحيط بها من جلالٍ وصفاء ، وخِلالهِ الغُرِّ الحِسان الناصعةِ البيضاء ، كان الفقيدُ العظيم ، دنيا من الصفاتِ الممتازة العاطرة ، وعالَماً من المعانى الرفيعةِ الزاهرة ، فلقد اشتهر رحمه الله وأنزل على جدثه الطاهرِ شآبيب رضوانه ورضاه ، ووابلاً من الغيثِ الهتون والغدقِ العميم .

اشتهر بنُخبةٍ مختارةٍ من كريمِ الشمائل ، كان أظهرُها الجانبَ الإنسانىّ فيه وهذه ولا غَروَ لازمةُ الخُلقِ الكريمِ الرفيع ، فكم أسعفَ محتاجاً ووفّر عليه ذُلّ السؤال ، وكم أعان مريضاً فكان له الأمل الوافى ، وكان له البلسم الناجع الشافى ، وكم بذل فى غير امتنان ، لمن أذلته صروف الليالى وتقلبات الزمان ، كان يذكر أصدقاءه ومعارفه من السودانيين وقت الحاجة كما يذكرهم وقت الرخاء ، ويتعهدهم بحنوه وعطفه فى السراء والضراء ، وحين البأس والنعماء ، فيلين لهم من جانبه ، ويخفض لهم جناح الذل من الرحمة فى كل حين ، وهذا هو سر حبهم له وتعلقهم به وتفانيهم فيه وهو خارج الوزارة قبل أن يكون فيها .

حضرات السادة :

أرى من نافلة القول أن أعرض فى هذه العجالة ، إلى أثر الأسرة الأباظية فى الحياة السودانية المعاصرة ، فلقد عرفها السودان فى جميع أطواره ، ولقد كان

لها أثرها الملموس فى حياة السودان والسودانيين، ولئن استشهدت بالسادة الأماجد فؤاد أباظة ، وعبد الله أباظة ، وفكرى أباظة ، وفقيدنا الكريم دسوقى أباظة ، فإن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، فقد قام هؤلاء الصيد البهاليل ، بأخطر الأدوار ، فى توثيق العلاقات المصرية السودانية وفى شتى مراحل تقدم السودان ودفعه إلى الأمام ، حتى أخذوا بأسباب الحياة فيه من جميع أقطارها ، وألموا بها كأحسن ما تكون الإحاطة والإلمام ، فإلى الراحل الكريم ، من أهل جنوب الوادى ، فى أرجاء السودان القاصيات ، ومنهولة الدانيات ، دعاء الرحمات ، كلما دعا لله عابد ، وكبّر للرحمن مكبّر ، وتهجد فى ظلام الليل ساجد وقانت ، وأن يُفسح للفقيد التقى الصالح فى جنات الخلد ، جزاء ما قدم لوطنه من جلائل الأعمال ، وما أدى من خدماتٍ ستبقى ما كرَّ الجديدان ، عنواناً للخُلق والفضل ، ورمزاً للتضحية والنبل ، فتسَّاقطُ علينا ذكراه ، كما تسَّاقط أندآء الصباح على أفواف الرياحين :

ثبت فؤادك ياقليل تصبرى واشرح لآل أباظةٍ برحائى
فى جنةِ الفردوس بات عزيزُهم ضيفاً بساحةِ أكرمِ الكرماء

كلمة الأسرة

للأستاذ الكبير عبد الله فكرى أباظة

سيداتى وسادتى :

جرى العرف فى حفلات التأبين أن يختم الحفل بكلمة شكر من أسرة الفقيد . ولهذا وقفت بين يديكم جرياً على هذا التقليد . ولكننى أحسُّ بالعجز عن الوفاء بهذا الواجب لأننى لا أعرف للفقيد العزيز أسرة واحدة يمكن أن تستأثر بالشكر فتنقص من نصيب بقية الأسر فيه . أو تظلمه إذا ما اعتبرته منها وحدها ولها وحدها ، بينما هو ابن مصر البار كلها . وهب لها روحه ودمه وماله وجهده وقلبه منذ شب عن الطوق . فلم يكن لأسرتنا فيه نصيب قدر ما كان للأسر السياسية والاجتماعية والصحفية والأدبية التى انتمى إليها جميعاً من نصيب .

فعن أية أسرة أنوب الآن فى الحديث بعد أن ناب كل من تفضل بالكلام عن أسرة من الأسر التى اندمج فيها الفقيد الحبيب فملكت عليه نفسه واقتطعت من حياته الشطر الأكبر فكان مشاعاً بينها جميعاً لا تملك واحدة منها أن تدعيه لنفسها أو تختص به دون غيرها .

لقد ندبته أسرته السياسية بشتى ألوانها فبادلته وفاء بوفاء .

وندبته أسرته الأدبية بنثرها وشعرها فكانت بلسما للجراح وخير عزاء .

وندبته أسرته الصحفية فخلدت ذكره وجددت عهد جهاده على صفحات الشعب والعلم واللواء .

تلك هى الأسر الروحية الخالدة الباقية على الزمن ما بقيت ذكرى الفقيد ماثلة فى أذهان المنصفين من عارفيه ومقدريه وهم بحمد الله من الكثرة والصفوة بحيث يكمد — تقديرهم العظيم الذى بدا على لسان ممثلهم فى هذا الحفل الحاشد كما بدأ فى تشييع جثمانه الطاهر وأيام مأتمه — كل حاقد أو حاسد حق عليه قول الشاعر :

و إذا أراد الله نشر فضـــيلة طويت أتاح لها لسان حسود

أما الأسرة التى أمثلها الآن بينكم فهى أسرة الجسد ، والجسد إلى فناء .

من أجل هذا أعتبر حضرات من تفضلوا بالكلام نيابة عن أسرهم الروحية الخالدة بالذكريات أجدر منى بتقبل العزاء فكلنا فى الخطب الذى ألم بنا سواء . فلست إذن محاولا شكر حضرات الخطباء والشعراء حتى لا أنتقص من حقهم فى الفقيد ونصيبهم فى الفجيعة وقد كان منهم بمنزلة الشقيق لا الصديق .

ولن أستأثر كذلك بشكر حضرات الأصدقاء الذين لبوا الدعوة بل أبادلهم عزاء بعزاء ووفاء بوفاء . .رب . إنا نحمدك على قضائك ونصبر على ابتلائك ونشكر فضلك إذ اخترته لجوارك الكريم معززاً مكرما مجاهداً مضحياً وشهيداً كريما لا متجنياً ولا ظالماً بل مقرباً منزلا لديك منازل الصديقين الشهداء لا منازل الظالمين الأشقياء .

اللهـــم لا عدل إلا عدلك ولا بقاء إلا لك . بك نؤمن وعليك نتوكل و إياك نستعين . ونفوض أمرنا لحكمك وأنت خير الحاكمين .

اللهم أعنا على احتمال قضائك واشـــدد أزرنا بعطف دائم من أصدقاء فقيدنا ومحبيه حتى تكون لنا فى دوام هذه الصلات سلوى نتعزى بها و إن جل العزاء .

سيداتى وسادتى . أطال الله بقاءكم وجزاكم عنا أطيب الجزاء .

صفحة ناصعة

للدكتور محمود عفيفى رئيس النادى

أيها السادة :

أشكركم جزيل الشكر على تكرمكم بتلبية دعوتنا لحضور هذه الحفلة للاشتراك فى تأبين فقيدنا المرحوم الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة الذى كان يعتبر أعضاء هذا النادى إما إخواناً أو أصدقاء أو أبناء ، وكان النادى يعتبر الراحل الكريم عماده فى الشدة والرخاء وسنده فى السرّاء والضرّاء ، إذ لم يتخل عنه لحظة واحدة منذ إنشائه سواء أكان وزيراً أو خارج الحكم وسواء أكان قريباً منّا أو كان بعيداً عنّا .

ومع أن الفقيد كان يفضل خدمة بلاده عن طريق الحزبية إلا أنه كان يرى أن ينصرف النادى إلى النواحى الاجتماعية وتوثيق الصداقه والمحبة والتعاون بين أبناء الشرقية المقيمين بالاسكندرية على اختلاف ميولهم وأهوائهم واتجاهاتهم ومع أنه كان يكره أن يشتغل النادى بالسياسة إلا أنه رحب بمساهمتنا فى السياسة الوطنية فى ظرف من أدق الظروف التى مرت ببلادنا عقب إلغاء المعاهدة البريطانية وكانت الضرورة تقضى بتعاون الأحزاب جميعاً مع الحكومة الوفدية التى كانت حينذاك حتى لايجد الغاصب ثغرة ينفذ منها ليبطل أثر إلغاء المعاهدة — فما أن سعيت لتوحيد الصفوف بعد اتصالى برئيس الحكومة والاتفاق على

حفلة نادي أبناء الشرقية

بالاسكندرية

استشارة زعماء المعارضة قبل اتخاذ الخطوات الإيجابية اللازمة لمواجهة الحالة الناشئة عن إلغاء المعاهدة حتى كان الراحل الكريم أول من يلبى نداء التعاون والاتحاد ويعمل معى جاهداً يؤلّف بين قلوب الزعماء ليقف الجميع شعباً وحكومة صفًّا واحداً أمام المحتل وجهًا لوجه .

ولمّا اشتدت حركة المقاومة الشعبية بعد إلغاء المعاهدة ساهم الفقيد مساهمة فعّالة فى حركة الجهاد مع أبناء مديرية الشرقية وقام بجمع التبرعات لتغذية الكفاح الوطنى وسعى لمعونة أهالى الضحايا الذين جادوا بأرواحهم الغالية فى سبيل تحرير البلاد .

هذه أيها السادة لمحة عابرة تشير إلى مدى تغلغل الروح الوطنية الصادقة فى نفس الفقيد الذى يعرف القاصى والدانى مبلغ ما كان من اهتمامه بشئون بلاده فى النواحى السياسية والأدبية والاجتماعية مما يجعل المصاب فى فقده مصاب أمة ورزء شعب ، فضلا عن مصاب أهل السياسة والأدب والاجتماع .

وإن المقام ليضيق بذكر مناقب الفقيد فى هذه النواحى جميعها وحسبنا أن نشير إلى ناحية بارزة فى حياته تلكم هى ناحية الخير التى لمسنا آثارها عن كثب ويدلكم عليها سعيه المتواصل للحصول على إعانات للنادى ليصرفها فى وجوه البر والإحسان وهى الوجوه التى تعجز موارد النادى العادية عن تحقيق أغراضها . وليس أبلغ فى الدلالة على حب الفقيد للخير من أنه حينما كان وزيراً للأوقاف حضر إحدى حفلات النادى لأول مرة وكانت الحفلة بمعهد صبح للعميان قبل أن يتخذ النادى لنفسه مقراً مستقلا وظن الفقيد أن النادى يعول المعهد ويموله ويشرف عليه فقرر منح النادى إعانة قدرها مائة جنيه ، ولما علم بأن علاقة النادى بالمعهد لا تتجاوز علاقة المكان المشترك قرر أن تصرف الإعانة لمعهد العميان

دون النادى لأحقيته ، وقال لنا : « يجب أن تؤثروا على أنفسكم ولو كان بكم خصاصة » . و بذلك ضرب لنا أروع الأمثال فى إنكار الذات وحب الخير والتفانى فى أداء الواجب .

هذه أيها السادة صفحة من الصفحات البيضاء فى حياة الراحل الكريم نذكرها لتتبينوا أنه كان رجلا يعمل للصالح العام و يسعى جهده للخير والوئام ، تغمده الله برحمته ورضوانه وألهم آله الصبر والسلوان .

فقيـــد الأدب

للأستاذ محمد عبد الرحيم إدريس

بكى باسمـــهِ النَّاعى فهاجَ وروَّعَا ... قلوباً أذابتْهـا الفجيعةُ أدْمُعَـا
فيأيُّهَا النَّـــاعى رُويْدك إنَّهُ ... فتَى النِّيـــلِ يبْـكيه مصبًّا ومنبْعَا
ويبْـكيهِ شـطَّاهَ ويُطْرِقُ نخـلُه ... بأفقٍ من الأحْزانِ يجهـد أسْفعَا
بكَتْهُ المعَـــالِى ماجِداً وابنَ ماجدٍ ... وكَوكبَ مجْـــدٍ قدْ تهاوَى ففجَّعَا
أُسَائلُ .. هَلْ أصْمَى القضاء فتى الحمى ... فأوْدَى وَهلْ ذاكَ البناء تصدَّعَا ؟ ؟ !
وهَلْ ثكَّل السَّهمُ المفـاجىء أمَّةً ... بمصْرعـهِ ؟ يا شُؤْمَ ذلكَ مصْرَعَا
فلمَّا رأيْتُ الدَّمعَ فى كلِّ مقَـــلةٍ ... وفى كلِّ صوْتٍ بالفجيعَـة أفْزَعَا
تلفَّتُ للقلْبِ المكذِّبِ نعيَـــه ... وقلتُ لَهُ قد آنَ أنْ تتقطَّعَا

* * *

أجِيـلُ بطرفِى فى الحشُودِ فلا أرَى ... فتًى كانَ للأمْجَـــادِ أوَّلَ مَنْ دعَا
أُسَائِلُ هَذى الدَّارَ ما بالُ رَكْبِهَا ... تخلَّفَ والحشْـــدُ العظيم تجمَّعَا
وما عهـدتْه الدَّارُ إلَّا فتَى العُـــلا ... يجيبُ ندَاها حيْثُ نادتْه مُسْرِعَا
وما عهـــدتْهُ الدَّارُ إلَّا مُبَادراً ... سَعَى لنـداءِ الخيْرِ أوَّلَ مَنْ سَـعَى
فعـذراً لهُ يا قومُ إنْ غابَ مُكْرَهاً ... فقـدْ باتَ ما بيْنَ الصَّفائِح مُضْـجَعَا

* **

مَضيْنَـا به فى زوْرقٍ متخَشِّعٍ ... تغيض المَآقِى حيْثُ أرْسَى وأقْلَعَـا
يَطِيحُ به موْجٌ منَ الدَّمْعِ زاخرٌ ... وريحٌ منَ الأحْزَانِ تُعْوِلُ زَعْزَعَا

إلى الشَّاطىء المجْهول يلْوى شراعَه ... ونحنُ نُراعيـــهِ صوامتَ خُشَّعَا
سيحْملُنَا يوماً إلى ضفَّةِ الرَّدَى ... ويتركُنَا نرْتَادُ صَحْراء بَلْقَعَا
ويودعُنا القـــبْرَ الكثيفَ وليْلهُ ... بغَيْرِ فعَـــالِ الخيرِ لَنْ يتقشَّعَا
فلا بدَّ يَوْماً أن تُفَارِقَ مُكْرَهاً ... أَخَا كُنْتُمَا فى كلِّ أمريْكما معَا
ولا بدَّ يوماً أن تضمَّ حفـــيرةٌ ... فتًى لم يسعْهُ الكونُ زَهْواً ومطْمَعَا
ألَا إنَّها دُنْيَا الغرُورِ وأهْلُهَـــا ... تعامَوْا بها ملْهًى رغيـــداً ومرْتَعَا
سيهجُرها قلْبِي وينفى غرورَه ... إذا ما تمثَّلْتُ الختـــامَ المروَّعَا

* * *

عَشِـــيرَةَ إبراهيمَ عزَّ عزاؤكمْ ... وأورثتمُو فيـــهِ الأَسَى والتفجُّعَا
فقيدكمُ ابْراهيمُ ليْسَ فقيـــدَكمْ ... ولكنْ فقيـــدُ الضَّادِ والشَّرْقِ أجْمعَا
فـاذا يقولُ الشِّعْرُ فيـــه مؤبِّناً ... وقد كانَ حِصْناً للقَريضِ ممنَّعَا
وقدْ كانَ شمْسًا يُسْتَضَاء بنورِها ... ومعقـــدَ آمالٍ عِرَاضٍ تقطَّعَا
وقدْ كانَ رىَّ الشِّعْرِ يَسْمُو نَبَاته ... ويزْهُو به روْضاً كما شـاءَ مُمْرِعَا
وقد كانَ برًّا بالقريض يحُوطهُ ... ويرْعَاهُ ، برًّا بالأَديبِ مُشجِّعَا
يرَى فى أدِيبِ الشَّرْقِ بعْض عشيرِهِ ... إذا الفنُّ أدْنَاهُ إليـــه وجمَّعَا
فوا أسَفَا أوْدَى زعيمُ عَشـــيرةٍ ... وغيَّبَ صوْتٌ هزَّ فى الدَّهْرِ مسْمَعَا

* * *

أيَا طيِّبَ الذِّكْرَى تكرمْتَ ميِّتاً ... بذكْرٍ كريحِ المسْكِ بلْ كانَ أضْوَعَا
لقـدْ كنْتَ تحيا للمَجَادَةِ والنَّـدَى ... وخلفتَ ذِكْراً بالمكَارِمِ مُتْرَعَا
وقدْ كنْتَ دَوْماً يَسْتَظِلُّ بفيْئِـهِ ... فقـــيرٌ إذا لجَّ الزمانُ وأوْجَعَا
فَمَنْ يا فقيـــدَ الشِّعْرِ أسْنَى مخلَّد ... يُغَادِيكَ تسْكَابُ السَّحَائبِ مَرْتَعَا
ويهْنِكَ روْضُ الشِّـعْرِ يزكُو نَبَاتهُ ... على الدَّهْرِ غَرْسًا طابَ أصلًا وأفْرُعَا
سقَا بَرَحُ ذِكْراكَ الشَّجيَّةِ كُلَّمَا ... زكَا نَبْتُ روضِ الشِّعْرِ يَوْماً وأينَعَا

لكل أجل كتاب

للأستاذ أحمد مرسى خليفة

أيها السادة :

لكل أجل كتاب : وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين .

أستغفر الله أن نجزع لفراق المرحوم الأستاذ دسوقى أباظة وأن نعتقد أنه مات إنه هو حيّ بيننا ولا تزال روحه ترفرف علينا ، تخلده ندوة الأدب التى خط لها طريقاً وأسس لها مدرسة فوق ما ترك لنا من أدب مدوّن ، وشعر رصين ، ولغة معقولة ، وشاعرية موهوبة ، وإدراك واسع للأدب قديمه وحديثه .

لقد عاش الأستاذ دسوقى ليؤدى رسالته ، ولقد عرف كيف يؤديها بنفس سمحة وروح راضية وقلب ملؤه الإيمان ، وكلنا نعرف مواقفه الوطنية عام ١٩ و٢٣ و ١٩٥٣ التى تشهد بعظمة هذا الرجل وتمجد ذكراه ، فقد كان مجاهداً حين كان كثير من رجال الأمة فى سبات عميق ، وبذلك ضرب لنا مثلا علياً فى التضحية ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى لينال من الله الجزاء الأوفى فكان مصداقاً لقول الشاعر :

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم فى الناس أموات

إن دسوق أباظة عائش بيننا ما دامت ذكراه فى قلوبنا ، وما دام أبناؤه حولنا ، ولم يمت من أنجب ذرية ترفع علم هداه .

فلنسر فى الطريق الذى رسمه لنا الأستاذ دسوق أباظة — طيب الله ثراه وأكرم مثواه .

والله أسأل لأبناء هذا النادى أن يتبعوا خطاه فيكرموا ذكراه ، وعليه رحمة الله .

صرح تهدم

للأستاذ أحمد يوسف النياوى

ذوى من دوحة العلياء غصنُ ... وهُدِّم من صروح المجد رُكنُ
وأودى فارسُ الوطنِ المُفدَّى ... فعمَّ القُطرَ آلامٌ وحُزنُ
أإبراهيم خطبك مُذْلم ... بكتك ملائك وعلا تئنُّ
وفجِّعت القلوبُ مُفَطراتٍ ... وتشجو دهرها نفسٌ وعَيْنُ
فكم باكٍ يفيضُ الدمع منه ... وكابده فما يبتلُّ جفنُ
وطير هائمٍ يبدى وُجوماً ... يؤرقه وما أرضاه وكنُ
وقد لَبستْ ثيابَ الحزن مصرُ ... وشاركَ ريفَها فى الهمّ مُدنُ
فيالك أمةً ترعى بنيها ... ويحفظ عهدَها جدٌّ وإبنُ

* * *

أبا الشراء والآباء طُرًّا ... حياتُك بلسمٌ وهُدى ويمنُ
وموتُك حسرة تجتاح قُطراً ... يعدك زخره وإليك يرنو
قضيتَ وما قضيتَ حقوقُ مصر ... وكان لكم مع التاميز شأنُ
ففى الثورات كنت المشعليها ... ونصرك فى الجهاد أخ وخدن
فيا لأباظةٍ شهماً وحزماً ... ورأياً قطُّ لا يعروه أفنُ
فأنت الصارم المقدام عزماً ... وفى الأزمات لا يعروك وهنُ
وما نُهنهْتَ عن شرف ومجد ... فأنت جمالُ علياء وحُسْنُ

* * *

أعزى فيك أفلاكا ودهراً ... ودنيانا وما يحويه كونُ
وآل أباظة والناسَ طراً ... وكل مفجّع ينأى ويدنو
عليك سلام ربك ما توالت ... نجومُ الكون تلمعُ أو تَعِنُّ
ويمطرك الإله بطيباتٍ ... ويَسقِى قبرك الميمونَ هَتْنُ

شخصية الفقيد الكبير
وسر عظمتها الخالدة

الحياة . . . .

يقف الإنسان أمام الموت الرهيب فيجد نفسه يتخطى آفاقاً من الحياة إليه فمن عالم الغيب إلى بطن الأم إلى الدنيا ثم إلى البرزخ بعد أن يؤدى رسالته التى قرر الله له أن يؤديها فى الحياة الزاخرة بالمعانى . ثم إلى القيامة حيث نلتقى فى دار الخلود . هذه الدار التى يخلد فيها الإنسان بمقدار ما عمل فى دنياه . وأن الفقيد رحمه الله — قد خلد أعمالاً فها هو ذا سجل حياته من يوم أن التحق بمدرسة الناصرية الابتدائية إلى أن ودع حياته من دنياه ليلقى حياة خالدة تتفق مع سمو روحه — هذا السجل الحافل ، يقف الإنسان أمامه مبهور الأنفاس لا يدرى أيتكلم فى نشأته فى بيت العروبة والشهامة والنبل والفضل أم يتكلم فى شخصيته السياسية أم يتحدث عن شخصيته الأدبية ، ولها مدرسة خاصة أم يتكلم فى كل أولئك . . . . ليكن . . . . هـذا الـكلام . . . . كلام الأسى والحزن . . . . أما الفقيد فلن يستطيع أحد أن يستبين سر عظمته الخالدة . . . . ولـكن . . . . كلامنا فيه صبر وتسلية . . . .

* * *

* ألقيت فى حفلة التأبين التى أقيمت للمغفور له مساء السبت بنادى أبناء الشرقية بالإسكندرية الموافق ٢٨ من جمادى الآخرة ١٣٧٢ هـ ، ١٤ من مارس ١٩٥٣ م

التحق — رحمه الله — بمدرسة الناصرية الابتدائية وكان يكتب فى صدر « جريدة اللواء » مقالاته « قلوب مع الحسين وسيوف مع بنى أمية » ثم التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية . وفى سنة ١٩٠٨ أخرج كتابه « حديقة الأدب » ضمنه ما كتبه ونظمه .

وكان لمقالاته الجريئة فى جريدة « اللواء » وجرائد الحزب الوطني بتوقيع « الغزالى أباظة » أكبر أثر فى الحياة السياسية وهو فى الرعيل الأول من الوطنيين الذين عملوا على رفع صوت مصر عالياً مسموعاً فى الخارج ، إذ أنه بعد أن التحق بالمدرسة الخديوية ثم مدرسة الحقوق كان يسافر إلى أوربا كل عام ويحضر مؤتمراتها السياسية ويكتب فى أكبر جرائدها . وقد نشرت له جريدة « الطان الفرنسية » كلمة « المطالب الفرنسية » يوم كان باستامبول سنة ١٩٠٨ وهو لما يزل طالباً بالحقوق .

ولما أنشىء نادى المدارس العليا كان ممثل الحقوقيين فيه ، كما أنه مثلهم فى الاحتفال بتأبين المرحوم مصطفى كامل ورفع الستار عن صورته ، وألقى قصيدة من نظمه .

وكان لا يحتفل بالسنة الهجرية فجاهد هو وإخوانه لتقرير الاحتفال بها رسمياً .

وفى سنة ١٩١٢ حصل على ليسانس الحقوق ، وقرر اسمه فى جدول المحامين المشتغلين غير أنه لم يشتغل بها طويلا ، فقد لاحظ والده المرحوم إبراهيم بك السيد أباظه وعمه المرحوم إسماعيل أباظه باشا أنه يخوض غمار السياسة ويتعرض لأخطارها فخشيا عليه فترك المحاماة تحت ضغط منهما شديد .

ثم انتظم فى سلك الموظفين فالتحق مفتشاً للضبط بمحافظة مصر . وكانت الأزمة والمجاعة يومئذ تصرخ فى البلاد فوضع تقريراً ضافياً ، كما وضع نظام ملجأ

الفقراء وذلك النظام الذى أقره عليه اللواء « هارفى » حكمدار بوليس العاصمة فى ذلك الحين .

* * *

وفى سنة ١٩١٩ عندما هبت البلاد مطالبة بحقها اندفع إبراهيم دسوقى أباظه « مأمور الضبط بمديرية الجيزة » كعادته فى الصفوف الأولى من المجاهدين ووقعت فى هذه الآونة اعتداءات من الجيش الإنجليزى وارتكب جنوده فظائع كثيرة بمديرية الجيزة فى « البدرشين » و « العزازية » و « نزلة الشوبك » و « القنايات » فأخذ فى تحقيق هذه الحوادث فى محاضر رسمية ثم ترجمها إلى اللغتين « الفرنسية ، والإنجليزية » وطبعها ونشرها فى جرأة وشجاعة .

وأخذ الوطنيون يقرأون هذه المحاضر فى الاحتفالات والاجتماعات والمساجد بين الصلوات الجامعة — وأيام الجمع فى الخطب — ودرسها بعد صلاتها .

وشهد بنفسه عـدة مرات أمام المجالس العسكرية مثبتاً التهم التى وردت فى التحقيق وراحت السلطة العسكرية تضيق عليه الخناق فهاجمت بيته وفتشته سبع مرات فى القاهرة والريف واستولت على أوراقه وحققت معه وقد وقف فى وجه السلطة العسكرية موقفاً مشرفاً كان فيه جريئاً مقداماً صادق البأس ثابت الجنان يوم أن كان كل موقف جديراً بتعريض صاحبه للخطر على حياته إن وقف ذلك الموقف .

ولما وضعت حريته فى كفة ووظيفته فى كفة اختار الحرية وضحى بوظيفته فقدم استقالة فى سبيل حرية بلاده ؛ وهذا منتهى إنكار الذات والمثل الأعلى الذى لا يستطيعه إلا أولو الحزم » .

ثم تألف الوفد المصرى فأخذ يطبع تحقيقات الجيزة وترجمها ترجمة جديدة ليستعين بها فى دعايته السياسـية . وتألفت لجنة الوفد المركزية وسجن الوطنى

الكبير المرحوم عبد الرحمن فهمى فانتخب الأستاذان إبراهيم دسوق أباظه وأمين الرافعى ليعملا مكانه ولما كانت جريدة الأخبار تلتهم وقت الرافعى أخذ الأستاذ إبراهيم دسوق أباظه يقوم بأعمال السكرتارية وعقد الاجتماعات وتحرير المحاضر وسائر ما تتطلبه الحركة الوطنية .

وطلبت الحكومة الإنجليزية تأليف وفد رسمى للمفاوضة فألفه المغفور له عدلى يكن برئاسته وكان الأستاذ إبراهيم دسوق أباظه عضواً به فسافر معه إلى أوربا وأقام نصف عام تقريباً بلندره حتى قطعت المفاوضات فعاد وبعد عودته بقليل أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ثم تأسس حزب الأحرار فكان من أبطاله ومؤسسيه وانتخب عضواً بمجلس إدارته وسكرتيراً له .

ثم كان النظام البرلمانى فرشح نفسه للمجلس النيابى عن دائرة « بردين » فنجح فى جميع أدواره وكان من أكبر أعضائه البارزين .

وفى سنة ١٩٣٤ رشحت الحكومة رجلين من كبار المحامين لوكالة المجلس النيابى فصمم إخوانه على ترشيحه فقاومت الحكومة والأحزاب ذلك ولكنه نجح نجاحاً كبيراً فأصبح الوكيل الأول لمجلس النواب بأغلبية وفشل مرشح الحكومة وتوالت التهانى واعتزم المفكرون والأعيان بمديرية الشرقية على تكريمه فأقاموا حفلة تكريم حضرها جمهور كبير من الأعيان والوزراء وازدحمت مدينة الزقازيق بالوافدين فبدت كأنها فى عيد « على حد تعبير جريدة الأهرام »

وفى سنة ١٩٣٦ تكونت الجبهة الوطنية على أثر النهضة الأخيرة من زعماء الأحزاب السياسيين ثم ألفت الجبهة لجنة سميت « لجنة الجبهة الوطنية » فاختاره الأحرار الدستوريون عضواً ممثلا لهم فيها .

وفى سنة ١٩٣٨ أسفرت نتيجة انتخاب هيئة مجلس النواب عن اختياره وكيلا المجلس ورأى الفيف من حضرات نواب وشيوخ الأمة أن يحتفلوا بتكريمه

فشهدت دار حزب الأحرار الدستوريين مساء الاثنين ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ليلة فذة ، وقد اجتمع نواب الأمة وشيوخها ووزراؤها من مختلف الهيئات نذكر منهم : محمد محمود ، أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى ، الدكتور حامد محمود ، سابا حبشى ، مصطفى عبد الرازق ، حسين سرى ، محمد صفوت ، أحمد محمد خشبه ، محمد حسين هيكل ، حمد الباسل ، عبد القادر حمزة ، عبد الخالق مدكور ، الأستاذ عباس محمود العقاد ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، حامد العلايلى .

وفى سنة ١٩٤١ عين وزيراً للشئون الاجتماعية .

وفى سنة ١٩٤٤ « وزيراً للمواصلات .

وفى سنة ١٩٤٦ « وزيراً للأوقاف .

وفى سنة ١٩٤٧ « وزيراً للمواصلات ثم وزيراً للخارجية « بالنيابة » ، ثم وزيراً أصيلا لها .

قال عنه المرحوم محمد محمود « قد كان لدسوق أباظه مواقف موفقة منذ بدء الحركة الوطنية مواقف أدت إلى تركه خدمة الحكومة و إلى انتقاله لقضية البلاد العامة فى أطوارها المختلفة و إلى سعيه المتصل لكسب ثقة أبناء دائرته حتى كان نائبهم فى البرلمان منذ سنوات عديدة . كان له فى البرلمان مثال هذه المواقف الموفقة إذ كان يقف دائماً نصيراً لما يعتقده الحق لا يحابى فيه ولا يداجى ولا يبتغى إلا أن ترتفع كلمة الحق ليكون لها أثرها بين زملائه النواب وليكون لها صداها فى الرأى العام » .

وقال عنه المرحوم مصطفى عبد الرازق :

الأستاذ دسوق رجل مؤمن قوى الإيمان .

وقال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد :

« كان خبيراً بالحياة النيابية فهو من أقدمنا عهداً بالبرلمانات فإن كانت المعرفة التشريعية فهو من كبار العارفين بالقانون ، وإن كانت الخبرة بالإدارة الحكومية فهو كان موظفاً قبل أن يولد كثير من الموظفين الآن . ونذكر قناعته ونزاهة نفسه وصائب رأيه وعزمه .

كان دسوقي أباظه رجلاً شريفاً يسعى لغاية شريفة بوسائل شريفة بل وكان سياسياً شريفاً » .

* * *

هذه بعض نواحي الفقيد السياسية . ولأتحدث عن الجانب الأدبي في شخصية إبراهيم :

ولإبراهيم آراء في شعراء الجيل وبحوث ودراسات في الأدب وتوجيه للنهضة الأدبية وتعريف بها . ودفاع عنها .

ومَن كإبراهيم في نظراته الناقدة . وليس هذا بعجيب منه أو مستغرب فإن حب الأدب وراثة في الأسرة الأباظية . تمتلىء دورهم بالكتب والدواوين كما تمتلىء بالكتاب والشعراء . وهم أنفسهم يكتبون وينظمون ولا يخلو جيل من أجيالهم من كاتب أو شاعر أو راوية أو أديب . فهذا عميدهم سليمان أباظة يصوغ الشعر السهل . ويحوك النثر الجزل ، ويكتب الرسائل على النسق البديعي فلا يفوقه كاتب في عصره — وكان من شعره في رثاء أخيه المغفور السيد أباظة :

ولو ان إظلام الليـــالى من الأسى ووقع الخطوب السود ما طلع الفجر

وكان حافظ إبراهيم — شاعر النيل — يروى له ويعجب به .

قال رحمه الله إبراهيم دسوقي أباظة : والله لقد سمعت حافظاً غير مرة ينشد بيتاً لسليمان أباظة من قصيدة له في رثاء أخيه المغفور له السيد أباظة .

ولو أن إظلام الليالى من الأسى ووقع الخطوب السود ما طلع الفجر

ويقول : وددت لو أن لى هذا البيت من الشعر بنصف ديوانى كله . وسمعته يردد مع شديد الإعجاب قوله فى الفخر :

سيوفُ ثبـــاتى فى قِراعِ الشَّدائدِ تجرِّدها أيدى التجـــلُّدِ لا يَدِى
يقُولُونَ : سـالمهُنَّ إنْ كُنْتَ ذا نُهَى وعزْمِى يقول : الحزمُ قَمْعُ المُعَـانِدِ

وكم مدح « حافظ — شاعر النيل » بنى أباظة فهو الذى يمدح عميـد الأسرة الأباظية فى عصره المغفور له سليمان أباظة . ويشبه بلدته « طاهرة » قبـلة الأدباء بالبيت والقدس إذ يقول :

سليمانُ ذكَّرتَ الزَّمانَ وأهلَهُ بعزِّ سُليمانٍ وإقْبـــالِ دُنْيَـاهُ
تحلُّ بحيثُ المجْـدُ ألْقَى رِحاله « فطاهرةٌ » والبيتُ والقدسُ أَشْبَاهُ

فبنو أباظة أدباء وشيوخهم نقدة جهـابذة فى الأدب نثراً وشعراً نذكر منهم المغفور له إسماعيل أباظه وشيخ البرلمان « القاضى الأديب » جمال الدين أباظه الذى نقب فى الأدب واللغة وطرائف المفردات والتعبيرات . ومن كفكرى ، وعزيز ، وثروت ، فى رصين الشعر . وطريف المنثور .

وإنا إذا ذكرنا هؤلاء فإننا نذكر المغفور له إبراهيم دسوقى أباظه واسطة العقد إذ هو نموذج لغير ما يؤثر من وجوه هذه الأسرة الأباظية الـكبيرة من حب للأدب . ومشاركة فيه . وعطف على الأدباء . بل أنه زاد محصوله على محصولهم فى كل تراث نفيس ، إذ شمل عطفه الأدباء فى حياتهم . وأربى فشمل ذكراهم بالعطف بعد الممات . فـكم وسع الشاعرين « حافظ ومحرم » فى عالم الذكرى .

ورد بمذهبه فى النقد الأدبى من شعر حافظ ، وشعر محرم — فقـد كان — رحمه الله — أديباً عاش الأدباء فى ظلاله الحانية ، ووفى بذكراهم وخلدها فى ندواته الأدبيـة .

وإنا إذ نذكره أديباً ينبغى أن نؤكد ناحية انفرد بها من بين أهل صناعة القلم وهى أنه أوجب حب صناعة القلم على نفسه ولم يوجبها عليه جاه يبتغيه أو كسب يسعى إليه لأنه كما نعلم ولد فى مهاد الجاه والحسب . واستغنى بالموروث عن رزق مكتسب ولقد تعلق بوحى القلم فى مقبل صباه وشغله هذا الوحى عما يشغل الشاب السرى فى لهوه وهواه ، ولقد كتب فى المدرسة إبان أن كان طالباً — كما سبق أن ذكرنا ذلك — وكتب فى غير أوقات العمل فى أوقات راحته من دروسه — ولما فرغ ذات سنة من امتحانه طلب الإذن من والده الكريم فى رحلة يستريح بها من عنائه فأذن له بالذهاب إلى القسطنطينية فلم يشغله البسفور ومغانيه . ولم يفتنه الشط الذهبى وغوانيه . ولكنه تناول القلم ليكتب إلى صحف مصر بما سمع وعلم . وكان ما سمع وعلم جهداً يستغرق ساعات الصحفى المشتغل بالبحث والمراسلة لأنه ينقل إلى العالم ما كانت تعانيه الدولة العثمانية يومئذ من حروب البلقان .

هل لإبراهيم مذهب أدبى ؟

نعم ؛ وكانت له مدرسة فى الجيل الحاضر تتربى على مذهبه الذى ألخصه فيما يأتى : —

— ١ —

إنه يؤمن بتأثير البيئة فى شاعرية الشاعر إذ يرد شاعريه الشاعر إلى مشخصاتها الأولى أو إلى عواملها « الأولى » وذلك لرفاهة حسه ودقة شعوره . ومزاجه المعتدل . أنظر إليه يقول عن حافظ إبراهيم — وقد نقل قوله « الأهرام » .

ولد على الأرجح فى ٤ فبراير سنة ١٨٧١ م فى ذهبية كانت راسية أمام ديروط على النيل لأعمال كانت تقام بإشراف أبيه . ولعمرى أنه ميلاد جدير بشاعر . ولو كنت شاعراً لزعمت أن ميلاد شاعر النيل فى حضن النيل . وفى مهد

من جمال الطبيعة الساحر كان له تأثير فى شاعرية حافظ المبكرة . وفى أنه فتن بوطنه وبرح به هواه فحمل قيثارته يتغنى بعظمته . ويبكى لمصابه . ويهيب بأبنائه لإنقاذه ويذكره بماضيه وحضارته حتى استحق أن يلقب بشاعر النيل ويكفيه ما فى اللقب من إعجاب وتقدير وتبجيل .

ولما غاب عن طه حسين أن للأسرة الأباظية تأثيراً فى شاعرية حافظ مما جعله يقول — أى طه حسين — فى حافظ — أن شعره فى رثاء أصدقائه الأباظيين متكلف لا يدل على حزن صادق ، ولا لوعة وإنما دفع إليه بواجب المجاملة وإنك تحس عندما تقرؤه كأنك تقرأ شعر طالب . وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محاكاتها فأخذ معانى القدماء وذهب مذهبهم فى الغلو السقيم ويشبه الدكتور تعزيته للأباظيين بتعزيته للانجليز فى فقد ملكتهم .

لما رأى إبراهيم دسوقى أباظه من الدكتور طه ذلك ، وقد غفل عن تأثير البيئة ، والصداقة التى كانت بين حافظ وبين الأباظيين فى شعره تلك الصداقة التى ظلت تزداد مع الأيام رسوخاً ومتانة حتى امتنعت الكلفة وأصبح يحسب نفسه واحداً منهم ولا يحس فى بيوتهم وحشة الاغتراب ، والتفوا به يكرمونه ويشيدون به ويتغنون بشعره ويشجعونه فكثر فيهم شعره لذا يقول إبراهيم دسوقى أباظه — رداً على الدكتور — وقد نهج فى رده على مذهبه الأدبى من ربط شاعرية الشاعر وصدق عاطفته بعواملها الأولى إذ يقول :

« ولست أدرى لم يكون الأمر كذلك ؟ وقد حدثت القراء بنشأة ما كان بيننا من صلة ولم يشبهنا الدكتور طه بالإنجليز غفر الله له — وأجدادنا عرب علموا الناس الوطنية والثبات ولم نعبد اليوم ما كنا نحرمه الأمس ، ولا حرمنا اليوم ما كنا نعبده من دون الله ولا اتخذنا السياسة تجارة .

وهنا أقف قليلاً عند قوله : « اتخذنا السياسة تجارة » فأجد حياته السياسية حافلة بالأدلة الصادقة على إثبات أنه ما اتخذ السياسة تجارة ، وهو فى هذا الرد ينافح عن شعر الشاعر بمذهبه الأدبى .

— ٢ —

نجد له نظرات فنية دقيقة فى تحليل طبيعة الشاعر تحليلا لم يسبق إليه محلل لشاعر ما ، استمع إليه وهو يقول فى شوقى : « كان إذا تحدثت إليه أصغى إليك ، وهو يرنو بعينين لا تكادان تستقران ، فإذا حدثت سمعت منه أفكاراً تسمعها من أى إنسان خالية من العمق والطرافة ، ونصوغ الحجة ودقة الملاحظة ، و بينما أنت معه فى الحديث تراه يهتز فجأة ، و يتألق وجهه و يبحث عن ورقة فيكتب أبياتاً قد تصل إلى عشرة أو أكثر يبدأ قصيدة بها أو يكملها ، أو يختمها ، فإذا قرأتها أو سمعتها قرأت عجباً ، وسمعت طرباً ؛ فلسفة وتاريخ ، وحكمة وجزالة ورقة ، وتحليل يفيض عمقاً ودقة ، وتحليق يثب به إلى أجواز السماء » .

— ٣ —

نقرأ على صفحات الجرائد فى هذه الأيام ما يعترك عليه شيوخ الأدب ومحدثوه فى موازين النقد ومقاييس اللفظ والأسلوب ونجد من شيوخ الأدب من يضيقون بالمدرسة الحديثة ، كما نجد من الأدباء الشبان من يضيقون ذرعاً بالمدرسة القديمة . ولكن إبراهيم دسوقى أباظة كان يطل على المعركة وهى قديمة من أفق عالٍ ومن مستوى عالٍ فيحيط بما فيها من مناضلات ، ويزن للمدرستين القديمة والحديثة ولا يفرط حق الأولى ، ولا يثبط أنصار الثانية حتى يسير ركب الأدباء قدماً فهو القائل :

« وأنا أؤكد ما أريد أن يرسخ فى الأذهان من أن المدرسة الحديثة أكسبت الشعر المعاصر ثروة فكرية جديدة » . ويقول :

« لست متشائماً ولا أنا ممن يعرفون اليأس ، ففى مصر وشقيقاتها شعراء من الشيوخ والشبان يشار لهم بالبنان يرفعون لواء الأدب الرفيع » .

فهو من المتفائلين أو من القائلين بالتفاؤل الأدبى . ذلك المذهب الذى يفسح للناشىء فيشجعه و يثبته و يسدده، ولقد ينظر بعض شيوخنا نظرات قاتمة إلى الأدب الحديث . وتلك النظرة منهم لا تشجع الناشئين . ولكن إبراهيم ولا يكتفى بالتشجيع بل يعمل على إبراز أهداف المدرسة الحديثة فى الشعر خاصة إذ يقول :

« وأظهر ما يصور هذه الأهداف تلك النزعة الاستقلالية فى التعبير والمعنى مما أثار حولها اللغط الكثير لأنها خرجت بأجواء من المعانى لا عهد لقارىء الشعر القديم بها فالتعبير عن معانى القطيعة بالطائر الذى يفر و بالمركب الفزع الذى تتناوشه الأعاصير .

قول الدكتور إبراهيم ناجى فى ديوانه « ليالى القاهرة » ، « فى موضوع ملحمة الشراب » :

يا شافِيَ الدَّاء قد أدْوَى بىَ الدَّاء ... أَمَا لِذَا الظَّمَإِ القَتَّال إرْوَاء
ولا لِطائر قلبٍ أنْ يقرَّ ولا ... لِمَرْكَبٍ فَزِعٍ فى الشَّطِّ إرْسَاء
عندى سَمَاء شِتاء غيْرَ مُمْطِرَةٍ ... سوْداء فى جَنبَاتِ النَّفْسِ جَرْدَاء

هذا التعبير خروج على المألوف فى أسلوب النظم ولقد لقيت المدرسة الحديثة مع هذه المحاولات الموفقة جزاء سنمار فكان عجيباً حينما احتدمت المعركة بين القديم والجديد فى مطالع النهضة الأدبية الحديثة أن تجد الداعين إلى هذه النهضة يحملون فى غير هوادة أو رفق على أولئك الذين أخذوا بأسبابها وساروا فى طريقهم قُدُماً يحثون خطاهم و يستشيرون من حولهم بما ينشرونه فى الصحف أو يلقونه فى المجتمعات من نتائج المواهب والملكات فالمغفور له كان لسعة أفقه ولتمثله الثقافتين العربية والغربية ممن :

يسمون بالأدبِ الحديثِ وتارةً يبنونَ للأدبِ القَـــدِيمِ رِوَاقَا

وكان رحمه الله صاحب مدرسة أدبية حديثة ألَّف من أجلها « جامعـة أدباء العروبة » وكان مركزها العام بالقاهرة وافتتحت لها فروعاً بالقطر . ففتح فرع الفيوم سنة ١٩٤٩ وفرع الزقازيق سنة ١٩٤٨ . . . . مما جعل الناشئين فى عهـده يثبون وثبات أدبية ذات لمحات فنية وومضات أدبية رائعة نذكر من أولئك الأدباء الذين تربوا على أدب « الغزالى أباظة » أحمد عبد المجيد الغزالى والعوضى الوكيل وغيرهما كثيرون .

وقد كان رحمه الله — يحاول أن يخلق بهذه الجامعة نهضة أدبية حديثة تأخذ أحسن ما فى القـديم وتبر بهذا الحديث ، وكان يعتز بشعراء دار العلوم المحدثين والقدامى فهو يقول فى دار العلوم :

« وما أكبر فضل دار العلوم على اللغة والأدب الماثل فى الصفوة الأعلام من خيرة شعرائنا الممتازين » .

وكانت له تسميـة طريفة شاعرية من ذلك أنه كان يسمى الدكتور إبراهيم سلامة « شيخ دار العلوم » ، « الدكتور قيثارة » لإيقاعه الجميل فى خطبه .

وإذا صح أن نوجز القول فى خصائص المدرسة الأدبيـة الإبراهيمية الحديثة فإنه كان رحمه الله يريد من المدرسة الحديثة أن تتسم بطابع الجـدة والطرافة والأسلوب الأنيق والعبـارة السهلة ، وهى تحتفل بالفـكرة احتفاءها باللفظ وتعنى بالموسيقى عنايتها بالصياغة والصنعة . والمنهج الفنى لهذه المدرسة الأدبية هو العناية بالمعنى وعقد الصلة بين القول والقائل ، ليكون القول صورة صادقة من قائله بل قطعة من نفسه وبضعة من شعوره . ومن خصائص هـذا المنهج ، وهذا شأنه ، أن يحارب الانصراف إلى الأسلوب والتوجه إلى الزينـــة اللفظية وقد نهض — رحمه الله — بعبء تأليف جامعة أدباء العروبة حتى تعمل على نهضة الأدب

بإيقاظ الذهن العربى وحسن توجيهه لأبعد آفاق المجد والسؤدد — وتشجيع نوابغ المفكرين والنابهين من رجال القلم . وتجد فى توثيق الأواصر بين الأدباء فى مصر ثم توثيقها بينهم و بين أدباء العالم العربى والجامعة ، لهذا الغرض لا تحتكر الأدب العربى بل هى تغتبط وتبتهج بكل من يدعون للنهوض به أفراداً أو جماعات وتمتد يدها مخلصة لكل جمعية تنحو نحوها — وتسير على نهجها بعيدة عن السياسة والحزبية بعدها عن الأغراض الذاتية .

دوافع أصيلة

ونحن إذ بحثنا الدوافع التى دفعت بالفقيد إلى السعى الدائب فى تأليف هذه الجامعة وجدناها فى قوله :

إننا نحلم بما كان عليه أجدادنا من عز ومجد ورفعة شأن وسطوة وسيطرة وامتداد سلطان ، نحلم بما كان لهم من مكانة سمحت للشاعر أبى دلف أن يتغنى مفاخراً بما كان عليه قومه العرب فيقول :

فنحن الناس كل النا ... س فى البر وفى البحر
أخذنا جزية الخلق ... من الصين إلى مصر
لى طنجة بل فى كل ... أرض خيلنا تسرى
فإن ضاق بنا قطر ... نثب منه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها ... من الإسلام والكفر

فهو بذلك يعلن عن الغايات البعيدة التى يسعى إليها فى إعزاز العروبة والإسلام وهما لا يعلو لهما شأن إلا بنهضة أدبية موقظة للغافلين عن هذا التراث البائد .

— ٤ —

تجد له — رحمه الله — مذهباً فنياً خاصاً طريفاً فى « أدب السياسة » عبر عنه شاعر مصر الكبير عباس محمود العقاد فى قصيدته التى ألقاها فى حفلة التكريم

التى أقامها حزب الأحرار الدستوريين والتى تصور شخصية المغفور له إبراهيم دسوقى أباظه الأدبية أصدق تصوير ومنها :

فتى ترضي سجاياه ... ويصدق قلبه فمه
تساوت عنده مطريه ... مزاياه وأنعمه
وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟
له مجد يؤثله ... بمساعاه ويدعمه
وقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه
ولكن ليس يستغنى ... بحظ لا يتممه
تكنى (بالغزالى) ... فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيام ... لاقاه محيمه
أديب ينثر التبيان ... آيات وينظمه
عماد الجمع منبره ... وزين الطرس مرقمه
وللفنان فى ناديه ... مغناه ومغنمه
علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

وقد عرف الناس « الغزالى أباظه » منذ أن كان طالباً فى مرحلة التعليم الابتدائى كاتباً بارع الأسلوب ، عالى الفكرة ، يدير معانيه السياسية فى عبارات قوية الأداء متينة النسج تنطوى على الفكرة الجادة فى مواطن الجد وتتقمص الفكرة الساخرة حين تنفع السخرية ويجدى التهكم .

ولقد نشأت هذه الأساليب المرنة التى ابتدعها « الغزالى أباظه » كثيراً من كتاب هذا الجيل الذين يعالجون بأقلامهم الساخرة الفكهة أعوص مشاكلنا السياسية .

وطالما تساءل الناس عن « الغزالى أباظه » الذين شغلهم ردحاً طويلا من الزمن بقلمه الجاد فى سخرية والساخر فى جد حتى عرف الجميع أنه « إبراهيم دسوقى أباظه » السياسى الأديب .

زحمت السياسة وقت الأديب وأخذت عليه مسالكه غير تاركة له إلا سوانح الفرص التى تتراخى بها الأيام .

تلقفته مناصب الوزارة فهو وزير للشئون الاجتماعية وزارة حديثة العهد بالبلاد تحتاج إلى مجهود جديد ومحاولات جديدة ثم هو وزير للأوقاف ثم وزير للمواصلات غير مرة ثم هو يجمع بين وزارة المواصلات ووزارة الخارجية نائباً عن وزيرها فى الظروف الدقيقة التى تجتازها مصر ثم يتولى وزارة الخارجية أصيلا لها فى نفس هذه الظروف .

من أين له إذن بوقت فسيح يفرغ فيه من أعباء الحكم والعمل المتصل إلى المشاركة فى بعث النهضة الأدبية وتشجيع الشعر والأخذ بيد الشعراء .

هنا — تبدو عظمة الرجل حيث لم يفرط فى فرصة متاحة إلا انتهزها ليؤدى حقًا للأدب عليه .

لقد قام وحده بالدعوة للاحتفال بذكرى شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم وكانت لجنة الاحتفال تتخذ منزله مكاناً مختاراً وظلت اجتماعاتها تتوالى حتى كان الحفل لائقاً بحافظ إبراهيم اجتمع له ممثلون للبلاد العربية من كل قطر شقيق .

ولقد اشترك فى مناسبات أدبية كبرى بأكبر جهد مشكور .

كرم ذكرى شوقى ثم تحدث وأطال فى دراسة وافيـة لشاعر القطرين خليل مطران وإلى جانب هذا النشاط الأدبى الجم يحنو على جامعة أدباء العروبة فشد أزرها بإنشاء الفروع وإقامـة المهرجانات الوطنية والقومية والأدبية فى عاصمة البلاد وعواصم المديريات .

— ٥ —

ومن جهاده السياسى وشعره فى ذلك ما كان بين مصر والصين من صلات وثقها المغفور له وقد كان للصلات الطيبة التى أكدها أثرها العظيم فى تأييـد

الصين للقضايا العربية وقضية مصر فى أثناء عرضها على المنظمات الدولية وقد رغب سعادة الدكتور هوفنج شان وزير الصين المفوض بمصر فى أن يحتفظ فى سجل ذكرياته بما يؤكد هذه الصلات الطيبة بين البلدين فكتب المغفور له هذه الأبيات الآتية فى سجل الوزير وتلك الأبيات تعبر أدق تعبير فى بيان عربى مبين جامع بين الأدب والسياسة . قال رحمه الله :

ربطَ التَّاريخ فى صدرِ الزَّمانْ ... مصرَ والصينَ ونعمَ الأُمَّتانْ
أُمَّةُ النِّيلِ لقد كان لها ... فى قديمِ الدَّهْرِ أعْلَى صوْلَجَان
وبلاد الصِّين كانت مثلُها ... مجدها قد عمَّرَ الشَّرْقَ وزان
فإذا كُنْتُ أُحيي مجدها ... وأَصُوغُ الودَّ فى هذا البيانِ
ثمَّ أُهْدِيهِ عَبيراً عاطِراً ... للوزيرِ المجتبَى « هوفنج شان »
فهْوَ من أبناءِ مِصر باقة ... من وفاء — زاده الله وصان —
ورجائِي للعلاقات التى ... قد نمتْ — خلداً على مَرِّ الزَّمان

* * *

هذا هو إبراهيم فى أدبه وفى علوِّ كعبه فى السياسة وهذا هو « الغزالى أباظة » فى شخصيته الأبية النقية . فسلام على إبراهيم فى الأولين والآخرين — فقد كان أمَّة وحده أدباً وسياسة .

وإن أبَنَّاهُ اليوم فى أسى وأسف فإنا نتعزى بمن خلَّف من شباب الأباظيين ورحم الله حافظاً إذ يقول :

بنى أباظة ما زالت ديارُكمو ... أفق البدور وغاباً للصناديد

ليبيا فى جهاد للفقيد

للأستاذ عز الدين محمد نصيف

إخوانى المصريين :

أقف اليوم بينكم فى هذا الحفل الذى تجمعنا فيه ذكرى حبيبة إلى قلوبنا جميعاً ذكرى تأبين فقيدنا الراحل ورائدنا جميعاً المرحوم ابراهيم دسوقى أباظه . والآن وقد سمعتم من المراثى نثرها وشعرها ، وما هى إلا نقطة من بحر بما فى قلوبنا من مراث نقولها لا يكفينا فيها شعر ولا يحدها نثر .

ولكن بقيت كلمة يقولها العربى الليبى ، فليس الفقيد فقيد أبناء الشرقية وحدهم ، بل هو فقيد الشرقيين كلهم وأبناء العروبة جلهم، فقد كان الراحل الكريم رجلا بين الرجال عرفناه نحن الليبيين منذ أن وطأت أقدامنا أرضكم الطيبة ، عرفناه بحكمته وواسع خبرته وأدب ندوته . كنا نسعى إليه ، وكان يسعى إلينا ، يحمل لنا فى قلبه الكبير ، الأمل بعد الأمل فى حق قضية وطننا فكان لنا النور الساطع الوضاح فى كل ظلمة تلم بنا ، فيكشف عنا غمها بحكمته، ويمسح عنا ما يشوبنا من يأس وينفخ فى روحنا الأمل والرجاء .

حتى بزغ فجر استقلال الوطن الليبى وعم نوره الدنيا بأجمعها فجاءنا مبشراً تلمح فى وجهه حقيقة النصر وثمرة الصبر وعزة الرجال ، فكان المهنأ الأول والشاعر الأول .

ولا يطول كلامى بينكم ، فليس اليوم لخطب تقال ، ولا لشعر ينشد ، ولكنها كلمة صغيرة منى لأكرم الرجال ، وإن الرجال قليل .

كلمة أقولها من قلبى صادقة أن فقده كان لنا كفقد الأب الرحيم ، والأخ الكريم ، وكان لنا رائداً بحكمته ، صديقاً بعروبته ، رجلا بمروءته ، وكان يصول ويجول بحلو شعره وجمال نثره، وصيت ندوته حتى سمع بها أبناء العروبة فى أوطانهم فأكبروه وعظموه .

إخوانى المصريين . إن رابطة مصر ليبيا ما هى إلا نفحة من نفحاته دفعنا إليها فتحقق أمل الوطن الليبى فى استقلاله وتحقق إنشاء الرابطة الليبية المصرية لفكرته وأمله .

وإننى أدعو الله مخلصاً أن يجمعنا كل عام لتمجيد ذكراه ، وأدعو الله أن يكرم مثواه وأن يهبنا وإياكم الصبر لفقده ، وأن يعوض أبناء الشرقية والعروبة جمعاء فيه خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أبكى الوفاء

للأستاذ أمين أمين أبو علف

أبكي الوفاءَ لراحلٍ رَحَـــلاَ ... ليسَ المنونُ بممهلٍ أجَـــلاَ

صَحبَ الدسوقيُّ الحيـــاةَ فلَمْ ... تحمل لهُ حقـــداً ، ولاَ حَملاَ

عرفَ الســعادةَ منذُ مولدِه ... بذلَ السعادةَ فى الذى بَذَلاَ

سمحاً رضيًّا ما مررْتَ بهِ ... إلا وجـــدْتَ مرحَّباً جَذِلاَ

لم تبـــــطر النعماء نخوته ... هيهَات تبطرُ نعمـــةٌ رَجُلاَ

شعراء مصرَ لقبـــوه أباً ... فغدت بكلِّ محـــلَّةٍ مثلاَ

وصْفُ الأبوَّة فيـهِ مكتملٌ ... فى كلِّ ما قـد قالَ أو فعَـلاَ

وتحـزبَتْ مصرٌ وكانَ لهُ ... فيها مكانٌ لا ينالُ ، عـــلاَ

حتى مخالفـــهُ يبجِّـــلُهُ ... شرف الخصومة هذَّب الجدلاَ

ثِقَةُ الجميع بحسْـــنِ مقْصِدِهِ ... فالكل لم يقطع به أمـــلاَ

رقتْ حواشـــيهِ وحببه ... فى النـاس طبعٌ ينكرُ الفشَلاَ

صَـنعَ الرجالَ بحسْنِ منطقِهِ ... رجـلٌ تخَالُ كلامَه قُبـلاَ

وأبو فَرِيقٍ عشْتُ فيه : أبِي ... أأبى لقـــد غادرْتنَا عَجِـلاَ

ومعـــاصرُوهُ فى مكانته ... كانُوا وكانَ — فهلْ ترَى مثلاَ

يا مُورثاً شبليْه صـــورته ... أورثْتَ غابَكَ منهـمَا بَدَلاَ

يا تاركاً فى مصر (ثروته) ... غادرْتَ مثلَ أبيـــه منتخلاَ

وأخوهُ (شَاملُ) كلُّ مكرمَة ... لازال بالأمْجَـــادِ مُشْتَمِلاَ

سارَا من الأجْـدادِ فى سُنن تلْقَى أواخـــــره بهِ الأُولاَ

* * *

أبنى أباظَة لَيْسَ ينـــكُمُو فى سبقكم من يؤثر المَهـــلاَ
الـكلُّ يثْنِي حين يذكُركُم حتى الذى قـــد عوَّدَ العذلاَ
يا أَهْـــــل إقليم يشرِّفُه هذَا الفقيـدُ ، فقدتُموهُ بَطَلا

* * *

ذهَبَ الذى من فـرْط رقتهِ إن قَال قـــولاً خِلْتَه غَزَلاَ
وطَنى وعَـــيْنُ اللهِ تكلؤه عانى أشـدّ الرزْء إذْ ثَـكِلاَ

يامـــوئل الأدباء

للأستاذ علي حسن تبيه

الشعرُ رُوِّعُ فيـك والأدبُ ... يا مَنْ لفقـدِكَ ريعَتْ العربُ

يا ناصر الضـادِ التي عَرَفَتْ ... من بعد يومك كيف تنتحب

جزعاً على السمْح الأريب ومن ... لحياتها قد جـــلَّ ما يَهَبُ

نفسٌ أقلُّ مثـــال ما وهبتْ ... أغلى الذى يُرجى ويكتسبُ

الله للأحبـــاب ما وَجدوا ... وإليه فى العليـاء ما احتسبوا

إن جلّ صـبرهمو فحسبهمو ... أن الردى للصـيد ينتخب

يا موئل الأدباء كيف بهم ... إن فاتَ فيكَ لهم أخٌ وأبُ

كم دمعـــةٍ حرّى مؤججةٍ ... حزناً عليك ومهجـــة تجبُ

واليوم إن ذكروك فافتقـــدوا ... كنزاً من الآمال يحتجب

فكفى بمجـــدك أنهم عرفوا ... نجماً بكتْـهُ الأنجم الشهبُ

الشـــاعرُ البرّ الوفى ومن ... لم يُطْغِـــهِ جاه ولا حسبُ

والصاحب الإنسان تعرفه ... ما إن له فى صحبـــة أرب

إلا الوفاء فإنه صـــفة ... فى طبعِـــه ما إنْ لهَا سبب

هـــذى شمائله فكيف بها ... إن زانها من أصـــله نسب

أو زادت التّقـــوى مناقبه ... نوراً وجـــلّى حسنَها الأدب

إن لم يُلِمَّ بفضـــله فَطِنٌ ... متحدث عنـــه فلا عجب

فأعِـــدْ عَلَى سمع المقادر ما ... تحكى المنابرُ عنـه والكتبُ

حفلة أسوان

فقيد الوطن . !

للأستاذ أحمد محمود العقاد
رئيس النـــدوة الأدبيـــة بأســـوان

إخوانى ..

يا لهول المصاب ويا لشدة الخطب ويا لحسرة القلب ويا لهزيمة العقل فيا عين جودى بالبكاء فليس لك إن لم يفض ماؤك اليوم عذر، فقد فجعنا برزء فادح مزق نياط القلوب وابتلينا بمصاب جسيم لا يجدى فيه شق الجيوب فقد نعى النعاة من كان علماً خفاقاً من أعلام هذه الأمة وقطباً كبيراً من أقطاب هذا الوطن وركناً ركيناً للعلم والأدب وحصناً حصيناً لنهضتنا الفكرية والعلمية فاهتزت لهول هذا المصاب البلاد ولبست الأمة ثوب الحداد وصاح الجميع فى هلع وجزع لقد قضى الأب الرحيم والمجاهد الوطنى العظيم الأستاذ الألمعى الكبير «إبراهيم دسوقى أباظه» عدا الموت عليه والبـــلاد أحوج ما تكون إليه ولم يرحم الردى فيه شعباً بأسره فطرعلى حب الفقيد ، وعروبة عرفت فيه الشهامة والمروءة والرأى السديد ، وخلصاء أوفياء وجدوا فيه نعم الرائد والعميد . فى ذمة الله راعينا ذو الباع الكبير والفكر المستنير والعلم الغزير والقلب الرحيم والنفس المؤمنة والروح الصافية والأدب الرفيع والأخلاق الفاضلة العالية .

إن البـــلاد لتبكى فى الراحل الكريم رجلا من أعز رجالها وأبنائها خلقاً وأطهرهم يداً وأعفهم لساناً وأكرمهم نفساً وأعلاهم قدراً وأصدقهم وطنية وأعظمهم حكمة وأكثرهم براً بالأدباء وعطفا . ملك ـ عليه الرحمة ـ الأفئدة بفضائله وسكن حبه حبات القلوب برقة شمائله .

إخوانى . .

إنى إذ أحاول أن أرثى الفقيد الكريم وعميدنا العظيم لأحار فى أى نواحى عظمته أتحدث وعن أى مناقبه أتكلم ولأى مواهبه أعدد ، والحق أننى فى هـذا الموقف موقف الواله الحزين أشعر أن الحزن قد عقد لسانى والقول من فرط الأسى قد عصانى فأستميحكم عذراً ان غلب على التأثر فاجتزأت كلمتى وموعدى ما عقدنا عليه العزم من إقامة حفل تأبين ورثاء للفقيد العزيز يتاح فيه للندوة الأدبية ولى أن نقوم ببعض الواجب علينا نحوه . أجمل الله لنا وللعروبة فيه العزاء وجعل البركة وطول البقاء فى أنجاله الأعزاء .

عز المصاب!

للشاعر عبد المنعم الزيات

عزَّ المصابُ فما دمْعِي بهطَّالِ ... ولا القوافى مُصيخاتٌ لأقوالِى

والهَوْلُ إنْ جلَّ لا دمعٌ ولا جلَدٌ ... والموتُ إن حَان لا يُفدَى بأمْوال

والخطْبُ فيكَ «دسُوقِى» لا يُضارعُه ... خطبٌ فأنْتَ لمصرٍ إبنُها الغالى

منْ للعلُومِ وللآدَابِ ينْشُرها ... منْ للعرُوبةَ يرْعاها . بإجْلَال ؟

منْ للأَديبِ ومَنْ للشِّعْرِ يكلؤهُ ... فى الشَّرْقِ غيرِ أباطىٍّ وَرِئْبال ؟

منْ للشجَاعةِ فى أجْلَى مظَاهِرِها ... من لِلْحجَا والنُّهَى أوْ شِدَّةِ الحَال ؟

منْ للمحَافلِ بعْد اليوْمِ . يطرقُها ... أوْ للمجَامعِ جوَّالٍ . وصَوَّال ؟

من للمسَاكينِ والأيتامِ ينفحُهم ... بفائضٍ من جَزيلِ الخيْرِ سيَّال ؟

من للعفَاة إذا مَا القلْ أقعَدهم ... سَواكَ حصْن ومن للفقْرِ من وَال ؟

غير الأَباطِيّ من يُعنَى بنهضتِنَا ... يحنُو عليْها بأعْمالٍ ؛ وأفْعَال ؟

أضْفَى عليْها بنورٍ منْ بصيرتهِ ... ومدَّهَا بسديدِ الرأْيِ والمَال ؟

أقمْتَ سوقَ عكاظٍ فِى كِنَانتِنا ... بصفْوةٍ من فحُولِ الشِّعرِ أبْطال

شيَّدتَ نهضةَ آدابٍ . ومعْرفةٍ ... ولم تكنْ بالَّذِى تأتِى بمخْتَال

ورحْتَ تبعَثُ روحاً . لَا يُضَارعُها ... أو ما يماثِلُها فى مجْدِها الحَالى

حتَّى غدتْ دولةُ الآدابِ . قائمةً ... على صُرُوحٍ مشيداتٍ وآمَال

يا ربِّ فاجعلْ لهُ فى الخلْدِ منزلةً ... وابعثْ لَه رحمةً من فيْضكَ العالى

الفقيـــد العظيم

للأستاذ عبد المجيد عباس أبو النيل

إخوانى : ليس المصاب الذى يخيم الحزن علينا من أجله ، وتعترينا الكآبة من هوله بمصاب فرد أو مصاب جماعة أو هيئة ، ولكنه مصاب أمة بأسرها ، فقدت رجلا من أعظم رجالاتها المبرزين ، وفجعت فى إنسان كامل من أخلص بنيها العاملين ، عرفته مصر حاملا للواء الجهاد ورائداً للعلم والأدب ومخلصاً فى خدمة البلاد ألا وهو المغفور له أستاذنا وعميدنا الكبير إبراهيم دسوقى أباظه . .

نبكى فيه مروءة فاقت المروءات ورجولة بزت الرجولات وكفاية تتوج بها الكفايات ، ونندب بفقده عبقرية كان الفقيد لها رمزاً ، ونبعاً لروح الوطنية عذباً ومرتعاً للثقافة خصباً ، وعميداً للأدب والعلم تناهى حكمة وخلص نفساً وقلباً .

أيها الإخوان : ليس أدل على ما للفقيد العظيم من رفيع مكانة فى نفوس أبناء أمته من أننا ونحن فى بلدنا القصى النائى تفيض نفوسنا أسى وتذهب حسرات على رحيله وفقده ، ولا بدع فقد عمت أياديه مصر والعروبة وغمر فضله أرجاء الوادى ، وهاهى ذى أسوان وقد اغترفت من فيض نداه ، ونعمت بما قدمت يداه، فلن ننسى يوم شرفها بالزيارة ومعه أدباء العروبة حيث أقاموا مهرجاناً للأدب اشتركت فيه ندوتنا الأدبية وكانت موضع إعجابه ورضاه فقلدها رحمه الله شرفاً رفيعاً ، إذ جعل منها شعبة لجامعة أدباء العروبة ، وكان ذلك اليوم بحق يوماً تاريخياً خالداً .

فكيف لا نبكيه وهو عميد الأدب والأدباء ونصير الشعر والشعراء ونبراس الوفاء بل وإمام الأوفياء !

و بعد فلن تفى منى هذه العجالة ولن تكفى هذه الدمعة للإشادة بمن كان مثالاً للعظمة والنبوغ ، وعنواناً للطهر والنبل ، وجماعاً لمكارم الأخلاق والفضل ، فلنحاول أن ندخر من كلامنا ما يليق قوله فى الفقيد الكريم ، وذلك فى حفلة التأبين التى تقيمها ندوتنا فى القريب بإذن الله عسانا نوفى الراحل العظيم بعض حقه وفضله ، أفسح الله له فى جناته ، وأثابه المولى عداد حسناته .

ركن تصدع

للأستاذ محمد عبد المنعم ناصر

ذبُلَ الزَّهْرُ فى الرُّبَى والمغَانى ... وجَرَى النِّيلُ ظاهرَ الأحْزَانِ

حينَ ماتَ إبراهيمُ لم تلْقَ إلّا ... مُطْرِقَ الرَّأْسِ دامعَ الأجفَانِ

خبرٌ سَارَ كالسَّعيرِ اندلاعاً ... فى جميعِ الجِهَات والبلْدَانِ

لم يدَعْ يافعًا وشيخاً مُسِنًّا ... فتَسَاوى الجميع فى الأشْجَانِ

وتَهاوَتْ مواكِبُ الشِّعْرِ صَرْعَى ... وتلاشَتْ كتَائِبُ الألْحَانِ

ورجَالُ القريضِ فى مِصْرَ ضَلُّوا ... عنْدَ وصْفِ المُصَابِ فى التبيانِ

أذهلتْهُم وفاتُهُ فدُسُوقِى ... هو راعى الجميع فى كلِّ آنِ

هو رأْسُ الكَمَالِ والعِلْمِ ... والحِلْمِ ورمزُ السَّخَاءِ والإحْسَانِ

هو ربُّ الذَّكاءِ والنُّبْلِ ... والفَضْلِ وفخرُ الرِّجَالِ والأوْطَانِ

يا جُنودَ القريضِ قائدكم غابَ ... فمَنْ للقَريضِ فى الميْدَانِ

كانَ ليثاً بساحةِ الغَابِ يحمى ... لحمَى الضَّادِ من عَوَادِى الزَّمانِ

كم أديبٍ حماهُ من شرِّ فقرٍ ... واحتياجٍ وذِلَّةٍ وهَوَانِ

فتغنَّى بجودِهِ فى هُيامٍ ... كغناءِ الهزَارِ فى البسْتَانِ

يادُسُوقِى لقد هجرْتَ صحاباً ... منحوكَ القلوبَ فى اطْمئنانِ

أنْتَ فيهمْ كقائدٍ ومشيرٍ ... قادَ رَكْبَ البيَانِ فى إيمانِ

فسرَى اللَّحْنُ فى العراقِ وفى الشامِ ... وأذْكَى الشُّعورَ فى لبْنَانِ

أيهَذَا العظيمُ إنَّكَ حىٌّ ... فى عَميقِ القلُوبِ والوِجْدانِ

لكَ سِفْرٌ من المحامِدِ باقٍ ... ليْسَ يمحَى ... ومُنْزِلِ القرآنِ

فى جِوَارِ الإلهِ نمْ مُسْتَرِيحاً ... راضىَ النَّفْسِ فى رفِيعِ الجِنَانِ

حفلة الشباب المسلمين

كلمة الشبان

للدكتور الأستاذ منصور فهمى

أيها السادة :

إن رئيسنا اللواء محمد صالح حرب بعيد عن القاهرة الآن . وقد كلفنى أن أعتذر له . فكلمة الشبان المسلمين فى تأبين فقيد الأدب والعرب المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة كان أولى به أن يكون هو قائلها ، وكان المأمول أن ينوب الأستاذ زكى على عن الرئيس ولكن أعذاراً اضطرته هو الآخر ليكون بعيداً عنا — فكان علىّ أن أقول أنا — كلمة الشبان المسلمين — اللذين كان الفقيد عليه رحمة الله من مؤسسى جمعيتهم — ومن القائمين عليها — كما علمتم من خطاب الأستاذ دراز .

وما دام علىّ أن ألقى كلمة الشبان . فسأرتجل القول إذن ارتجالا عن الشبان ، ولكن قبل الارتجال أذكر أننى حضرت احتفالاً بتأبين الفقيد العزيز فى نقابة الصحفيين ، وحفلا قومياً بالجامعة الأمريكية ، وكان يضم عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء والقائمين بالنهضة الفكرية والسياسية فى البلاد .

حضرت كمشترك ومستمع . وتشرفت باستماع وشهود حفلين كبيرين فى تأبين الفقيد الكريم . . الذى عرف الناس فضائله . فعرفنا منها الكثير — وعند خروجى من الجمع الحافل بالمتكلمين والمؤبنين والشهود — مال علىّ الأستاذ الماحى . وقال لى كما قال للأستاذ عبد المجيد بدر إننا سنؤبن فى الشبان .. « أباظة » ...

ولعلك تكون بيننا فنظرت إلى الماحى نظرة طويلة . وسرت فى سبيلى وأنا أقول فى نفسى . ماذا يقول القائلون بعد ما سمعت فى حفلين كبيرين من خيرة الشعراء المتصلين العالمين من فضائل نفسه ، وكرائم خلقه ما لمسوه من الفقيد طيب الله ثراه لاتصالهم الوثيق به أغلب شهور حياته — إنه قول يكون معادا — والقول المعاد بعد حفل تأبين قومى اجتمع فيه جماعة من خيرة الشعراء والأدباء وصفوة الكرام من وادى النيل — قد يكون فيه الإملال أكثر من الابتكار — لأنه قول معاد — وقد يذهب هذا القول المعاد بروعة حفل كبير اجتمع فيه عظماء البلد وعمداء العمل والتوجيه فيها .

ولكن هذا الخاطر الذى مر بنفسي ظل يعلق بها حتى أنى لقيت عن سبيل الصدفة صديقى الأستاذ فؤاد أباظة — وهو من عيون هذه العائلة لقيته مصادفة فى الشبان — وقلت له : لعلك علمت أن جماعة الشبان ، أو أن جمعاً من إخوان المرحوم سيقومون له بحفل تأبين فى الشبان — وأطرق وكأنه يقول — لقد كرم فى حفل قومى . فأكرم الله من يكرمونه — وكأنه أراد أن يقول ما أريد أن أقول — فإنى قبل هذا و بعد هذا قرأت فى الصحف أن حفلات تقام فى جهات مختلفة لدسوق أباظة — فقلت فى نفسي إن هذا الرجل الذى تقام له الحفلات فى عدة أماكن ينبغى لمن لا يعرفونه مشخصا أو لمن لم تتح له فرصة فى تتبع أعماله وحياته — ينبغى له أن يستنتج أنه كان من المؤثرين فى النـاس . الآخذين بقلوبهم —

لم يكن هو المسيطر بجاه أو قوة — لكنه كان مسيطراً بحب ، لأن الذين يقيمون له الحفلات هم الذين يحبونه — هذا الذى يستنتجه من لم يتصل بدسوق أو يعرفه .

أما الذين عرفوه عن قرب وتتبعوا أعماله الخالدة وأفعاله الماجدة كما تتبع الأستاذ عبد المجيد بدر بحكم وظيفته وصداقته ومرءوسيته فذكر الأعمال التي تخلدت. وذكر الشعراء حتى إن أحدهم الآن الأستاذ الوكيل ورفاقه من الشعراء المتكلمين — ذكروا معنى حمايته للشعراء فقالوا ليس اتصاله بهم — ولكن عطفه وإشباله عليهم وحمايته لهم ولأدبهم وفنهم — فتذكرت بهذا آخر ما قاله دسوقي أباظة بمجلة الهلال وكانت كلمة عنوانها «الشاعر البقال» وهو شاعر مغمور لا يعرفه إلا إخوانه لأنه لم يلمع في المجتمع ولكن دسوقي أباظة أراد أن ينتشل هذا الشاعر فكتب عنه مقالا ممتعا — مما جعل أمثالنا يعرف هذا الشاعر — ويعرف أين هو وأين نشأ وأين شعره.

إذن الذين عرفوه عرفوا له خصالا طيبة فالتفوا حوله من شعراء وأدباء — كما عرفوا منه فضائله التي من أجلها التفت القلوب حواليه وتعلقت الأرواح به — وهي تذوقه الأدب وسخاؤه في سبيله — فرددوا وذكروا ذلك كثيراً، كما أشاروا إليه في هذا التأبين.

وفضائله المقولة على ألسنة من اتصلوا به — أكبر ناطق له بالفضل وشاهد له بالخلود وقد أتيح لي أن عرفت الفقيد واتصلت به — كما أشار إلى ذلك الأستاذ الجزائري عندما كنا في مدرسة الحقوق.

كان دسوقي أباظة في مدرسة الحقوق وكنا معه فيها وأراد الله أن تنشأ الجامعة في ذلك الوقت الذي كنا طلاباً فيه يجمعنا الدرس والفصل — وأراد الله أيضاً أن أكون ممن انتخب لبعثة الجامعة — فتجلت من ذلك الوقت أريحية الطالب الناشئ في السن المبكرة — أريحية دسوقي أباظة — وأبى عليه كرمه وسخاؤه — إلا أن يكرم هذين المبعوثين فأقام لهما حفلاً — وكان المكان في لوكاندة شبرد عام ١٩٠٨.

إذن عرفته أريحياً فى سن مبكرة — وعرفته أديباً متطلعاً للمجد وللزعامة من نواحى الوطنية والحماسة والحياة من أجل العروبة والإسلام والشرق .

وتفرقنا — ذهبت للغرب و بقى دسوقى فى بلده ، ومرت أيام وعدنا ، عدت للزميل والصديق القديم — فإذا هو هو فى حماسته وحفاوته بإخوانه — ثم فوق ذلك أخذت أفكر كيف ظل دسوقى تتفرق فيه فضائل الأريحية والكرم والروح الشرقية والروح المحافظة — فكرت فوجدت أن أرد ذلك لعائلته العريقة — وفى العائلات العريقة الواسعة ذات العصبية المترابطة تنتشر فضائل لعلها انتشرت فى آبائه — ولكن تسلسلت خلاصة منها إليه ليحتفظ بها إلى حيث يعرضها . فكان الكرم والتطلع للمجد الشريف والرفعة العالية .

ظل كذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربه — وأراد الله ألا أستطيع أن أعمل له تحية فى حياتى وقد كرمنى وحيانى فى بدء الصبا — والآن لا أريد أن أتتبع أعماله الطيبة فى سياسته وحزبه لأنى لست من الأحزاب ولست من السياسيين .

أراد الله أن أحضر وأرد هذه التحية لمن مات وانتهى عمله — فى هذه الحياة الدنيا — ولكن ترددت ذكراه عاطرة طيبة بين الشعراء والعاملين فى حركات الحكم .

حيا الله ذكراه ورحمه رحمة واسعة فإنه يستحق من الناس هذه الذكرى الطيبة وله عند الله أجر العاملين .

حادث جلل

للأستاذ الكبير محمد المهدى الجزايرلى

نَعوْه على ضنٍّ قلبى بهِ فللهِ ماذَا نعَى النَّاعيان ؟
رَضيعُ ولَاء له شُعبةٌ منَ القلْبِ مثْل رضيع اللبان
وكمْ صاحبٍ كمناطِ الفؤادِ عَنانى منْ يوْمهِ ما عَنانى
قد انتزعت من يدىَّ المنُون ولم يغْنِ ضمِّى عليه بنانى
ليبكِ الزَّمانُ طويلاً عليْكَ فقد كنتَ قرَّةَ عينِ الزَّمان

* * *

جمعتنا دراسة الحقوق فى فصل واحد . فلما تعارفنا . سرعان ما تصادقنا . فقد كان رحمة الله عليه . يجمع طلاقة الوجه وطلاوة الحديث . إلى الأدب الجم والخلق الكريم . والرجولة الحقة . ثم كان المثل الأعلى فى حسن المعاشرة التى عناها الأثر القائل : « عاشروا الناس معاشرة إن عشتم معها حنوا إليكم . و إن متم بكوا عليكم »

فلما تخرجنا وتفرقت بنا الأسباب والديار . كنت أتتبع خطواته فى خدمة البلاد حيث تجلت مواهبه و برزت كفاياته . وتعددت نواحى نشاطه ، ثم خلفته فى وزارة الأوقاف فوقفت عن كثب على سيرته الحميدة فيها . وصحيفة أعماله الصالحة ، فما شعرت أنى فى حاجة إلى تبديل شىء مما ترك . حتى لقررت الاحتفاظ بمدير مكتبه وموظفيه ، وكان المتوقع إذ ذاك أنى كوزير جديد للوزارة

يستفتح عمله فيها باختيار المعاونين اللاصقين به ممن يعرفهم و يطمئن شخصياً إليهم . ولكنى أعلنت ثقتى بسلفى العظيم واطمئنانى إلى حسن اختياره . و بالفعل حمدت عقبة ما فعلت .

ولقد كانت سيرته — رحمه الله — فى كل عمل تولاه ، سيرة الرجل الحر الوطنى الشجاع . ففى ثورة سنة ١٩١٩ كان من زعماء الموظفين الذين وضعوا رءوسهم على أكفهم ، منادين بحقوق الوطن . و إن ننس لا ننس يوم الجيزة وقد نزلت بها النوازل . وكان هو موظفاً مسئولاً فى المديرية . فوقف وقفته الخالدة . وسجل فى محاضر رسمية ما اقترفه الطغاة من جرائم وحشية وكان بذلك مضحياً بمنصبه فى سبيل الحرية . ثم أخذ يطالع البلاد بمقالاته الوطنية بصحف الشعب واللواء والعلم فكان الكاتب القوى والمنشىء البليغ . والأديب الموهوب يترقب القراء كلماته بشغف . و ينعمون منها بنفحات الوطنية الصادقة التى لا تمليها رغبة . ولا تثنيها رهبة و ينشقون منها فى الوقت نفسه أريج الأدب الفياح فى إشراق ديباجة وحسن بيان . ذلك أنه فضلاً عن علو قدمه فى الإدارة كموظف . وفى الصحافة ككاتب . وفى السياسة كسكرتير حزب ، وكوزير مستقيم عف اليد واللسان . تولى وزارات مختلفة ، فنجح فى جميعها ، واستمر فى الحكم عدة سنين متتابعة مما لم يتيسر لغيره فى العصر الحديث . إنه فضلاً عن ذلك قد كان طويل الباع فى فنون الأدب والكتابة والشعر . و إذن فلتتجه إليه أنظار أدباء العروبة فيختارونه أول رئيس لجامعتهم . ولا عجب أن ينال الأدباء من الكتاب ، والشعراء ، والصحفيين حظهم من حنوه عليهم ، والإكرام لهم .

أما عطفه المادى على ذوى الحاجات . وسعيه فى معونتهم فصنيعه لهم مشهور أمره على الرغم من اجتهاده فى إخفائه .

سهل الفنـاء إذا يراد لحاجة طلق اليـدين وذو فم بسام

وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهمـا ذوى الأرحام

وإن رجلاً يجمع فى شخصه كل تلك الصـفات . إنه ليكون محل ثقة الجميع فلا غرو إذاً أن كان الفقيد ينجح باستمرار فى كل انتخاب برلمانى تقدم إليه .

ولست بحاجة إلى التحدث عن مودته لأصـدقائه واستمساكه بحبلها ووصله عند الاقتضاء . ولا بى حاجة إلى التحدث عن ضبطه لنفسه . واعتداده وعفة لسانه فى شتى المواقف حتى أن اللدد فى الخصومة السياسـية لم يتطور قط بالنسـبة إليه إلى خصومة شخصية . وقد تجلى ذلك بالحزن العام عليه وتآسى الجميع فى فقده .

هذا هو المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة الفقيد العزيز على الأصدقاء والإخوان . الفقيد العزيز على أهل الـكرم والإحسان . الفقيد العزيز على السياسة والاستقامة والنزاهة . الفقيد العزيز على الصحافة والصحفيين . الفقيـد العزيز على الأدب والأدباء . وعلى الـكتابة والـكتاب وعلى الشعر والشعراء — فلله حفرة أودعت هذا الرجل فى الرجال :

حفرة أطبقت على واضح الأثوا ب من المجد طيب الأردان

فى رياض من السماح حوال وجبـــال من الحلوم رزان

خلق كالربيـــع بله العطـــر وصدر صاف من الأضـغان

لازم شرعـــة الوفاء يرى حفـــظ التصافى ديناً من الأديان

أجمل الله صـبرنا إذ فقـدناك وأثواك عاليـــات الجنـان

لك الله يا مصر

للأستاذ محمد مصطفى الماحي

بكيت فقالوا : حسب عَيْنيكَ أدمعاً ... وحَسْبكَ فى الخطْبِ المـلمِّ تفجُّـعاَ

فقلْتُ : ذَرُونِي أذْرف الدَّمع قانياً ... فمَا هُوَ دَمْع ، بلْ فؤَادٌ تَصَـدَّعَا

وَقلْتُ : دَعـوني وَالرثَاء أصُوغُه ... وَأَندُبُ فيهِ أكْرمَ النَّاس مصْرَعا

وأقْضى به حـقّ الوفاء لصَاحبٍ ... وفيّ تجـلَّى فَضْـــلهُ يومَ شُيِّعَا

تَقضَّتْ بشَاشَاتُ الحيَاة بفقـــده ... وودعنَا طِيبُ المنى حـينَ ودَّعا

وهَـل يملكُ المحـزُونُ إلاَّ دموعَه ... وإلاَّ حنيناً لا يزَالُ مرَجَّعـــاَ

فيالكَ يوماً روَّعُوا فيـه مضْجعى ... غَـــداةَ أعدُّوا للمـكَارِم مضجعاَ

ويالكَ يوماً أودعُوا القـبر عالمـــاً ... من الـبرِّ والمعْرُوفِ إذْ وسِّـدَا معاَ

وَيالكَ خطْبـــاً هزَّ بنْيَان أمةٍ ... وروَّع أرجَاء البـــلاَد وأفْزَعا

* * *

أبَا « شامل » قمْ واخطُب الجمعَ مثلمَا ... تَعوَّدَ منـكَ الجمعُ مرأىً ومسْمعاَ

وهَاتِ البيَانَ السمْحَ نظماً تصوغُه ... عقُوداً ونثراً كالجُمَانِ مرصَّـــعاَ

بيَانٌ يراهُ النـاسُ فى الهوْل عـدةً ... وفى ندْوة الأحْبـــاَب لحناً موقَّعاَ

فمَنْ ذَا يرجَّى للمنـــابر يرْتقى ... ذَراهاَ ويمْضِي فِي الخطَابةِ مصْـــقعاَ

ومنْ ذَا يؤدِّى للعـــرُوبة حقَّهَا ... ويُبْلغهُـا الشـــأْو البعيدَ الممنَّعاَ

* * *

ابا « شاملٍ » قمْ وارْوِ أعجبَ قصةٍ ... يَشيبُ لهـا رأسُ الوليـدِ تفزّعَا

أتذكرُ يومَ « البدرشينِ » وقد عدا ... طُغـاةٌ أحالُوا ريفَها الخصْبَ بلقعَا

أتوهَـا غزاةً فاتحينَ كأنّهمْ ... مُلاقُونَ أبطـالاً كُماةً ودُرَّعـا

فصبُّوا عذاباً واستحلُّوا محرماً ... وباتَتْ بهـا الأرزاقُ نَهْباً مُوزّعا

فـلا دارَ إلا قوّضتْ لبِنـاتها ... ولا شَـيْخَ إلا بات نِضواً مُروَّعا

وَما أمِنُـوا منْ فادحِ الشَّرِ نِسْوَةً ... ولا رَحمُوا فيهَا رَضيعاً ومُرْضـعا

فثرْتَ على البَـاغين ثورَةَ باطشٍ ... وأقدمْتَ كالسَّـيْلِ الأتيِّ تدفُّعَا

رددْتَ عليهمْ ما جَنوْا منْ مآثمٍ ... ومنْ نقمٍ كانَتْ منَ المَوْتِ أفظَعا

ونافحْتَ عنْ شعْبٍ تيقَّظَ واستوَى ... إلى المجْدِ يأبَى أن يذلَّ ويخْضَعـا

ورحْتَ بأسْفارٍ إلى الغرْب جمَّعتْ ... براهينَ حقٍّ ما أجَـلَّ ، وأسْطَعا

خطَطْتَ بهَا فى صـفْحة المجد أسْطراً ... وكانتْ أوانَ الفصْلِ للحقِّ مقْطَعا

رآكَ بَنُو التَّـاميزِ أصْعَب منهمُ ... مراسـاً وأمْضَى فى الكفَاح وأرْوعَا

* * *

أبَا «شَاملٍ» قمْ واقْضِ للصَّحبِ حقَّهم ... فقـدْ كنْتَ للأحرَار عَوْناً ومفْزعا

إذَا اشْـتجرَتْ آراؤهُم فتفرَّقُوا ... وقفَتْ على بُنْيـانِهم ، فتجمَّعَا

حَصـافةُ رأْيٍ تُرسِـلُ النُّور هَـادياً ... وصولَةُ عزْم تترُك الصَّعبَ طَيِّعـا

وقُـوةُ إيمَـانٍ بمبْعثِ أمَّـة ... إذا اضْطرمَت أحْداثُهـا مَا تزعْزعَا

وأقسمُ ما أبصـرْتُ مثلَك عفةً ... ولا شَهـدَتْ عيْنِي حجىً وترفُّعَا

وَحسْبيَ ما قَال « الرئيسُ » وقدْ سَعَى ... لِدارك يُثْنى آسـياً متوجِّعَـا

لَكِ اللهُ يا مصْر اقْتعـدْتِ نزاهةً ... وحزْماً ، وتدْبيراً ، وقلبـاً مُشيعَا

* * *

أبَا « شَامِلٍ » قدْ كانَ بيتُكَ كَعبةً ... وكَانَ لِعافيـــهِ مَصيفاً ومرْبَعَـا
تهشُّ لمن تلْقَى بِرُوحِك كلِّهِ ... وتُـنزله منكَ المكانَ المُرفَّعَـــا
وتطْربُ ما صفَّى القَـــريضَ رواتُه ... كَأنَّ به صفْوَ الحيَـــاةِ مُجَمَّعَـا
ترَى الشِّعر مرآةَ الزَّمانِ إذَا صفَتْ ... تجلَّى بهَا حُسْنُ الرَّبيعِ مُوشَّعَا
فتهتزُّ إعجـــاباً إذا كنْتَ سَـامعًا ... وتفْتِنُ إبْدَاعاً إذَا كُنْتَ مُسْمِعَا
فوَا أسَـفا قد فُضَّ سَـامرُكَ الَّذى ... سَقَى النَّـاسَ جامَ الودِّ والأُنسِ مُتْرَعَا
ووَا أسَـفا غشَّتْ نَديَّك ظُلْمَـــةٌ ... وقد كان أزْهَى من سَنَى الصُّبْحِ مطْلَعَا
فغلِّقتْ الأبوابُ دُونَ شهُودِه ... وأقْفرَ مَغْنَـــاهُ ، وقَدْ كانَ مُمْرِعَا
فَلا ظامئٌ يَهْفُو لينقَعَ غـــلَّةً ... ولا مُعْتفٍ يَرْنُو لَهُ مُتطلِّعَـــا
أمرُّ عليْـه دامعَ الطَّرْفِ واجِفًـا ... وقَدْ كُنْتُ أغْدو فَارِحَ القلْبِ مولعَا
وأسْـألهُ عن زائريه فَلا أرَى ... مُجيباً وعهْـدى أن يُجيبَ ويَسْمَعَا
ويارُبَّ بيتٍ ظلَّلَ الغيمُ سَـاحَه ... فـازلْتَ تُزْجِي الغيْمَ حتَّى تقشَّعَا
يمينُكَ كَم أسْدَتْ إلى النَّـاسِ رحْمةً ... ويُسْرَاكَ كَمْ أدْنَتْ إلَى الهيمِ مَشْرَعَا
فكُنْتَ أخاً عنْـدَ الشَّدائدِ أوْ أبَاً ... حَنَـــاناً وإشْـفَاقاً وبرًّا منوَّعَا
وشَـائجُ وُدٍّ ما أشَـــدَّ وثاقَهَـا ... وأخْلاقُ حرٍّ ما أعزَّ وأرفعَـــا
كَذاكَ الوفاءُ المحضُ والشِّيمُ التى ... نَعمْنَا بهَا كالزَّهْرِ رَفَّ وأينَعَـــا
محَاسِنُ شَتَّى قَدْ طَوَاها الرَّدَى كما ... طَوينَـا عَلَى الحُزْنِ المبرِّح أضْلُعَـا

* * *

وهَيْهَاتَ أنْسَى يومَ كُنَّا بنـدْوَةٍ ... وقفْتَ بها تُزْجِي العظَاتِ لمنْ وَعَى
هُنَـا حيْثُ كرَّمْتَ المعـارفَ والنُّهَى ... وحيَّيتَ فرْسَانَ البـلاغَةِ مُبْدِعَا

فلمَّا تذكَّرْتَ السِّياسَةَ هَالنـــا ... حديثُ عَميـدٍ لم يَكُن متوقَّعـا

فَصَعَّدْتَ أنفاســاً حراراً كأنَّمَا ... بهـا كبـدٌ من حسْرةٍ قـد تقطَّعا

وسَقتَ شجوناً منْ حـديثكَ ذاكراً ... وَصـاةَ أبٍ مَا كانَ أذكَى وأبْرَعَا

يُحذِّر من جوْر السِّيَاسة شاكياً ... لهَا نفثَات هُنَّ كالسُّم منقعَـا

فكمْ خربَتْ دوراً وكم حطَّمَتْ قُرًى ... وخلَّفت الحـرَّ الكريمَ مضيَّعا

وعدْتَ إلى أسْمَـاع صحْبكَ هَامساً ... تقـولُ : كأنِّى قـد أتيْتُ مودِّعا

فـكانتْ رُؤى حقٍّ وهمسةَ مؤْمن ... أحسَّ إلى الفرْدوس شَـوقاً ، فأزْمَعَا

دُعيتَ فـلم تجْزَعْ ولبَّيت مُسرعاً ... هنيئاً لقـــدْ لبَّيتَ أكْرمَ منْ دعا

فنمْ واسترحْ لا تخشَ حقداً ولا تخَفْ ... مَسَاءة مَنْ آذَى ولا سعْى من سعَى

وَحَسْبكَ ذكْرى عطر الشرْقَ نشرهَا ... وأنبـاء صـدْق ما أبرَّ وأنفعَـا

همُ اليوْمَ ، أو هُمْ فى غـدٍ كأبيهم ... يَشـقُّون لِلعلياء ، والمجـدِ مهْيعا

فـكُنْ فى جوار الله جَذْلاَن رَاضـياً ... وأعظمْ بدارِ الخلْدِ مثْوى وموْضعَا

دسوقى الوزير

للأستاذ الكبير عبد المجيد بدر

عرفت المغفور له فقيد الأدب والعرب ، «إبراهيم دسوقى أباظة» — طيب الله ثراه — عن قرب وعرفته عن بعد . عرفته رئيساً لى . وزميلا معى . فعرفت من شمائله السمحة الطيبة ، وأخلاقه الأصيلة ، أكثر مما شاع عنه ، وعرف به ، بين الناس ، من سماحة خلق ، وحلاوة طبع ، وصفاء مروءة ، ونقاء سريرة .

كان فريداً ، ولم يكن له مثيل فى الخلق . فكان نسيج وحده فى مكارم الأخلاق ، وسمو النفس وعزتها :

وكانت شخصية جمعت إلى ما فيها من صفات الكمال . صفات العلا والمعانى . فالعروبة المتأصلة فيه ، والمجد الخالد معه ، ورثهما عن آله ، وأخذهما عن أجداده ، فحفظهما ورعاهما وأداهما رسالة كاملة ، إلى الوطن والإسلام ، لم ينقص منهما شيئاً بل زاد عليهما أشياء .

وليس دسوقى أباظة فقيد الأدب والعرب ، فقط ، بل هو فقيد الإسلام كافة ، والنيل خاصة . والشرق عامة :

عرفته رجلا لا يحدد شخصيته إقليم . ولا تختص بوطنيته مصر —

عرفت ما كان له من فضل على الوطن فى بداية ثورتنا ، ومن أياد بيضاء وأعمال غراء سوف يمضى الدهر وينقضى وهى خالدة خلود الزمن ، ثابتة ثبات الجبال : ولقد سجل رحمه الله فى هـذه الأعمال الفريدة على خصوم مصر —

حرباً لا ينطفئ لها أوار . ولا يثبت أمامها للأعداء جدار . وكان من نتائج هذه الوطنية النادرة ، والأعمال الخالدة ، أن كسبنا فى المحافل كسبا ، لا يعرف قدره إلا من شهودها .

وكنت فى بداية حياتنا الوطنية الأولى لم أتشرف بعد بمعرفة الفقيد وإن كنت تشرفت بمعرفة ما يعرف الناس عنه من وطنية عارمة ، وثورة على الأعداء جارفة . وظللت أتحين الفرص التى تجمعنى بشرف التعرف إليه فلم تسعدنى إلا عند ما جمعتنى به زمالة الوزارة . فعرفت الفقيد حق المعرفة وعرفت لماذا كان ينال منا ، ومن كثير من الناس ، ممن يعرفه أولا يعرفه ، أقصى درجات الإعجاب والتقدير .

على أنى تعرفت — منذ ثورة ١٩ وما قبلها — بالكثيرين من أسرة الفقيد عليه رحمه الله — ولكنى أشهد أمامكم أن مودتى له وتعلق قلبى بقلبه ، كان شيئا فريدا — ومثالا لا مثيل له — على غير ما تعود الناس فيما ينشأ بينهم من علاقات ودٍّ ، وحب ، وإعجاب ، وتقدير .

ويكفى أن أشير إليكم الآن بحادثة وحيدة لأدلل لكم الآن على أى شىء انبنى ذلك الحب . وقام ذلك التقدير .

كان الفقيد الكريم على عادته يقيم لجامعة أدباء العروبة مأدبة إفطار وكنت من أبناء هذه الجامعة ، أو ممن يتشرفون بالانتساب إليها ، تحت رعاية رئيسها عاهل الأدب العربي فقيدنا المرحوم دسوقى أباظة الذى اجتمعنا الليلة لتأبينه .

ومن عامين تلقيت منه دعوة .. وقبل موعدها بيوم اتصل بى ثروت نجله العزيز وأخبرنى رجاء والده فى رؤيتى . ولبيت الدعوة ، وفى داره يرحمه الله لقيت كل إخوانى — إلا هو . إلا دسوقى أباظة . أى والله يا سادة إلا دسوقى أباظة .

وسألت ثروت أين والدك . فأجابنى فى أوربا . وجلسنا حول المائدة ولم

يجلس ثروت فى صدر المكان . بل ترك الصدارة لى . وقدرت فيه هذا الإحساس النبيل — وهـذا الشعور الكريم الذى تلقاه ثروت عن والده هو الذى يجعلنى أقرب إلى أسرته منه إلى أسرة الشعر ، ويدفعني إلى حب دسوقى أباظة عن إعجاب وتقدير .

وقد قلت لمن طلبوا إلىّ أن أتكلم فى هذا الاحتفال الثالث بتأبين الفقيد العظيم . . اعفونى فمالى قدرة على الكلام ، أو الوقوف فى هـذا المقام . قالوا : ولكن الخطباء توخوا فى تأبين الفقيد ذكر بعض نواحى العظمة فيه فتعرضوا لشمائله ، وأخلاقه ، ولم يتعرض واحد منهم لأعماله كوزير . . فهلا ذكرت للناس شيئاً من عمله كوزير عظيم .

يا سادة — فى بداية عهدى بمصلحة السكك الحديدية — دعانى لشهود حفل له طابع وطنى خاص ، بميناء البحر الأبيض ، وتفضل رحمه الله فأطلق عليه اسم وادى النيل ، لحبه دائما لوادى النيل ، واستجابة لوطنيته ، التى كانت تدفعه للإشادة بما يصنع المصريون —

وفى هذا اليوم شهدت منه — طيب الله ثراه — عناية فائقة بضباط البحرية لم أشهدها من وزير مثله . فقد أخذ يزودهم بنصائحه الغالية ، ويذكرهم بوطنهم العزيز ، ويشرح لهم واجباتهم المنوطة بهم ، ويعلمهم كيف يجب على الوطنى ، أيّاً كانت مهنته ومهمته رعاية الواجب ، وفهمه ، كما رأيته وهو يبيّن لهم أمل الأمة فيهم ورجاء وادى النيل المعقود عليهم : وأشهد يا سادة أنى ما رأيت روحاً وطنية تتدفق فى حماسة ، وحرارة ، بمثل ما كانت تتدفق به روح إبراهيم دسوقى أباظة إلى الضباط .

لقد كان عليه رحمة الله يخاطب القلوب بقلبه ، ولم يكن يخاطب الضباط

بصفة رسمية كوزير — كان دسوق أباظة — وأى رجل كان هو — يحمل دائما اسم وادى النيل على قلبه ، وكفه ، ولسانه ويذكر وطنية المصريين بمصر فى كل مجلس وموقف وحفل .

أستغفر الله — بل كان يذكر العرب بعروبتهم فى كل صقع ، وقطر ، وواد ولم يكن أخدم للعروبة فى لغة الضاد والعرب من دسوق أباظة لم يكن أخدم للعروبة وطنياً واجتماعياً منه ، ولا أدل على ذلك مما شاهدناه حينما شرف حفل الاستيلاء على خط فلسطين — ولم يسترد هذا الخط إلا فى عهد دسوق أباظة وكنا جميعاً فى الموكب الذى يرأسه ، ويشرف عليه فخورين به من القنطرة إلى رفح .

ولما انتهت الرحلة اختار مصلى بجوار المحطة ، تبرع له بمبلغ كبير وتبرعنا تبعاً له . وبعد ذلك استولينا على الخط الآخر الممتد بين مرسى مطروح والسلوم فربطنا بين أجزاء أمتنا المتناثرة ووصلنا ما كان منقطعاً بيننا وبين شقيقاتنا من دول العرب — وحمدنا بهذا للوزير صنعه الكريم وشجاعته الوطنية النادرة . . وفى خلال عهده امتد بصره إلى جنوب القطر المصرى وأراد أن يربط بين الواديين فقرر مشروع شمال حلفا . . ودارت أمور عدة بين المختصين ورأى أن لا يشغلنا شىء عن المضى فى المشروع العظيم فقرر السفر بنفسه ، وعرف المواقع ، وعرف أرجحية الخط بالجهة الشرقية . فقرر إقامته وكنت بحكم منصبى فى السكة الحديد ، والمجالس التى كان يرأسها — عليه رحمة الله — أشهد من توجيهاته الكريمة ، وإرشاداته السديدة ، ما يعجز اللسان عن حصرها ويضيق المقام عن سردها فهى أكثر من أن تحصى ، وأجل من أن تسرد ، وإن هذه السيرة العطرة لا يتسع لها هذا الموقف ، وإن هذه الإشارة لتسجيل بعض من صنع يديه .

أما ما يشيد به الشعر ويطريه البيان ، فلعل هذا من المواهب الإلهية أما أعماله فمن صنع يديه .

أيها السادة — إن الرجل فى جوار الله وقد انتهى كتابه ، وانتهى حسابه ولا يخفف موازينه أن نقول فيها الكثير . . . فإن الكثير من أعماله لو ذكرناه لضمنتم له وهو باسم الله فيها من الخالدين .

أحقاً مات ؟!.

لفضيلة الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز

سادتى :

إن القلم ليرتجف فى يدى . والكلمات تتجمد على سن يراعتى . والأفكار تحتضر فى مخيلتى . والذكريات تكاد تمحى من خاطرى ، فما أدرى من هول الفجيعة ماذا أقول ؟. ولا أستطيع من فداحة المصاب أن أسطر شيئاً عن تاريخ رجل ملأ الدنيا ، وشغل الناس ما يزيد على الأربعين عاماً فى كل مناحى الحياة الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والأدبية . فكان السباق لنصرة دينه . والمجلى فى حلبة الوطنية . والناهض بأمته فى شئونها الاجتماعية . والآخذ بيدها حتى ارتفعت فى كل الفنون الأدبية .

وإننى إذ أتحدث إليكم من فوق منبر جمعية الشبان المسلمين يجب على أن أشيد بالصداقة القوية التى ربطت بين فقيدنا العزيز المغفور له إبراهيم دسوقى أباظة وبين الرئيس الأول لهذه الجمعية المرحوم عبد الحميد سعيد صداقة نشأت وترعرعت وازداد نموها فى حب الله والعمل على إعلاء كلمته ونشر راية الاسلام ورفعة شأن المسلمين . فكان — رحمه الله — من أكبر المعضدين لجمعيتنا . ومن أوائل المؤيدين لدعوتها . المتحمسين لذيوع رسالتها . المضحين فى سبيلها بالمال والجهد المتواصل . فجزاه الله عما قدمه لها خير الجزاء ، وأجزل له فى جناته وافر العطاء .

سادتى :

لقد كان فقيد الوطن والدين ، مجموعة من الفضائل النادرة ، ومثلاً يحتذى

لما ننشده فى الإنسان من صفات العزة . والاعتداد بالنفس . والكبر على المتكبرين . والتواضع للمستضعفين . وبذل المال فى استحياء للمحتاجين . كأنما هو الآخذ وهم الناخون . والنجدة والمروءة . وطهارة اليد . وعفة اللسان . ونزاهة الضمير . والتغاضى عن هفوات أصدقائه ومحبيه . والتسامح عما من شأنه أن يثير الحليم . والعفو مع المقدرة . غير أن من أبرز صفاته ، وأخص أخلاقه ، شيمة الوفاء النادر لعارفيه . والتجربة قائمة على أنه فى وقت المحن إذا خلت أمكنة الأصدقاء . فإن مكان فقيدنا الوفى لا يخلو أبداً فهو يقف بجانب صديقه فى محنته يسدده بثاقب فكره . وصادق رأيه . وحسن مشورته ويؤيده بكل ما يستطيع من قوى مادية ومعنوية ، حتى تذهب المحنة عن صديقه فيهدأ ويستريح . وكيف لا يكون كذلك وحبُ الخير فى دمه ، فكيف يخونه دمه ؟.

وهو على ما فطر عليه من رحابة الصدر . وسلامة الطوية . وهدوء فى الطبع . وبشاشة الوجه شديد الإيمان بفكرته . ثابت الأقدام فى الدفاع عنها . راسخ كالطود لا يمكن زحزحته عما يريد .

وآية ذلك أنه لم يتحول طيلة حياته عن عقيدة اعتنقها ، ولم توجهه الشهوات إلى الانتقال من حزب إلى حزب . بل ظل طول حياته على مبدأ واحد ، وعقيدة ثابتة يدافع عنها بالحجة ويتحمل فى سبيلها ما يتحمله المجاهدون الصابرون . فلله أنت من رجل قل فى الرجال ضريبه .

أما الحديث عن استقامته ونزعته الدينية وعطفه على الضعفاء ورعايته للأدب والأدباء ، فهو حديث معاد تتداوله الألسن فى كل ناد .

رحمك الله — يا دسوقى — رحمة واسعة وأنزلك ربك منازل النبيين والصديقين والشهداء إن ربى لمجيب الدعاء .

دموع الخالد ...

ناعِي المُروءةِ قلْبي ليس يسْمَعُهُ ... فما لِأَحْزانِهِ باتَتْ تُصَدِّعُهُ

مَراوِحُ الشَّجنَ المشْبُوبِ أضْلُعُهُ ... ومَوْرِدُ الْأَلَمِ المصْبُوبِ أدْمُعُهُ

مُوَرَّقٌ ، والْأَسَى الْبَاكِي يُوَرِّقُهُ ... مُفَزَّعٌ ، ومآسِيهِ تُفَزِّعُهُ

مُسْتَوْفِزٌ فوْقَ نِيرانٍ تُقَلِّبُهُ ... على لظَاهَا يدُ الذِّكْرَى فتُوجِعُهُ

يَا لَلْمَنُونِ لذِى شمْلٍ تُفَرِّقُهُ ... ومُسْتَقِرٍّ على حالٍ تُزَعْزِعُهُ

ما كنْتُ قَدَّرْتُ أنَّ الْمَوْتَ زَائِرُهُ ... وأنَّ قَلْبِيَ فى يوْمٍ مُوَدِّعُهُ

وأنَّنِي سوْفَ أمْشِي فى جنَازَتِهِ ... والحزْنُ يَحْرِقُ رُوحِي إذْ أُشَيِّعُهُ

ماذَا دفَنْتُمْ سوَى الْمَجْدِ الذى ابْتَسَمَتْ ... له الحيَاةُ ، وغالَتْ وهْيَ تَرْفَعُهُ

ماذا دفَنْتُمْ سوَى الحِلْمِ الذى سَجَدَتْ ... له المهابَةُ ، والأيَّامُ تَمْنَعُهُ

ماذا دفَنْتُمْ سوَى نُورِ الوفاءِ له ... لحْنٌ من الحبِّ والدُّنْيَا تُرَجِّعُهُ

عفُّ اليمينِ ، عظيمُ الرُّوحِ ، مُرْتَفِعٌ ... على الحياةِ ، ظَلِيلُ القلْبِ ، مُمْرِعُهُ

لِلْخيْرِ عاشَ ؛ فلمْ يُحْرَمْ فوَاضِلَهُ ... من لم يزلْ برجاءِ الخيْرِ يتْبَعُهُ

وكانَ وَاحَةَ إيمَانٍ يلُوذُ بهَا ... مَنْ يحْمِلُ الْيأْسَ ثِقْلاً وهْوَ يدْفَعُهُ

وكانَ للنيْلِ حتّى ظَلَّ فى دَمِهِ ... بالمجْدِ يُغْرِيهِ ، أوْ بالنَّصْرِ يُولِعُهُ

وكان يأْسُو جِرَاحَ الشَّعْبِ .. تُقْعِدُهُ ... عنِ الكِفَاحِ الْمُرَجَّى أوْ تُرَوِّعُهُ

والشَّعْبُ يَصْرخُ فى يأْسٍ وفى فَزَعٍ ... ويسْتَغِيثُ ومنْ ذَا سوف يسْمَعُهُ

يَا لِلْمُجِيبَةِ ، والْأَحْدَاثُ تَظْمِئُهُ ... وقَسْوَةُ الظُّلْمِ عن عَمْدٍ تُجَوِّعُـــهُ

والبَغْيُ عن غدِهِ المَرْجُوِّ يَصْرِفُهُ ... وللْفَسَادِ يَدٌ شَـــوْهَاءُ تَخْدَعُهُ

أَلَا صَـدِيقٌ فيَرْعَاهُ ؟ أَلَا رَجُلٌ ... يُحِسُّ بالخَـيْرِ نَحْوَ الخَـيْرِ يَدْفَعُهُ

مضَى الذى كانَ يأْسَى يَوْمَ حَيْرَتِهِ ، ... ويَلْتَقِي بأَمانِيـــــهِ ، ويَرْفَعُهُ

وتَسْتَعِدُّ إلى الأَحْـــــدَاثِ هِمَّتُهُ ... والمَجْدُ يَنْبُوعُه ، والنُّبْلُ مَشْرَعُهُ

مَكَارِمُ الحَسَبِ الزَّاكِي تُصَـوِّرُهُ ... وحِكْمَةُ الخُلُقِ العُلْوِيِّ تَصْنَعُهُ

طابَتْ أُصُولٌ على الأَجْيَالِ تَحْمِلُهُ ... مُنَضَّرَاتٌ ، وطابتْ فِيهِ أَفْرُعُهُ

فقيد العروبة

للأستاذ طاهر أبو فاشا

نَعَـــــاهُ إلىَّ ، والأيَّامُ تنعِى ... وقالَ : هو الرَّدَى .. فكذبْتُ سَمْعى

وفاتتْنِي صَـــلاةُ الدَّمعِ لمَّـا ... تخلَّفَ عنْ دمُوعِ القوْمِ دمْعى

وما أغربتُ حينَ بكيتُ وحْـدى ... وأسْـجاعُ البُـكِىِّ ذَوَاتُ رجْع

وما قـدَّرْتُ أنِّى سوْف أبكِى ... عليْـــه ، وأنَّه سَـيرُوعُ رَوْعى

هو المقْـــدارُ يحصُـدُ كلَّ حَيٍّ ... بمنْجَـله ، ويكْشِفُ كلَّ دِرْعِ

وأعرفُ أنَّ كأسَ الموت رَصْـدٌ ... وأنَّ الحَيْنَ يصـــدَعُ كل جَمْع

ولـكنِّى نظـــرتُ فكلُّ شىء ... يُعـاودُنى إليـــه فضَاق ذَرْعى

جَليدٌ عنـــد يوْمِك غيرُ جَـلْدٍ ... وَفَجْعٌ — غَيْرَ بينك — غيرُ فَجْعِ

كَحُلْمٍ واحـــدٍ فى كلِّ نفس
كمعنًى قائمٍ فى كلِّ حِسِّ

عـــبرتَ كأمْسِ إذ مَرَّتْ لطافاً ... نسائمُه . وكيفَ يعودُ أمسِ !

أبَا الشُّـــعَراءِ والأيامُ تُلْهِى ... حوادثُهـا ، وصرْف الدهْرِ ينسي

عرفتُكَ مُذْ عَرفْتُ النُّبـــلَ معنًى ... تُجَسِّـمُه يدٌ تأسُـــو وتؤسى

وجئتكَ والطريقُ إليـك تُـلْقِى ... على أذنىَّ جَرْسًـا بعـــد جرسِ

فكنتَ تقيمُ سـالفةَ اللَّيـــالى ... وتبْنِي المجـــدَ مبتكراً وترْسى

وترْتجلُ المعَـــالىَ كالمعَـــانى ... وتُصْبح فى جَلَائِلهَـــا وتُمْسِى

وكنتُ أحِسُّ يومئـــذٍ بخطْوِى إلى نبْعٍ منَ الآمال قُـدْسِى
فيـا للموتِ كم أفضَى بيـــأسٍ يمـرُّ فلا يمـرُّ بغـــيْرِ يأس

وَفـــاءٌ ما طلبتَ به وفـــاء
وصـــنعٌ ما نظرتَ له جـزاء

جمعتَ النَّـاسَ حَوْلَ هواكَ حيًّـا وأنتَ اليـــومَ تجمعُهمْ رثاء
وقالوا : وعكةٌ .. فـكأنَّ طيراً مُرَوَّعَةً تشقُّ لَكَ الفضـــاء
لقـــد خفُّوا بأنفسِهم سراعاً خِفَـــاف الخطْوِ ، وانصرفُوا بطاء
وقـــدْ نَهلتْ عيونُهُم وَعَلَّتْ وما زالَتْ ، وما زَالُوا ظِمـــاء
وكانوا كل آونـــةٍ دعـــاء يزاحمُ فى الطَّريقِ لكَ الدعاء
وكنتَ لِكلِّ ذى قلْبٍ حنينًـا وكنتَ لـكلِّ ذِى أملٍ رجاء
وما أنسَـاكَ تُدنينِي وتسْـــمَى إلىَّ وأنتَ منْ هُو كِبْرِياء
وتسـألُ إنْ طَوَانى عنْكَ همِّي وتمْنحُنى عَلَى يأسِى العَـــزاء

أَمِنْ شجنٍ ؟ نعَمْ : سَجِىَ الشَّجِىُّ
وناحَ الشِّـــعرُ وانفطرَ الرويُّ

منـاحةُ كل سَاجعـــةٍ هتوفٍ فقـــد سكتَ القَتُولُ الألمعىُّ
أَلِفُوا بِى عَلَى رمسٍ قـــريبٍ بعيـــدٍ لى به ظمأٌ وَرِىُّ
هنـــالِكَ فى غَزالةَ حيثُ مَالتْ قنـاةُ المجـــدِ واغتربَ الـكمىُّ
أَلِفُوا بى عليـه — إذنْ — وقولُوا هنـــا أَطْلِقْ دموعَكَ ياشَجِىُّ
وكفُّوا عن مُرَاودةِ اللَّيـــالى تبـــدَّدَ بعـــدهُ الشملُ الوفِىُّ

فلا يُزْهَى بصَـــارمِه كَمِيٌّ ... وَلا يـدْعُو بدعْوتـهِ نَبِيُّ
وبعْـــدَ اليومِ لا يلتَـامُ شَمْلٌ ... ولا يضْـــفُو لوَارِدِهِ أَتِيُّ
وبعْـــدَكَ يا دسُوقِ لا أُرَانِى ... بها عُضْواً وأنْتَ صـــدًى طَوِيُّ
أبَعْـدكَ يُسْتَسَاغ لنَـــا اجتماعٌ ... وبَعـــدَكَ يُسْتَطَابُ لنَـا نديُّ

سَـقتْكَ سَحائبٌ تهْمِى سَـقِيُّ
وشخصُك فى ضَمِيرِ الـكَوْنِ حَيُّ

مضى الطاهر الصديق

للأستاذ العوضى الوكيل

جحدتُكَ إن لمْ أقْضِ عمرىَ باكيَا ... وأكتبْ بذوْب القلْبِ فيكَ المرَاثيَا
وخنتُ الحنَانَ الصفْوَ منكَ رشَفْتُهُ ... وخنتُ ودَاداً كنتَ تُؤتيهِ صافيَا
عجِبتُ لِدمعٍ باتَ ينهـلُّ وابلاً ... فلمْ يُطفِ جَمْراً فى الأضالعِ وَارِيَا
إذا فاضَ شؤبوبٌ من الدمْعِ هاملٌ ... سَقَى القلب شؤبوباً من الحُزنِ طاغيَا
فيا عجباً للدَّمـع يقْوَى به الشَّجي ... وكُنْتُ أظنُّ الدمعَ فِى الخطْبِ شافيَا

* * *

مضَى الطاهرُ الصدِّيقُ للهِ مُعْجِلاً ... تقياً نقيًّا طاهرَ الـكفِّ ساميَا
أعاف نفاقَ النـاسِ والبغْى بينهُمْ ... وما أكثرَ البـاغِى بِهِمْ والمرائيَا
أعاف الرِّضَا والسُّخطَ فيهمْ لِطيَّةٍ ... فأُنـكرُ ذَا سخْطٍ وأُنكِرُ رَاضِيَا
وذَا جفْوةٍ ما كانَ بالْأمسِ جَافياً ... ولـكنه قد كانَ يهتزُّ راجيَا
ولم أر كالأيَّامِ يأتى لهَا غـــدٌ ... فيأكلُ آماساً لديْهـا مواضِـــيَا
ولم أر كَالأيام تصـــبغُ أهلهَا ... صَبائِـغَ شتَّى تبهرُ الطرْفَ رَائيَا
تضيعُ مقاييسُ الرِّجالِ بأُمـــةٍ ... إذا لمْ يكُ الميزانُ بِالْخُلْقِ عاليَا

* * *

مَضىَ الموتُ للسيْفِ الحسامِ فَفَلَّهُ ... وقد كانَ مصـقولَ الغِرار يمَانِيَا
نَصُولُ به فِى الْحادثاتِ ونَعْتَـــلِى ... ونَضرِبُ فى صَرْفِ اللَّيالِى اللَّياليَا

غَدا كَسَراً فى جَفنِهِ وهْو صارِمٌ ... وما زالَ مرْهوباً لدَى الرَّوْعِ ما ضِيَا
وَيا عَجباً لِلسيْفِ وهْـوَ بِغِمْدِهِ ... يَقِى مَنْ يُوَالِيهِ وَيُرْدِى الْأَعَادِيَا

* * *

نَعَاكَ لنا النَّاعِى صَبَاحاً فَأَلْيلتْ ... ضحىً كُنَّ مِنْ فَيْضِ الضِّياءِ حَوَالِيَا
نَعَى البرَّ والمعْروفَ والفضلَ والتُّقَى ... ولمْ يُبقِ فوْقَ الأرضِ مِنْ ذاكَ باقِيَا
نَعى كل خيرٍ فى الزّمانِ ورَحمةٍ ... نَعى البدرَ ذَا تمٍّ نَعى البحرَ طَامِيَا
نَعى الوُدَّ أصفاهُ نعىَ المجْد رُكنَه ... فياشُؤْمَه ما كانَ أقساه نَاعِيَا
ألَا إن عِبءَ العينِ بعدَك فادحٌ ... لِمَنْ راحَ يَقْضى العيشَ بعدَك عَانِيَا
وياطَالَمَا آثرْتنِي بكرامـــةٍ ... عليكَ فهـلْ آثرتَ مِنى وافيَا
وأُقسمُ مَا بى عنْك صـبرٌ فأغتدِى ... صَبُوراً ولَا بى رغبـــةٌ فِي حياتيَا
ومَاذَا يسرُّ المرء فى العيْشِ بعدَما ... غَدا العيشُ مِنْ خيرِ الأحبَّة خاليَا

* * *

سَقَى اللهُ قـبراً فى « غَزالةَ » ضُمِّنَتْ ... صَـــفائحُه نوراً من اللهِ هَاديا
أهلَّ فأَخْزَى البـــدْرَ فى سبَحَاتِه ... وأَخْجَلَ فى آفاقهنَّ الدَّراريا
يَكادُ تُرابُ القـبْرِ يسْنى أشـعَّةً ... مُطَهَّرَةً تُعشِى العُيونَ الرَّوائيـــا
سَنَى بسْمةٍ من سَاكن القبْرِ عذبةٍ ... تَظَلُّ ـ و إنْ أوْدَى ـ تُنيرُ الدَّيَاجِيَا
مشَيْتُ إليْه فى خُشوعٍ ورهبـــةٍ ... ولِمْ لَا وفيـهِ قد دَفنْتُ الأمانيَا
أقبِّـــلهُ حيناً وأسْـتافُ طيبَـه ... وأُرْخِصُ مِنْ عيْنَىَّ ما كانَ غاليـا
ونَادَيْتُ حتَّى كادَ من فرْطِ لهفـةٍ ... يرُدُّ على قلبى اللَّهيفِ نِدائيـــا
ولو خُطَّ فى عيْنٍ لميْتٍ حَفـيرةٌ ... لـكَانَ دُسُوقى بين جَفنىَّ ثاويَا

* * *

« أبا ثروت » ماذَا لقيتَ من الدُّنا ... وماذا لدَى الرَّحْمٰنِ أمسيْتَ لاقيَا
بَلاؤكَ فى الأوْطَانِ ما زَال صَفْحَةً ... منورة الأسْطَارِ تُعيِى اللَّيَالِيَا
تَظلُّ بهَا تُتْلَى على كلِّ مَسْمعٍ ... أحَاديث تُتلَى لِلْورَى وقَوافِيَا
وَفِى « الشَّوبَكِ الغربىِّ » ذِكْرٌ يُعيدُه ... لسَانُ الليَالى يا دُسوقىُّ راويَا
تُضىء بهِ الأضْواء فى رَوْنقِ الضُّحَى ... ويُمسِى به نسمُ الأصَائِل سَاريَا
هو الخُلْد لا يطْوِيه طاوٍ بسَعْيِه ... وما أعجبَ السَّاعِى إلى الخلْدِ طاويَا
إذا النَّاسُ أنْسُوا فضلَ ساعٍ مجاهدٍ ... فلسْتُ إخالُ النِّيلَ كالنَّاسِ ناسيَا
ويا عَجبا هلْ يجحدُ النِّيلُ فضلَ منْ ... أحَالَ رياضاً فى الحيَاةِ الصَّحَاريَا
فكمْ روضةٍ للشعرِ تزهُو بفضلِهِ ... وكمْ بلبلٍ غنَّى بِنُعماهُ شَادِيَا
تعهَّدها بالسَّقى والرعْىِ حِقبةً ... ففاحَتْ أزاهيراً وطابتْ مجَانيَا
ومَا الطَّوْقُ فى جيدِ الحمائمِ خِلقةٌ ... ولكنَّهُ جدواهُ تُغْشِى الشَّوَادِيَا
فمَنْ لِنوَادى الشِّعرِ بَعدَ عميدِهِ ... وكانَ محيَّاهُ يَزِينُ النَّوادِيَا
ومَنْ ذا نُناجِى بالقَصِيد وَسِحْرِه ... أحقًّا عبادَ اللهِ أَلَّا تَنَاجِيَا
فيَارَاعىَ الأشْعَارِ كيْفَ تَركتَها ... وأنْتَ تَرى تِلْك اللَّيالِى ضواريَا
ويا آيَةً فى المكرُماتِ وغايَةً ... ويا أوَّلاً فى المكرُمَاتِ وَثَانِيَا
ويا أيُّهَا الوِرْدُ الَّذِى رَقَّ ماؤُه ... وأرْوَى فلَمْ يترك من الناسِ ظامِيَا
إذَا ما بكى باكٍ عليْكَ بدَمعِهِ ... فلا حزْنَ حتَّى يذرفَ الدمُّ قَانِيَا

أسمح الرجال

للأستاذ محمود مبر

شاعر آل البيت

قُمْ حيِّي من جاءوا فأنت الدَّاعِي ... وانْثُرْ بديعَكَ يا أخا الإبْداعِ

فيمَ التردُّدُ وَالحياء ! أما ترى ... أنْ تستجيبَ لِذلكَ الإجماع ؟

عَرفُوكَ سَمْحاً لا تخيّب طالباً ... فأتوْا وما أبهُوا لنعْيِ النَّاعي

منْ قَال إنَّكَ لم تجىء عجباً : ألمْ ... ترسلْ إليْنا دعوةً برقاع ؟ ؟

لبيتُها بالأمسِ عنْدَ صحابةٍ ... عُرفوا لديْكَ بِسَاحِرِ الامْتَاع

وسَمعتُ منهم كلَّ درٍّ مُعجبٍ ... وعجبْتُ أنْ جعَلُوه غيْرَ مُشاع ! !

وخُصصْتَ وحدَك بالَّذى قد دَبَّجوا ... فهتفْتُ ... كيْفَ سكتَّ للأتْباع ؟

كانُوا إذَا سألُوك عمَّا رابَهُمْ ... تجْلو المريبَ برَائقِ الاقْنَاع

وتُزيلُ بسْمتُك الحبيبةُ ما عَسَى ... قدْ آدَنا منْ قلَّب الأوْضَاع

ويْحَ الكريمِ إذَا أُثيرَ ووَيْحهُ ... أضْعافَ ذلكَ إنْ يقفْ لِدفَاع ! !

أنَا إنْ ألمح لا أصرخ صَاحِبي ... فلثنَّ موتَكَ حلَّ كلَّ صِراع

أنَا لَا أزالُ أحسُّ كفَّكَ فِي يدِى ... لِتقُولَ لى : « أحسنْتَ » : حينَ سَماعِي

أنَا لَا أزَالُ أرَاكَ يوْمَ وقفْتَ فِي ... هذَا المكَانِ تُذيعُ فِي المذْيَاع

وتَقُولُ قَالَ أبى : « وتَشْرقُ دامعاً ... أخل السِّيَاسةَ لِلْفتَى الخدَّاع :

إنَّ السيَاسَةَ والبلَاد يَسُوسُها (م) المُستعمِرُونَ مُحَاطَةٌ بأفاعِ

كَيْف الصَّراحةُ يا بُنَىَّ بأمَّةٍ ... مَغْلولَةِ الأفْوَاهِ والأسْمَاعِ ! !

وتجيبُـــه فِي فورَةٍ مَشْبوبَةٍ ... مصرٌ وَهبْتُ لهَا دَمِي ويرَاعِي
فَيُشيرُ والدُك الأبرُّ : إذنْ فكُنْ ... مِمَّنْ تَنزّه عنْ هـــوى الأطْماع
واجْمَع سِهامَك لِلصِّراع مُناضـلاً ... وَمكَافِحاً فالفـــوْزُ لِلدَّفاع
ووقفْتَ تضربُ بالسِّهامِ مُجاهِراً ... إن التملُّقَ شـــيمَةُ الجعْجَاعِ

* * *

أنَا لا أسُـــوقك يا أبَاظَةُ أدْمعِي ... فالدَّمعُ شيمةُ كلِّ ذَاتِ قِنـاع
قد عشْتَ عَفًّا فى حَـديثكَ دائماً ... ونأيْتَ عن هجْوٍ وعنْ إقْـذاع
قدْ عشتَ سَمْحاً للجميـــع وطَالَمـا ... كَانتْ سَماحتُكم مَثَار نزاع
ولكمْ سمعت الحمْدَ عنك منَ الأُلَى ... جُبِلُوا على إنكَارِ كل مُـــذَاع !
بالأمْسِ جئتَ أباكَ معْتذِراً . فهلْ ... أحْسَسْتَ ما يدعُـــوكَ للإسراع
قد كنتُ أرْجُو أنْ أراكَ هُنَا وقدْ ... طلَّقْتَ عهْدَ سيَاســـةٍ وقِرَاع
قد كنْتَ تعْرفُ لِلأديب حُقوقَه ... ولكمْ رَدَدْتَ الحقَّ بعْدَ ضـياع
مَنْ لِلأديبِ وَقدْ تلفَّتَ حَـوْلَهُ ... فَرأى الفرَاغَ بقلْبـــهِ الملْتَاعِ
يا كَمْ سَعيْتَ لنَا تُزيلُ كُروبَنَا ... أكرمْ بسعْيٍ كمْ أبرَّ وسَاعِ
أنَا لَا أزَالُ أرَاكَ حيًّا مائـلاً ... بجَوارِحِي وجَوَانِحِ الأضْـلَاع
أنَا لَا أزالُ أراكَ فيَنا خالداً ... فِي كلِّ ما خلَّفْتَ منْ إمْتاعِ

موكب البطل

لأحمد عبد المجيد الغزالى

مَنِ المُوافيكِ فى زَاهٍ منَ الحُلَلِ ... يا سَاحةَ الخلْدِ هَـذَا موكبُ البطَلِ
يسْـعَى به نورُه للهِ ، فاحْتشِـدِى ... لِلخَالدِ الذكْرِ ، أوْ لِلفرَدِ المثَـلِ
الصَّـانعِ البرَّ ، يبغِى البرَّ ، فى زمَنٍ ... البرُّ فيـهِ وليـــدُ الدَّاء والعللِ
الواهبُ العمرَ لِلأوطانِ ، فى زمنٍ ... لا يبْتغى فيـــهِ وجْه اللهِ والعَملِ

* * *

هَذا الشَّهيـــدُ المسجَّى فى مآثرِهِ ... جُرْحُ الكنَانة فيـهِ غيرُ مُنْـدمِلِ
أخْلَى يديْه منَ الدُّنيَـا التى طَفِقَتْ ... تُمْسِى على الحقَدِ ، أو تُضْحِى عَلَى الدَّخلِ
مَالتْ عَن الحقِّ فى كيْـدٍ . فَمَال بهِ ... للهِ حُبٌّ ، لِغـــيرِ الحقِّ لم يمَلِ
ألقَى على الرفْرَفِ القـدْسىِّ ضَجعتَه ... . . إنَّ الشَّهيدَ معَ الأخْيَارِ والرُّسلِ

* * *

أقوَى منَ الصَّبرِ رزْنى فِيك يا أمَلِى ... واهفَ نفْسِى ، أهَذا مفْرقُ السُّبلِ؟!.
لمَّا رغبْتَ عن الدُّنيَا ، وضِقْت بهَـا ... فَزعتُ للصَّـــبْرِ حتَّى كادَ يفزَعُ لِى
أإن غدوْتُ إلى القصْرِ الأشمِّ ، فلَنْ ... ألْقَـاكَ .. للهِ عهْـدٌ فيـــهِ لم يطُلِ

* * *

ما بَالُ روْضَتِهِ ، ريعتْ هواتفهـا ... وانفضَّ سَـامِرُها فى وَارفِ الظِّلَلِ
وغاضَ نبعُ أغَانيهَـــا ، وباكَرهَا ... نبعُ الأسَى فى صـبَاح واجمٍ وَجِلِ

وصَوَّح الخضلُ الريَّانُ من حزَنٍ ... عليكَ ، يا رِيَّ هـذَا اليانعِ الخضلِ
وغامَ أفْقُ ضُحاهَا الطلقُ ، وانَّشحتْ ... سَمَـاؤُها بجَهام السُّحْبِ فى الطَّفَلِ
وعىَّ بالنَّغَم المحزُونِ طائرهَا ... حتَّى دهاهُ دوىُّ الصَّـاعِقِ الجلَلِ
ورفَّ حَوْلك كالمـذبُوحِ ، ثمَّ مشَى ... فى ظلِّ نعْشكَ عبْرَ المشْهدِ الحفِـلِ

* * *

حتَّى هُنَـا .. وتُظِلُّ الشـعْرِ مرتَحلاً ... يا راعىَ الشِّـعْرِ فى حلٍّ ومرتَحلِ
طويْتَ أفراحَه ، فِى هَانىء جَذلٍ ... حان يَضُمُّ رُفاتَ الهَـانِىء الجَـذِلِ
بنيْتَ للشِّـعْر أمجاداً خلدْن عَلَى ... كَيْدِ الزَّمانِ ، فعشْ لِلخُلدِ وانْتقلِ
أتنْطوِى هكَذا الأمجَـادُ فى جَدثٍ ... وتنْطوِى هكَذا الأجْيَـال فى رَجُلِ
هيْهاتَ بعْـدَكَ لَا نشْدُو بقَافيةٍ ... لغَـيْرِ فضْلكَ فى أيَّامكَ الأُوَلِ

كلمة الأسرة

للأستاذ الكبير عبد الله فكرى أباظه

سادتى :

جلست أكتب كلمة الشكر ، وما كانت بى حاجة لكتابتها — لولا مخافة تغلب العاطفة على اللسان وفقدان السيطرة على ما أقول وما أدع . فما أن أمسكت بالقلم حتى تزاحمت علىّ المعانى فمحا بعضها بعضاً فتوقفت . وإذ بهاتف يهتف فى أذنى تخيلته قبساً من روح الفقيد العزيز يدفعنى دفعاً إلى كتابة كلمتى شعراً تكريماً لندوة الشعر وغرفاً من بحرها . فتضاعفت حيرتى لأننى وقد أشرفت على الستين لم أنظم الشعر لأجهر به فى روضة الشعر وعلى مسمع من أئمته . بل قليلا ما نظمته لنفسى فى بعض المناسبات — ولكننى أقدمت مدفوعاً بالتأثير الذى ملك على مشاعرى . وطمعت فى عطف منكم وعفو عن السيئات . وفى دقائق من التدافع بين الإقدام والإحجام لم أشعر إلا وقد نظمت هذه الأبيات : —

يا ندوة الأدب العـــالى ومنبعه ... ومجمع الغر من شيب وشبان

أثار شِعْركم فى النفس كامنهـا ... وهيج النثر آلامى وأشـجانى

فقلت شـعراً لعلى حين أشكركم ... بالشعر أرضى رفات الراحل الدانى

لأنه كان يهوى الشعر ينظمه ... وحين يسمعه يبـــدو كنشوان

ماذا أقول ومالى فى فقيـــدكم ... حق يمـــيزنى عنكم كخـلان

بالشعر والنـثر قد خففتمو ألماً ... أقض مضجع أبناء وإخـوان

إن الوفاء الذى أبديتمو كرماً ... لا أسـتطيع له شكراً بتبيانى

يا قادة القول حياكم وباركـكم ... من يستطيع جزاء فوق إمكانى

وقاكم الله شر العـاديات ولا ... أراكم الله مدعاة لأحزان

دمعـــة وفاء

للدكتور محمد مظهر سعيد

يا دسوقى ! ياصديقى :

يا أخى ! بل يا شقيقى :

عذراً ثم عذراً ، فما أعددت لرثائك درّاً منظوماً ، ولا شعراً منثوراً ، ولا كلاماً مسطوراً . وها أنت ترانى ، لا أملك فى رثائك غير الدموع . فأفض علىّ من معين أدبك . ورصين بيانك ، كما فاضت هذه الدموع .

يا دسوقى ! يا صديقى :

خبرنى بربك . ماذا يفعل الإنسان ، إذا دهمته كوارث الزمان ، برزء جسيم لم يكن فى الحسبان !

بل ماذا يستطيع أن يفعل الإنسان ، إذا عز الصبر وامتنع السلوان !

لعله يستطيع أن ينطق اللسان ويطلق البيان ، فينفس عن بعض ما يجيش به الجنان .

لـكن ! أفى مقدور اللسان أن يسيل الأسى لوناً نصور به وقع الفجيعة .

أفى مكنة اللسان أن يحيل اللفظ بلسماً يداوى جرح الوجيعة !

---

* ألقيت فى حفلة أدباء العروبة واوروديها متأخرة أثبتناها هنا .

متفرقات

يا دسوقى ! يا صديقى :

هل ترى وتسمع !

هل ترى الشعراء والأدباء ، ينظمون حبات قلوبهم خرائد الحزن ، فيرثون ولكنهم لا يوفون .

هل تسمع الأدباء والأصدقاء ، يحبسون فرائد الدمع ، حتى لا يبكون ، ولكنهم لا يستطيعون . هاهم الشعراء والأدباء بك يحتفون ، وهاهم الأقرباء والأصدقاء حولك يجتمعون ، فى اليوم و بعد اليوم ، كما كانوا بالأمس يفعلون .

أنهم يرثون ويبكون ، أما أنا ، فلا أبكيك ولا أرثيك ، وإنما أبكى مآل الشعراء الحزانى وقد تركتهم يتامى ، وأرثى لحال الأدباء اليتامى ، وقد خلفتهم حزانى .

يا دسوقى ! يا صديقى :

أنا لا أبكيك ولا أرثيك .

لو ان البكاء يرد الحياة لعشنا الحياة بدمع همى
أو الحزن يرجع منا البعيد لفزنا من الحزن بالمغنم

ولكن ! هل يعبر البكاء عما تكنه قلوبهم نحوك من ود ووفاء ، وهل يفيك الرثاء ما تضمره نفوسهم لك من حمد وثناء .

أما والبكاء لا يفيد ، والرثاء لا يجدى .

فلم يبق إلا أن نرفع خالص الدعاء ، لله فى دار البقاء ، أن يسكنك فسيح الجنان ، فتنعم بالخلود والرضوان ، إنه الرحيم الرحمن .

أمام جثمان الراحل الكريم

فى حديقة مسجد القبة الفدائية بالعباسية

لفضيلة الأستاذ أحمد أبو رحاب

من العلماء

رحمك الله رحمة واسعة :

فقد كنت مثلا للأخلاق الفاضلة . والسجايا النبيلة ، والهمم العالية ، فى نصرة الحق ، والدفاع عن الضعيف ، حتى يصل إلى حقه .

وكانت فى حياتك لى عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا

عرفتك مصر فى ثورتها الكبرى عام ١٩١٩ بطلا من أبطال الجهاد والنضال ، لا تلين قناتك ، ولا يخالجك فرار ولا ارتداد ، ولو أحاط بك جنود الغاصب من كل الجوانب ، حتى تصل إلى الهدف الذى إليه قصدت .

وكنت ترجع دائماً فائزاً منتصراً . وفطرتك تسوقك إلى دوافع الخير ، وتسهل عليك إنجاز ما عليه صممت بحزم وعزم ، وقد ورثت هذه الفطرة عن أسرتك الأباظية ، التى تأبى الضيم . وتعاف الظلم والهوان .

وكواكب أسرتك العربية الصميمة ، ضافية نقية . تلمع أضواؤهم فى المحيط السياسى والاجتماعى .

عرفناك فى الثورة الكبرى ، مجاهداً عبقرياً ، فتحت صدرك الحنون ، وساحات بيتك للشباب والشيب ، وأجَرْتَ من القسوة والشدة العَدَدَ العديد .

واليوم تنتقل من دار الفناء ، إلى دار الخلود والجزاء :

فها هى تلك السماء تتساقط دموعها لتروى جدثك الفسيح ، والأرض تفتح صدرها مرحبة بضيفها الذى جعل صدرها جنة نعيم .

ويبكيك أقوام عرفوا فيك جوهر الحياة ، وأدب الحياة ، وشاعر الحياة ، وفضل الحياة ، ومكمل الحياة .

والسلام عليك يوم ولدت، ويوم جاهدت ويوم رحلت عن هذه الدار ، وأسأل الله أن يجعل الجنة مثواك ، وأن يجزل الصبر والأجر لأهل الشرق عامة .

عـــبرة الوفاء

للشاعرة الأستاذة منيرة توفيق

جَلَّ العزاء وعمَّ الخطبُ واحتجبتْ ... شمسُ الضحى، وبكى القرطاسُ والقلمُ

كادتْ تطير منَ الهولِ النفوسُ وقدْ ... قَال النعاةُ تولَّى المفردُ العـــلم

قَضى فباتَتْ رياضُ الشعْرِ مقفرةً ... أردُدُ الطرفَ فيها وهْـوَ منقسِمُ

فـلَا رياحُ الصَّبا تندَى نسائمُها ... ولا الزهُورُ عَلَى الأغْصـانِ تبْتسم

ولا الطيورُ على الأغصَان تُنشِدنا ... لحنَ التَّسامي إذَا ما شَـاقَها النغمُ

ما حـــيلَةُ المرء فى دهْرٍ تروعُه ... فيه الـكوارثُ وهْو الخصْمُ والحكَمُ

هذَا الوجودُ الذى نَهْواهُ من قدمٍ ... يفْنَى ويُدْرِكُه عنْدَ الرَّدى العَـدَم

لا يرحمُ الموتُ للإنسانِ قطُّ صِباً ... سيَّانِ فيـهِ الشَّبابُ الغضُّ والهرَم

والخلدُ فِي هَذهِ الدنْيَا لِـكلِّ فتًى ... ندبٍ هُمَامٍ نبيـلٍ طبعُه الـكرم

إذَا طـوَاهُ الرَّدَى لم تطْو أنعمَه ... كالبحْرِ تثنِي عليه السُّحْبُ والدِّيم

يا مَنْ قضَى ولَه فى النَّيل مَـنْزلةٌ ... عَلْياءُ تُزهَى بهَا الأمْصَارُ والأُمم

خَلفت بعْـدَك أكْبَاداً محطَّمةً ... باتتْ عَلَى صـخْرةِ الآلَامِ ترتطِم

يَا قَائدِى لمحـــلُود كنْتُ أنشدُه ... لَأنْتَ بالفضْـلِ والتَّشجيع مُتَّسم

كَيفَ التأسِّي وأشْـجانِي تُؤرقُنى ... ومُهْجتى بِلظَى الأحْزَانِ تَضْطرم

ذِكْراكَ فِي الفمِ يا (ابراهيمُ) يبْعثُها ... جُـرْحٌ عميقٌ بقلْـبِي لَيْسَ يلْتئِم

شخصية عبقرية

للأستاذ محمد عبد الوارث الصوفى

أيها السادة :

ليس فى مقدورى على التحقيق أن أقف اليوم بينكم لأرثى شخصية عبقرية فذة جمع الله لها خصائص — البطولة ، والوطنية ، والتضحية والفداء — وجملها بالعلم والأدب والخلق . والحياء ، وكملها بالنبل ومكارم الأخلاق حتى غدت متكاملة الجوانب غنية بالمواهب . . .

أيها السادة :

لقد فقدنا فى رئيسنا العظيم المحبوب الأستاذ الكبير دسوق أباظه الأب والأخ . والصديق . والزميل . والعشير — لا بل فقدنا — معانى أخرى كريمة عظيمة تتصل بالأحاسيس . وتكمن فى الوجدان . وتخلد فى القلوب وتسمو بالأرواح وتعمق فى النفوس . ولا يعبر عن مثلها بالحروف والكلمات والعبارات لكيلا تفقد روعتها وتذهب بعظمتها ، فما كانت الحروف إلا رموزاً تؤدى حيناً رسالتها وتعجز أحياناً عن أن تحيط بها أو أن هذه المعانى بعبارة أخرى أمور يتأثر بها الإنسان . ثم لا يجد إلى التعبير عنها سبيلا ، فمثلها مثل لوحة فنان عبقرى موهوب ، أودع نفسه فى حسه ثم أودع حسه فى فنه ثم أودع فنه فى لوحته ثم تركها للناس كما هى يختلفون فى التعبير عن جلالها : ثم يعجزون جميعاً عن أن يصلوا إلى أعماق ما يدور فى خلد صاحبها من أحاسيس متباينة ، وعواطف مختلفة ؛ ومعان دقيقة عميقة ! يهتز لها الوجدان ولا ينطق بها اللسان . .

رحم الله فقيدنا وفقيد الأمة العربية بقدر ما أحسن للأدب والأدباء . و بقدر ما أعطى لأمته من مثل عليا ستخلد على الدهر وتبقى على الأيام .

ألقيت فى حفلة جامعة أدباء العروبة ، وقد وردت أخيراً فأثبتناها فى غير مكانها .

أبكيك ...

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

أبكيكَ أغزرَ ما بكيتُ دمًا ... كالليل أظلمَ والسّحاب هَمَى

تلك الدموعُ نثرتُها شُعَلا ... ولو استطيع نظمتُها كلِمَا

قد كنتَ لى أملاً يطالعنى ... فى النائبات فصرتَ لِى ألَمَا

لهفى عليكَ حييتَ مُعتصِماً ... بالمكرماتِ ومتّ مُعْتَصِمَا!

ومضيتَ أنقى ذمةً ويداً ... وفماً وأرقى همّةً شَمَمَا

أنقى من الأنداء هشَّ لَهَا ... وجهُ النسيم الرطبِ مبتسِما

مَنْ مِثْلُ إبراهيم فى خُلُقٍ ... بالنبل والفضل الجزيل سَمَا؟

مَنْ مِثْلُ إبراهيم فى كرَمٍ ... بسَع العروبة كلّها أمَمَا؟

مَنْ مثلهُ فى كلّ نائبةٍ ... حاقت بمصرَ وهزّتِ الهرمَا؟

كان اسمه ياحسنَهُ عَلَمَا ... للعالمين وفعلُه عَلَمَا!!

صلَّى عليه اللهُ وانهمرتْ ... آلاء رحمتِهِ لهُ نِعمَا!

الموكب النائح . .

للأستاذ شريف محروس حبيب

مات دسوقى أباظه ! ! ! !

نداء رهيب . . انبعث بها صوت الناعى فى ساعة مشئومة من يوم كئيب . . مات دسوقى ! !

أحقاً . . مات دسوقى العظيم ! ! مات الزعيم الأب ! ! والأب الزعيم ! !

أحقاً غـدا دسوقى ذكرى تروى على الأيام . . وحديثاً يردده الزمان ...

أحقاً لم يعد لك — يا دسوقى — لدينا إلا ماء عيوننا نسكبه لوعة . . ودماء قلوبنا نسفحها أسى وحسرة . . .

* * *

أجل . . مات دسوقى ! ! !

و إلا ففيم هذا الموكب النائح فى « غزالة » يسعى إلى وادى الموت بين جماعات من الفلاحات ملطخات الوجوه يندبن السيد الرحيم والراعى الأمين . . .

أجل . . . مات دسوقى ! ! !

و إلا فيم هذا النواح الفاجع والنحيب الصارخ . . .

وفيم أرانا نحن أبناء مدرسته الوطنية وغيرنا من أبناء الزعيم الأب . . نبكى الأب فى الزعيم والزعيم فى الأب . . .

وفيم أرى رجالات مصر من رفقته ولداته . . الخصوم قبل الأصدقاء . . ممن عرفوا بالاتزان والوقار . . قد أجهشوا نحيباً و بكاء . . .

وفيم أرى « أدباء العروبة » وسائر أبناء مدرسته الأدبية وقد انفطرت قلوبهم . . فانهمرت دموعهم أنهاراً . . .

وفيم أرى هذه الألوف من عارفى خصاله وشاكرى أفضاله وقد أحاطوا بجثمانه الطاهر يشيعونه فى الطريق إلى الفردوس .

أقسم أننى ما رأيت فى حياتى أفجع من ذلك مشهداً . . ولا رأيت مثل ذاك اليوم أكثر باكياً وباكية . . .

* * *

حقاً . لقد مات دسوقى ! ! ! فلم نعد نشهد إلا مآتم تقام . . هذه فى قاعة (يورت) وتلك بنادى الصحفيين وأخرى بنادى الشبان المسلمين . . وهذه بالزقازيق وغيرها بالإسكندرية . . وتلك فى أسوان وعند (آل حزين) بإسنا وأخرى أقامها (بيت الشلقانى) بالقليوبية . . .

وكأننا بمصر كلها ولم تعد تصغى إلا إلى نحيب الفواجع . . ونواح البواكى . .

* * *

أجل .. مات دسوقى ! ! ! ومضت الليالى والأيام .. وها نحن فى ذكراك .. لا نحييها بل نحيا فيها . . .

فسلام عليك — يا دسوقى — فى فردوسك . . سلام عليك فى ذكراك . . سلام عليك فى رفاقك وأبنائك . . سلام عليك فى جنات الخلود .

خالد أنت رغم أنف الليالى إن موت العظيم بدء حياة

دمعـــة وفاء

للحاج حسن محمد البطريق

اللهُ يختـارُ الرِّجالَ منَ الجنـــودِ العاملينْ
الشاكـرينَ لما حَبَاهُمْ ربُّهم دُنيـــا ودين
من تُوِّجُوا بالفضْـــل والرأى السَّديدِ المستبينْ
أَخْلاقُهم كمنَارةٍ أضْـــــواؤُها للعَالَمِـــينْ
البَاذلينَ سماحـــــةً فى نُصْرةِ المستضْعَفينْ
وأولئكَ الأبْرارُ مَامَاتُوا ولـكن خالدون
جلَّ المصَـابُ عن البكاء وعَنْ دمُـوع الجَازعينْ
رجل تَنزَّه فعـــلهُ وفعَالُه عمَّا يَشـــينْ
منْ للسِّيَاســة والـكيَاسَـةِ غير أوْحـدها الأمينْ
غير ابْن بَجْدتِهَا وخَـــير كُمَاتِها فِى الأوَّلينْ
وإذا ذكَرتُ نضالَه فالذكْريات صَـدَى السنينْ
وحَوادثُ التَّاريخ تَشْهدُ أنَّهُ أسَـــدُ العَرينْ
بالخيْر يَنْبضُ والحياةِ وعـــزَّةِ الشَّهْم الفطينْ
ورَجَاحَةِ العقْلِ السَّـــديدِ وفِطْنَةِ الرأْيِ المُعينْ
يُعْطى ومَا تَدْرِى الشمالُ بما تجـــودَ بهِ اليمينْ
يا دارُ أيْنَ الشعرُ فيكِ وأينَ ركْبُ الزَّائرينْ
يا دَارُ أينَ السمْحُ أيْنَ الشهمُ مبْســوطَ اليمينْ

* * *

كم شاهَـدتْ عيْنِي على العَقَباتِ جَمْعَ المرتجينْ
يا دَارُ أينَ الصحبُ فيكِ أخوَّةً متعاطِفُونْ
ويَحُوطُهُمْ رَبُّ الفَصـاحةِ سَـيِّدُ المتكلمينْ
أبكيك إبراهيمُ عنْ نفسى وعنْ قلْبِي الحزينْ
أبكيكَ عنْ نفسِى فقدْ أوليتَها الفضْـلَ المبينْ
الصـبْرُ يَجْملُ فى المصَابِ وَما أنَا فِي الصَّابرينْ
فإلى جنانِ الخُـلْدِ إبراهيمُ بيْنَ المتَّقينْ

بكاء

للأستاذ محمد هاشم عبد الكريم

مَا للقَريض بكتْ جمراً مآقيــــهِ ... وسابقت لفظَهُ حزْناً معَانيــــهِ

اليــــوْمَ غابَ عَنِ الأطْيارِ مُلْهِمُهَا ... واليوْمَ غادَرَ روْضَ الشِّعْرِ سَاقيــه

قالُوا « الدسوقيُّ » قدْ ولَّى فقلتُ لهم : ... الشِّعر فِي إثْرِهِ ولَّى يُنَاجيــــه

قد كَانَ يرْعَاهُ فِي رفْقٍ وفى شَغَفٍ ... منْ بعْدَه سَـوْف يرْعَاهُ ويحْميه ؟

يا بَاسِمَ الثغْرِ ما طَاف العبُوسُ بهِ ... يا واضحَ القصْدِ لم تُعْرفْ بِتمْويه

علوْتَ كالبدْرِ فى عِزٍّ وفِي شرفٍ ... وكم دنوْتَ من السَّارِى لِتُهْديه

نمْ مُستريحاً فقَدْ خلَّفتَ أفْئــــدةً ... ذِكْراكَ فى طيِّهَا شــــدْوٌ تُغَنِّيهِ

لهيب الذكرى!

للأستاذ شامل أباظه

نجل الفقيد العظيم

إيهِ يَاشَاطِىءُ الحبيبَ سَلَامَا ... إنَّ لِي فيكَ ذكرياتٍ قُدَامَى

ذكْرياتِي هُنَا : شَبَابِي وَصَفْوِي ... ليْتَ عَهْدِي عَلَى رِمَالِكَ دَامَا

رُبَّ بَحْرٍ يُشَعْشِعُ الحسْنَ فيهِ ... رَقَّ حَتَّى حَسِبْتُهُ أوْهَامَا

وَلَيَالِيهِ كُنَّ حُسْنًا وسِحْراً ... قَدْ تولَّتْ فَخلتُها أحْلَامَا

كَمْ لَهَوْنَا بِالنَّردِ فِي لَحظَاتٍ ... خلْتُ تلكَ الأيَّامَ عنْهَا نِيَامَا

أشْتَرِي أمْسَنَا الحبيبَ بِعُمْرِي ... منْ يبيعُ الأيَّامَ والأعْوَامَا ؟!

يَاحَبِيبِي لَقَدْ عبثْتَ بِقلْبِي ... وهْوَ أفْتَى منْ أنْ يكُونَ حُطَامَا

إنَّ قلْبِي ولا يزَالُ صَغِيراً ... ذاقَ بعْدَ الوَدَاعِ فيكَ الحِمَامَا

يَازَمَاناً بِسَيدِي بشرٍ تَولَّى ... كانَ أحْلَى منَ المنَى بَسَّامَا

نَحْنُ جِئْنَاكَ : والحياةُ متَاعٌ ... وسرُورٌ واليوْمَ جئْنَا يتَامَى

ذكْرياتٌ هُنَا وأمْنٌ وعهْدٌ ... وَفؤادٌ منْ غيْرِ جِسْمٍ أقَامَا

رُبَّ بَحْرٍ قَدْ زُرْتُهُ بعْدَ شَوْقٍ ... وغيابٍ فقبَّلَ الأقْدَامَا

أقْبَلَ الموْجُ نحْونَا فِي خُشُوعٍ ... يَتهادَى وَتحْتَنَا يَتَرَامَى

كانَ أمْسِي بِهِ ضَحُوكاً فمَالِي ... لَا أرَى فِي الوجُودِ إلَّا ظَلَامَا

اللَّيَالِي تكَادُ تعصِرُ رُوحِي ... والثَّوانِي تَزِيدُ قلْبِي ضِرَامَا

كانَ يَحْنُو فلَوْ دَرَى بشجُونِي ... هَمَّ منْ نَوْحِهِ الطَّوِيلِ فقَامَا

كَانَ أوْهَى منْ أنْ يردَّ ضعِيفاً ... وهْوَ أضْرَى منَ اللَّظَى إقْدَامَا

وَصَدِيقٍ يَقُولُ دَمْعُكَ ضعْفٌ ... هَلْ حسِبْتَ الحيَاةَ فِينَا دَوَامَا

بدِّلِ الدَّمْعَ ، هَاتِ شِعْراً فريداً ... سَامِقاتٍ أبْيَاتُهُ لَا تُسَامَى
واذْكروه يعشْ بكلِّ فُؤادٍ ... أذكروهُ ليْسَ المماتُ خِتَامَا
سرِّحِ الطَّرفَ هل تَرى من تراثٍ ... تركتْهُ الأجْدَادُ إلَّا عِظَامَا
وقبُوراً بِهَا أعَادٍ وصحْبٌ ... وبيُوتاً خَلَتْ وكَانَتْ زِحَامَا
انَّ تلكَ الحياةَ موتٌ بَطِيءٌ ... إنْ يَزُرْهَا الكرامُ زَارُوا لِمَامَا
انَّ تِلْكَ الحياةَ قبرٌ لمَنْ عَا ... شَ كَرِيماً لَا يَرْتَضِي أنْ يُضَامَا
أيْنَ ولَّى مِن قبْلِنَا أولُونا ... نحْنُ قَوْمٌ قد شَيَّعُوا أقْوامَا
أمصيرُ المحْتومُ تُدْرِكُهُ النفْسُ ... فمَا للإنسَانِ عنهُ تَعَامَى
هذه سُنَّةُ الحياةِ ولكنْ ... كَيْفَ نَلْقَى من بعْدِهِ الأيَّامَا
أسكنُوهُ فى موْضعِ القلْبِ مِنِّى ... فجُحُودٌ أنْ تُسْكِنُوهُ الرَّغَامَا
منْ بُنَاةِ الأمْجَادِ شادَ عُلَاهُ ... بيدٍ حُرَّةٍ تَعَافُ الحَرَامَا
كانَ فى صفْوِهِ رضيًّا رَقيقاً ... كان فى حربه عنيفاً هُمَامَا
كانَ فى حالِكِ الزمانِ ضياء ... كان فى كالحِ الخطوبِ حُسَامَا
مَا لهذى الرِّيَاضِ أمست يبابا ... مَالهذى الحمائمِ صار كِهَامَا
ودَعَانى للثَّغْرِ صحْبٌ أحبُّوهُ ... وَصَاغُوا الدمُوعَ فيه كلامَا
يا نَدَامَى هَاتُوا الدنانَ دُمُوعًا ... أو دَعُونى لوحدتى يانَدَامَى
أنا لوْلَا الأسْقامُ تَفْرِى ضُلُوعى ... لشربتم من كلِّ بيتٍ مُدَامَا
كُلَّمَا صُبَّتْ المُدَامُ بكأسِى ... زادت الشَّارَ بين منها أوَامَا
فَاعْذُرونى إنْ قَصَّرَ الشعرُ فيه ... فأبى يعشق القوافى ضِخَامَا
لا تروقُ البحَارُ إلَّا كباراً ... أو تُرُوقُ الجيادُ إلَّا كِرَامَا
لا تُفَتِّشْ عن مُهْجَةٍ فى ضُلُوعى ... فَفُؤَادِى أقامَ حَيْثُ أقَامَا
ياقُلُوبَ الأحْبَابِ صيرى قبوراً ... يا عُيُونَ العُشَّاقِ صيرى غَمَامَا

العـالم الإنسانى الرفيع

للأستاذة منيرة ثابت

خرجت المنية تعبث . . . معربدة فى صباح ٢٢ يناير ١٩٥٣ ، فطوت وهى مغمضة العينين ، علماً من أعلام الإنسانية الرفيعة . علماً كان خفاقاً . هو المغفور له إبراهيم دسوقى أباظة . . . الذى اتخذت الآن صفحة حياته مكانتها الجليلة فى سجل التاريخ .

لم يكن ذلكم الراحل الجليل عالماً سياسياً فقط ، ولم يكن عميد الأسرة الأباظية الكريمة فحسب . بل كان أيضاً عميداً للإنسانية فى جميع أرجائها ، فما كاد يبدو مكانه شاغراً فى هذه الانحاء — حتى فزعت الانسانية وراحت تفتقده باكية قبل أن تفتقده الأسرة الأباظية وقبل أن يفتقده ميدان السياسة والوطنية .

لست أود أن أتحدث عن دسوقى العالم السياسى ولا عن دسوقى عميد الأسرة وإنما أتحدث عن دسوقى الإنسان الرفيع .

نشأة ممتازة

لقد نشأ الفقيد العظيم دسوقى أباظة نشأة خلقية ممتازة قوامها التمسك بالدين والوطنية فلم يفرط يوماً خلال حياته — ذات الاثنين وستين عاماً — فى فرض من الفروض أو سنة من السنن حتى عندما كان يجوب أنحاء أوربا ... بعيداً عن بيئته المحافظة .

الصحافة

على أن هذه الروح الممتازة لم تحول دسوقى إلى رجل خارق ... بل تحولت به إلى رجل قوى النفس رغم الليونة التى كانت تبدو دائماً فى ظاهره .

دسوقى الطالب ... والنائب

كان دسوقى وهو طالب فى مدرسة الحقوق (الخديوية) ابناً لأخى وزير المعارف — وما أدراك ما ابن أخى الوزير فى ذلك الحين ؟ — ومع ذلك فقد خرج دسوقى على أوامر (العمومة) الوزارية واشترك فى قيادة أول مظاهرة من الشباب زحفت على ميدان عابدين ... تطالب بالدستور كأنه كان يشعر فى صباه بما كان مقدراً له فى رجولته .

فما كاد الدستور يوضع . وتفتح أبواب الحياة النيابية فى عام ١٩٢٤ حتى دخل دسوقى أباظة من هذه الأبواب . . . دخلها ولم يخرج منها أبداً رغم اختلاف العهود والأحزاب وتغيير الوزارات ... فكان دسوقى النائب الوحيد الذى لم يخل منه برلمان مصرى حتى ذلك البرلمان الأخير .. الذى أجرت انتخاباته « المشهورة » وزارة الرئيس السابق حسين سرى ، التى سميت بالقنطرة .

الشعبية الفياضة

فكيف تأتى لدسوقى أباظة أن يصمد فى وجه هذه التيارات . بل « الألاعيب » الانتخابية التى جرت عليها العهود البائدة ؟ .

لم يكن دسوقى أباظة صاحب مزارع شاسعة كما كان بعض الناس يظن . . فكل ما كان يملكه ينطبق تماماً على ماحدده قانون الاصلاح الزراعى الأخير للمالك ذى الأولاد .

أجل . لم يكن دسوقى من كبار الملاك ولكنه اتجه بكل ما يملك من مال

وروح إلى إرضاء الله والناس وإلى كسب محبة الجميع دون أن يفرق بين الكبير والصغير .

ومع أن دسوقى كان قطباً كبيراً من أقطاب حزب الدستوريين ، وكان الحزب معروفاً باسم حزب البيوتات الكبيرة — فقد كان رحمه الله ذا شعبية ممتازة لم يحظ بها أكثر الشعبيين :

دسوقى الشاعر

وقد عاونته على كسب محبة الناس وتقديرهم « شاعرية » زاخرة هدارة تبدو فيما يقول وفيما يفعل .

كان دسوقى « الشاعر » إذا تكلم كان الشاعر إذا عمل ، كان « الشاعر » إذا أحسن وكثيراً ما كان هذا الإحسان شغله الشاغل .

لقد راح يوماً أحد هواة الإحصاء يحصى عدد الذين كان دسوقى يعولهم فى بيته بالقاهرة من غير أهله : فأحصى ستة وأربعين شخصاً بين رجل وطفل وامرأة ... ومع هذا لم يكن دسوقى من كبار الأغنياء . ولم يستغل النفوذ ليقتنى الجواهر من مال الشعب أو يبنى منها قصوراً فخمة : بل كان يبذل من رزقه الحلال . وكان بيته الرحب فى الجنزورى مفتوحاً للفقير قبل الكبير ، وكان يعيش فيه عيشة متواضعة يعامل الجميع برقة وسماحة وخصوصاً الخدم .

دسوقى المتواضع

لم يجلس يوماً فى عجرفة .. يقرع الأجراس ليدعو الخدم . وأشهد أنى كنت يوماً أجلس مع السيدة الفضلى زوجته فى الدور العلوى . وكان الفقيد وزيراً كبيراً فى ذلك الحين ، وقد شعر بالتعب . فأوى إلى فراشه فى الغرفة المجاورة .

و بعد فترة من الوقت تذكر أمراً ما ، واحتاج إلى إرسال التعليمات . فتسلل من فراشه ... ولم يشأ أن يزعج زوجته مع ضيفتها . ولم يشأ أن يقرع الأجراس . بل أطل برأسه من غرفته ونادى فتاته الصغيرة . وقال لها أين فلان ؟ (أحد الخدم) فقالت إنه تحت . . . فقال إنزلى أنت وقولى له أن ينفذ كذا وكذا ! !

وقد دهشت حينذاك من تواضع هذا الرجل وطيبته . لقد آثر أن يرهق نفسه وهو متعب ومريض فى الفراش حتى لا يزعج زوجته . ولا يتعب خدمه بالصعود إلى الدور الثالث ... والصغيرة فتاته تجرى وتلعب فى كل مكان !

هكذا قال عندما أنبته على القيام من الفراش .

طبيعته الخيرية فى الوزارة

وقد تقدمت دسوقى طبيعته الخيرية إلى منصب الوزارة حينما تولاها لأول مرة فى يونيو سنة ١٩٤١ فوضع بوصفه وزيراً للشئون الاجتماعية « مشروع كفالة الدولة » لتجهيز الفقراء الذين يقبلون على حياة زوجية شريفة .

فلما انتقل منها إلى الأوقاف خصص من خيراتها نصيباً للأيتام الذين فقدوا أباهم ولما عاد إلى الحكم وزيراً للمواصلات ألغى استمارات السفر المجانية التى كان من حق الوزير أن يمنحها لركاب الدرجة الأولى والثانية . . . وقصر هذه المنحة من الوزير ... على ركاب الدرجة الثالثة فقط . كان دسوقى أباظه حبيب الفقراء .

متى وكيف عرفته

يوم هاجمته . . . . و بقلمى وظلمته

لم أعرف دسوقى أباظه منذ أمد بعيد . وقد عرفته بعد أن دخل الوزارة (لأول مرة) وزيراً للشئون .

وكنت فى ذلك الحين فى عراك مستمر مع هذه الوزارة بسبب إهمالها للبرنامج الذى وضعته لها فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ .

وبعد بضعة أسابيع من دخوله الوزارة . بعثت إلى جريدة الأهرام بمقال خطير طويل عريض هاجمت فيه ثلاث وزارات هى الشئون والصحة والمعارف ... ووجهت إليها نقداً مريراً مليئاً بالسخرية والتهكم دون أن أذكر أسماء الوزراء وكانت الشئون أوفر نصيباً من النقد .

ووقفت الرقابة على قدم وساق وحاولت منع نشر المقال قائلة إنه تهجم صارخ على وزراء ثلاثة وتعريض بكفايتهم . وأصر المرحوم أنطون الجميل على نشر المقال باعتباره نقداً وتوجيهاً فى شئون الإصلاح الاجتماعى والصحى والتعليمى . وبعد مفاوضات سريعة دامت أربعا وعشرين ساعة ظهر المقال فى صدر الأهرام . . وزلزل أركان الوزارات الثلاثة وكان دسوقى أشد تأثراً بوقع هذا المقال من زميليه (الدكتور هيكل والدكتور حامد محمود) .

اللقاء الأول

بعد ستة أيام أقيم حفل ثقافى فى دار المدرسة السنية وذهبت إلى الاجتماع بدعوة من وزير المعارف (وكان الدكتور حسين هيكل) وبعد الانتهاء من الحفل قدمنى وزير المعارف إلى زميله دسوقى وزير الشئون قائلا : هذه هى منيرة ثابت كاتبة المقال .

ووقفنا وجهاً لوجه لأول مرة ، وقفنا فترة صامتين وقد بدا الألم ظاهراً على وجه دسوقى أباظه . . . ثم مد يده الكريمة ليصافح اليد التى طعنته بالقلم . وهو يقول بأدب جم رفيع « إنى لم أتشرف بمعرفتك قبل الآن . ولم أسىء إليك من غير علم حتى تهاجمينى هذا الهجوم العنيف . وأنا لم أسىء إلى وطنى . ولم أقصر

فى واجبى كوزير . وأنا لم أتول هذه الوزارة إلا منذ بضعة أسابيع . . . » فتأثرت تأثراً عميقاً بهذا الأسلوب الرفيع إلى حد أنى شعرت بالألم فقلت :

« وأنا أيضاً لم أتشرف بمعرفتك قبل الآن وأنا اليوم مسرورة بهذه المعرفة وأؤكد أن سيدى الوزير قد أخطأ فى فهم الغرض من حملتى فأنا لم أوجه النقد إلى شخصه بالذات و إنما وجهته إلى الوزارة . . . وإلى الروتين الحكومى البليد . . وقد اعتدت أن أقوم بحملة وعلى هذه الوزارة بالذات . كلما جاء وزير لها جديد . وأنتم الآن تقدمون الميزانية وكان لا بد لى من جرد أعمال الوزارة منذ نشأتها إلخ .

واقتنع دسوقى أباظه بوجهة نظرى بعد مناقشة قصيرة ثم وعد بتنفيذ مشروعاتى ولكن التقلبات السياسية لم تمهله ، فترك وزارة الشئون .

كانت هذه المحادثة بدء التعارف بين ذلك الرجل العظيم و بينى . ومنذ ذلك التاريخ بدأت أكشف فيه رويداً رويداً الأخلاق الكريمة . والمثالية الرفيعة والعلم الغزير والعقلية الراجحة .

وقد قضينا هذه السنوات الاثنتى عشرة نلتقى ونتباحث فى شئوننا العامة السياسية والاجتماعية ومنها المساواة السياسية . ومع أن دسوقى نشأ فى بيئة محافظة وكان شديد التمسك بهذه التقاليد المعروفة إلا أن عقله الراجح . جعله يعلن تأييده لى فى مطالبتى بحقوق السياسية واستحقاق لهـا . وأنى لأذكر له دواماً هذا الفضل .

كان دسوقى الخير مجسما . وكان كريماً متسامحاً

أذكر أن أديباً فقيراً قصده ذات يوم فى تكاليف طبع ديوان من الشعر فأعطاه هذه التكاليف و بعد شهرين التقى بهذا الأديب وسأله عن الديوان فقال الأديب : أنه ما زال تحت الطبع . . .

وأحس دسوقى من جواب الشاعر أنه لم يتقدم بعد إلى المطبعة بحرف واحد فأخرج من جيبه مبلغاً مماثلا للمبلغ السابق وقدمه له قائلا : « لقد بخست ديوانك حقه . . . عندما قدرت تكاليف طبعه بما سبق أن قدرت . فاكمل بهذا المبلغ طبعه » ثم لم يعد دسوقى يسأل الشاعر عن طبع الديوان .

وذات مرة أخرى أعجب دسوقى بقصيدة شاعر فأعطاه ما كان فى جيبه من المال . ثم افترقا ولم يتقابلا من بعد . . . حتى سمع دسوقى ذات يوم أن هذا الشاعر بالذات قد هجاه بقصيدة أخرى .

فأرسل فى طلبه . وأصر على أن يسمع هذا النقد بنفسه وأعجبته قوة الشعر . . فنقد الشاعر عن كل بيت من أبيات القصيدة . . . جنيهاً مصرياً .

قاتل الله السياسة

لقد حجبت السياسة عن أعين الناس كثيراً من الفضائل التى تحلى بها دسوقى أباظه . ولو أنهم تمنعوا قليلا لأدركوا أن دسوقى كان يمارس السياسة بقلبه على غير عادة السياسيين ، كان لا يداور ولا يدارى كما يفعل السياسيون .

وقد أكسبته هذه الطبيعة خصوماً من أصدقائه وأصدقاء من خصومه ولكن كفة الأصدقاء كانت دائماً الراجحة . وتجلت آية هذا الرجحان فى ذلك الحشد الضخم الذى سار وراء نعشه يوم وفاته بالقاهرة . وفى تلك الجموع الزاخرة التى خرجت من أعماق الريف تبكى دسوقى وتودع جثمانه قبل أن يرقد فى جوف الثرى بقرية « غزالة » الرقدة الأخيرة .

رحم الله إبراهيم دسوقى أباظه — لقد كان رحمة من رحمات الله بين العالمين .

جريدة المصرى
فبراير سنة ١٩٥٣

من الذاكرة

دسوقى أباظة

للدكتور أحمد عبد المنعم البرهى

فى مثل هذه الأيام من العام الماضى تقريباً دعانى أصدقائى من جامعة أدباء العروبة إلى مأدبة غداء أقاموها تكريماً للمغفور له دسوقى أباظة عميدهم اعترافا بفضله ورعايته للأدب وأهله . وما كنت أود أن أشهد فى دورة الزمن هذا الحفل الذى تقيمه الجماعة اليوم تأبيناً له فما أشق على النفس أن يطوى الثرى هذه الحيوية الدافقة وهذا النشاط الكبير .

عرفت دسوقى أباظه فى الوطنيين وطنياً صادق الوطنية ومواقفه فى الحركة الوطنية معروفة لا تنسى وعرفته بين رجالات العرب عربياً مخلصاً فى عروبته وبين السياسيين كتاباً مفتوحاً وسياسياً حكيما مؤمناً بحق بلاده وفى المناضلين والمكافحين سيفاً قوياً لا يغمد ولا يلين وعرفته صديقاً تعتز الصداقة به وفياً يفخر الوفاء به ، متواضعاً يشيد التواضع بسجاياه .

وقبل هذا كله و بعد هذا كله عرفته بين أعلام الأدب وأئمته ينبوعاً متجدداً و بحراً يفيض .

لقد أكبرت فى هذا الرجل ما ذكرت ومالم أذكر من جليل الصفات وحلو الشمائل ، ولم يصرفه زهو المنصب يوماً عن معارفه وأصدقائه أو المجاملات المفروضة

ولم ينشح برداء الحزبية لمن تربطهم به صداقة من رجال الأحزاب الأخرى ، بل كان يسعى لزيارتهم ويحرص عليها خصوصاً وهو فى دست الحكم ومنصب الوزارة . . .

أما عن صداقته للصحافة ورجالها وحبه لهـا وتعاونه معها ، فذلك حديث لايسعفنى هذا الحيز على بسطه ولا تمكننى هذه العجالة من توفيته ، وكل ما يمكن أن أقوله فى هذا الشأن أن دسوقى أباظه كان مصدراً هاماً لرجل الصحافة أربع سنوات أو تزيد يوم أن كان يشغل منصب الوزارة .

ولعلى لا أغالى إذا قلت انه كان المرجع الوحيد فى تحقيق ما دق من أخبار الوزارة فى عهده إثباتاً ونفياً و إبقاء وحذفاً فما ضاق يوماً بسؤال من صحفى وما أغلق بابه خوفاً من صحفى وما أنكر نفسه فى داره حتى لا يرد على تليفون من صحفى فى بداية الليل أو حتى بعد منتصفه ولو كان فى لذيذ النوم ونعيم الهدوء .

لقد آثر دسوقى جوار الله والآخرة على الأولى وان موتك أيها الصديق ليذكرنى بقول شوقى فى رثاء محمد فريد :

فريد ضحايانا كثير ، وإنما مجال الضحايا أنت فيه فريد

رحمك الله رحمة واسعة وأجزل مثوبتك وجعل جنة الخلد مثواك .

مجلة أخبار اليوم
يناير سنة ١٩٥٣

دســـوقى أباظة

للأستاذ محمد زكى عبد القادر

ذهب المغفور له إبراهيم دســوقى أباظة إلى جوار ربه أنقى ما يكون يداً ، وأصفى ما يكون قلباً وأهدأ ما يكون بالاً ، فقد أدى واجبه نحو أهله ووطنه أعظم ما يكون الأداء وأبرز سمة تطبع حياة دسوقى أباظة أنه اعتصم طوال حياته برأى سياسى لم يحد عنه . فلم ينتقل بين الأحزاب رغبة فى الكسب والمنفعة . ولعله مع قلائل معدودين هم الذين يحفظ لهم سجل النضال البرلمانى والحزبى أنهم ثبتوا فى مكانهم على الرغم من كل ما تعرضوا له من أذى وأصابهم من اضطهاد .

وقد جمع دســوقى أباظة بين حياته كسياسى ذى رأى وحزب و بين واجبه كمواطن له عشيرته وذووه . قسم وقته بين عمله فى القاهرة و بين مسقط رأســه فى مديرية الشرقية وهو من القلائل الذين لم يجحدوا الريف وأهله فكان يزورهم كلما أخلته المشاغل ويحتفظ بودهم ويرعى مصالحهم يواسيهم إذا حلت بهم النائبة ، ويفرح معهم إذا أصابهم الخير .

وقلما كان بيته فى القاهرة أو مكتبه فى الوزارة يخلو منهم ، يهش لهم و يسارع إلى استقبالهم فيأنسون إليه و يأنس إليهم ، يبثونه متاعبهم ، فيمنحهم ما فى طوقه من عون ويد ولذلك أحبوه أعمق ما يكون الحب والتفوا حوله سواء كان صديقاً لصاحب السلطان أو خصما له . ووقفوا ينصرونه فى أحلك الأوقات فكان يفوز

بثقتهم فى كل انتخاب لا لأنه عضو بارز فى حزب من الأحزاب ، ولا لأنه صاحب رأى سياسى يدينون به . ولـكن لأنه دسوقى أباظة الذى يحبهم ويحبونه .

ولم تـكن فى الرجل غطرسة ولا ادعاء بل كانت فيـه بساطة حلوه ووداعة تشيع فى صدر محدثه الألفة والمحبة . ولذلك قدره أصدقاؤه السياسيون وخصومه على السواء وجعلوا بيته مثوى ينتهى فيه كل خلاف .

وفى كل مرة تعرض فيها حزبه لانشقاق فى الرأى أو تعرض ائتلافه مع غيره من الأحزاب لعاصفة من العواصف وما كان أكثرها . نشط دسوقى أباظة بقامته الفارعة وابتسامته الوادعة وراح يسعى هنا وهناك يجمع الشمل . ويوفق بين الآراء وهو فى مسعاه مقبول من كل الأطراف .

ولا ريب أن الحياة السياسـية المصرية قد خسرت بوفاته رجلا من طراز فريد ، مثل الروح المصرية الصميمة خير تمثيل ، فلم تفتنه المدنية بكل ما لقى فيها من مجد السياسة والحـكم عن القرية بكل ما حفلت به من تقاليد وخلق ، وهو اليوم يثوى إليها جثمانا محمولا على الأعناق .

هى التى طالمـا سعى إليها فاستقبلته بالمحبة والإعزاز ، يمسح عن أهلهـا أسى الدهر ويحمل معهم وعنهم هم العوز والفقر .

مجلة الأشراف
مارس سنة ١٩٥٣

الخلد حياك !!

للشاعر عبد العزيز محمد السامى

الخلدُ حيّاك لمّا جئتَ وَادِيه ... وأنتَ روحٌ لها أنشودةٌ فيهِ
أنعمْ بهِ واسترح بعدَ العناءِ وذقْ ... فيه الهناءةَ وارتعْ فِي رَوابيه
فليسَ للخلدِ فى (جنّاته) أجلْ ... حتّى ترَى الموتَ يسعَى بينَ أهليه
نعيتَ للشعبِ والتحريرُ يشغلُه ... بمهرجانٍ بدتْ فيهِ أمانيه
ولم يكدْ ينتهِي من عرضِ موكبِه ... حتّى رأىَ الدمعَ يجرى منْ مآقيه
أسْوانَ يلقَى التعازِى منْ (قيادته) ... فى (مأتميك) لقدْ أضحتْ تُواسيه
فالنّاسُ فِي واجبِ الموتَى سَواسيةٌ ... ما دامَ فى مصر إنسانٌ يؤدِّيه
وأنت فِي الخلدِ مشغُولٌ بموكبهِ ... عن زُخرفِ الأرضِ والأيامُ تفنيه
والدهرُ لم يصفُ فى الدنيا لذِى أملٍ ... إلاّ وفِي سِرِّه كيدٌ سيبديه
وكلُّ نفسٍ لها عندَ الرّدى أجلٌ ... إذَا تدانَى فلَيْسَ الصفو يقْصيه
بَنى (أباظَةَ) وامَى النيلُ أسرتَكُمْ ... فى راحلٍ كانَ منْ أحْرارِ وَاديه
فقد رأىَ عندَ (إبراهيمَ) تضحيةً ... عن بَذْلها لم تقِفْ يوماً مَساعِيه
وَطَالما ظلَّ فى (الميْدانِ) ينصُره ... على الأعَادِى الّتى احتلّتْ أرَاضيه
وكمْ لهُ فى قضايَا الذودِ من حُجَجٍ ... قدْ أفحَمت عصْبةً كانَتْ تُماريه

يا راعيَ الشعرِ فى دُنيا عُروبتِه ... تلقَّ من روْضِه أشْجَى مَرائيه

فقدْ بلغْتَ منَ العرفَانِ منزلَةً ... فيهَا انثَنَى الأدبُ العَالِى منَ التِّيه

يُوحِى إليكَ بيَانًا ليْس فيه سِوَى ... سِحْرٌ حلَالٌ كأنَّ (الروحَ) مُوحِيه

وربَّ نثْرٍ تَبذُّ الشعرَ (روْعتُه) ... إذَا تذوقْتَ (مُوسيقَى) مَعانِيه

كَسَا السياسةَ فى أيامِه حُلَلًا ... من الهُدَى ليْسَ فيهَا لَونُ تَمويه

والشعْبُ لو لمْ يشاهِدْ فِى (جرائده) ... حقيقةً فظلَامُ الإفكِ يُعْميه

أرضُ (الغزَالةِ) فيهَا اليومَ (مرقدُه) ... يَزْدَانُ بالورْد والرضْوَان يَسقيه

أضحَتْ لَهَا عنْدَ وادِى النِّيل منْ شَرفٍ ... مكانةٌ وهىَ مغنًى منْ مَغَانيه

طافَتْ بهَا روحُ (إبراهيمَ) فامتلأت ... نُوراً تُذَاعُ (الثَّانِى) فِى لَيَالِيه

جريدة المصرى
مارس سنة ١٩٥٣

الصـــديق الوفى

للأستاذ محمد خالد

قضت أحوال المواطنة والجوار أن يكون المرحوم الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه أول سياسى يشرق على فى مطلع تفتح الذهن و يقظة الوعى .

ومن أجل ذلك اتصل روحى بروحه وتعلقت نفسى بشخصه وما فتىء الود بينى و بينه متصلا والصداقة قائمة حتى اختاره الله إلى جواره وأنعم به من جوار .

وكانت من الأسباب التى وكدت سببى بأسبابه أننى تعرفت إليه شخصياً بعد أن كنت قد عرفت مواقفه الوطنية الباهرة ومبلغ تضحيته فى ثورة مصر سنة ١٩١٩ ولذلك كان التعارف على أساس من التقـدير الوطنى والجهاد القومى ، وكان أصل المحبة مستمداً من حب الوطن و إكبار العاملين على رفعته المضحين فى سبيله ومثل هذه المحبة ينمو ويدوم ويبقى ويتصل لخلوه من الغرض و بعده عن الهوى والأنانية .

وكانت الأيام تفرق بينى و بينه ودواعى العمل تشغلنى عن لقائه ولـكننى أشهد أن ذلك لم يكن يبعد روحى عن روحه أو ينال من قدرى له وكنت كلما افتقدته حيناً من الدهر وعاودت الاتصال به . أحسست فيض المودة يغمرنى وأدركت أننى منه قريب وأن تناءت الأشخاص و إليه حبيب وأن تفرقت الأشباح .

والخاصية التي اختص بها الفقيد الكبير هي أنه كان مثل ما قدمته عن وصفه لكل من عرفه أو اتصل به فقد كانت نفسه الكبيرة وخلقه العظيم وشخصيته الفذة تزخر بفيض من المودة يتسع لكل عارفيه و يعم لكل أصدقائه ومن أجل هذا تجد الكثيرين فى محيط الأدب والسياسة يفردون أنفسهم بخصوصية من وده والحقيقة أنهم كانوا سواسية عنده ومتماثلين فى حبه وتقديره .

رحم الله الأديب المتذوق . الكاتب الناثر والشاعر المترسل إبراهيم دسوق أباظه لقد كان يشيع فى كل مجلس يتصدره البهجة والمحبة وينشر فيه الأخوة والمودة و يمسح بيده هموم المهمومين و يشفى بلسانه كلوم المكلومين ، وما يجلس إليه إنسان ضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى ينتهى به المجلس وقد صار خلقاً جديداً تفتحت أمامه الآفاق وجاشت بنفسه الآمال .

ورحم الله الصديق الوفى والرجل الأبى والطراز النادر من الناس صاحب الطرائف واللمحات وأبا الهمم والمروءات إبراهيم دسوق أباظه .

ابراهيم دسوقى أباظة

للأستاذ محمد مصطفى حمام

أذكره فأذكر قولى فيه ، يوم احتشدنا لتكريمه بفندق الكونتنتال عقب خروجه من الوزارة فى سنة ١٩٤٩ :

تالله ما فى ربيع العمر أبهج من ... حفل يحييك فيه أو تحيينا
وليس أسمح من يوم يصابحنا ... فيه محياك طلقاً أو يماسينا
إن نحن نكرمك ، نكرم فيك أنفسنا ... وكل غال عزيز من أمانينا
هى المودة قامت بيننا رحما ... تدنيك منا معانيه وتدنينا
إنا حفظنا « دسوقى » نغمة عذبت ... على الشفاه ولحناه تلحينا

والآن . . . كيف محافلنا غير مزدانة به ؟ ؟ وكيف أيامنا ووجهه الطلق لا يصابحنا ولا يماسينا ؟؟ وكيف نظرتنا إلى أنفسنا وقد كان تكريمنا لها فرعا من الاعتزاز به ، والافتخار بالانتماء إليه ؟ ؟ وأية مودة تصفو بعد أن قطع الموت ما كان بيننا و بينه من وداد ؟؟ وأى لحن يحلو بعد أن كان اسمه اللحن المتردد على الألسنة ، والنغمة المحببة إلى الآذان والقلوب ؟ ؟.

علام حرصى بعد فوت الذى ... أملت فى الدنيا فما أن يحور
ما أظلم الدنيا إذا لم يكن ... إلا إلى الخسف مصير البدور
نهيم بالدنيا غراماً وما ... نعيمها إلا متاع الغرور

قال الذين يعرفون مكانى من حب الفقيد وعطفه ورعايته ، لقد حسبنا ساعة

معناه أنك ستكون أول الراثين وأن قصيدتك فيه ستكون أول ما نقرأ . وكأنما نسى هؤلاء الأصدقاء أن المصيبة حين تحل . تسقط أول الأمر على الرؤوس ، فإذا هى فى ذهول طويل . وعلى العيون ، فإذا الدموع لا تفيض إلا لتعود فتفيض وعلى الألسنة فلا تنطق إلا تحسراً ونواحاً ، ولا بد من وقت يمضى قبل أن يفيق العقل ، ويرقأ الدمع ، ويهدأ اللسان ، ويتحرك القلم ، ولقد أحلت اللائمين والعاذرين إلى قولى :

يذهب الراحل السعيد عن الدنـ ـيا ويشقى من بعده الأحياء
يستبعد الأسى بهم فإذ الأد مع كالمزن والقلوب هواء
لا خروجاً على الذى كتب اللـ ـه ورفضا لما أراد القضاء
أو طموحاً إلى الخلود فما تخـ ـلد أرض ولا تدوم سماء
غير أن الفراق مر وتسقيـ ـنا الليالى من كأسه ما تشاء
أفدح الرزء أن تنادى من تهـ ـوى وترجو فلا يلبى النداء
ولك الله حين تبغى حبيبا فإذا الكون من سناه خلاء
لن ألوم البكاة من بعد فالأحـ ـزان داء وفى البكاء الدواء
أطلقوا الدمع . إن من غاب عنا لعزيز يعز فيه العزاء

* * *

أى والله . إن الذى غاب عنا لنسيج وحده .

أنه الوطنى من فخر حياته .

إنه الأديب الشاعر . راعى الأدباء وأبو الشعراء .

إنه صاحب المال المبذول للمحتاجين . والمائدة الممدودة على الدوام للآكلين ، والجاه المسخر للضعفاء والمستنجدين . .

يا أبا ثروت :

يا أبا شامل :

يا أبا لـكريمتين الطاهرتين، و يا أخا النابهين الجليلين ، بل يا أبا الناس جميعاً وأخا الناس جميعاً .

يا سيدى ، وصديقى ، وفقيدى .

ما هذه كلمتى فى رثائك ، إنمـــــا هى بعض دموعى عليك ، وما أكثر ما سأسكب من دموع .

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . صدق الله العظيم .

جريدة الأهرام
يناير سنة ١٩٥٣

أبو الشعراء

للأستاذ محمود غنيم

يا مِصْرُ شُقِّي ثيابَ العرْسِ وانتحبي ... مَنْ فِي الحَمَى بعْـدَ إبراهيمَ لِلأدبِ ؟
يا رائدَ الأدَبِ العَـالى وراعيَـــه ... فِي الشَّرقِ رُزْؤُك رُزْءُ الضَّادِ والعربِ
إنْ يذرفِ الشـعراء الدمْعَ فيكَ دماً ... ملءَ العُيونِ فَمَا يبكُونَ غيْرَ أبِ
أقسمْتُ ما فَقَـــدُوا إلّا أبَا حَدِباً ... بلْ كُنْتَ أحْنَى عليهمْ من أبٍ حَدِبِ
يا طَاهرَ الثّوبِ لَمْ يَعلقْ بهِ وَضَرٌ ... مُذْ كانَ . لَو شيبَ ماءُ المزْنِ لم يُشَبِ
يا مسْدِيَ اليـدِ لَا يرْمِي إلى غرضٍ ... وكَاشِفَ الضرِّ لا يَسْـعَى إلى أربِ
كُنْتَ البقيَّـةَ منْ قومٍ عرفْتُهمو ... عَوناً عَلَى الدَّهْرِ دفّاعينَ للكربِ
إصعدْ إلَى الملإِ الأعْلَى فإنّ بهِ ... مَثْواكَ وانعم بلقْيَـا اللهِ واقْـتَربِ
قدْ عِشْتَ فى العَـالمِ الأرضىِّ مُغْتَرباً ... فانزلْ بجنّاتِ عَـدْنٍ غيْرَ مُغْـتربِ
ما أنْصَفوكَ لَعمْرِى فى الوفَاةِ ولَوْ ... خَطُّوا ضريحَكَ بيْنَ السَّـبْعَةِ الشُّهبِ

مجلة الاثنين
فبراير سنة ١٩٥٣

من الإثنين للإثنين

للأستاذ فكرى أباظة

فى الصباح الباكر وقع على خبر تليفونى وقوع الصاعقة ـ مات دسوقى أباظة ! انتهى دسوقي أباظة ! ولى وراح مجاهد تفرغ للجهاد أربعين عاما طوالا ساهم فيها بماله ، وجسده ، وذهنه ، وقلمه ، وأعصابه ، وصحته وعافيته .

انتهى « دسوقى أباظة » وأسدل الستار على محسن من خيرة المحسنين لوطنه ، ولمواطنيه . . . . . وما كانت هذه النهاية المحتومة إلا تمهيداً لاستفتاء قومى وطنى شعبى عن مكانة الراحل تجلت كل التجلى فى جنازته بالقاهرة و بالريف . .

ودسوقى أباظة كان أستاذى فى الوطنية وفى الأسلوب اللاذع الذى راق بحمد الله للناس ـ وفى النزاهة والعفة المتطرفتين تطرف الخيال . . . . فليعذرنى قرائى إذا نثرت هذه الدمعة على هذا الباب فى هذا الأسبوع الحزين ! ! ! . . .

جريدة المصرى

٢٣ يناير سنة ١٩٥٣

فى ذمة الله

إبراهيم دسوقى أباظه

فقدت مصر بالأمس رجلا من طراز نادر من الرجال ومثلا من مثل الفضل والنبل والسماحة ، ذلك هو المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه . فكان فقده أشد ما يكون وقعاً على قلوب الذين عرفوا ذلك الفقيد الكريم واتصلوا به . وخبروه فى فضله ونبله وسماحة نفسه .

وأن الموت لغاية كل حى . ونهاية يمضى إليها جميع الخلق لاحقاً فى أثر سابق غير أن الأسى يعتصر النفوس على المعانى الإنسانية السامية التى يطويها الموت وراء هذه النهاية الأبدية . ولقد كان الفقيد المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه رجلا يعيش لأمته ولوطنه وفيما بينه و بين الناس جميعاً على المعانى الإنسانية التى يفيض بها قلب طيب . ونفس صافية وروح لا تعرف إلا الصدق والإخلاص فى كل ما يقول وما يعمل . مؤثراً أن يكون هـذا زكاة الضمير فى خدمة وطنه وذخر الحياة عند ربه .

على هذا المعنى الإنسانى عاش دسوقى أباظه و بهذا المعنى ابتدأ رحلته فى هذه الحياة فقد أخذ وهو طالب فى الحقوق يجول بقلمه فى الصحف جولات فى الأدب وفى الوطنية ، ولـكنه آثر أن يكون مستور اليد فى ذلك الميدان الذى يزدهى به أقرانه فـكان يوقع مقالاته بتوقيع « الغزالى أباظه » و بعد أن تخرج فى الحقوق

واشتغل بالمحاماه قليلا ثم عين فى الحكومة وصادف أن قامت الثورة الوطنية وهو مأمور للضبط بمديرية الجيزة . وكان أن وقعت فظائع الإنجليز المعروفة فى بلدتى العزيزية والبدرشين . فكان لدسوقى أباظه فى هـذا موقف وطنى خالد . هو موقف الرجل الذى يرى أن حياته أقل ما يجب أن تبذل فى سبيل وطنه .

وجاهد دسوقى أباظه فى ميدان الجهاد للوطن ، ونزل معترك السياسة على ماهو معروف ، وقد اقتضاه ذلك أن يخاصم وأن يزاحم فى هذا المعترك غير أن مخاصمته لم تكن إلا من أجل الوطن وما كانت هذه الخصومة تتصل بنفسه إلا على معنى التشدد فى الحق والإخلاص فيه ومن ثم كان بين الناس ظاهراً واضحاً . رأيه فى لسانه لا يحجبه عن أحد ولا يطوى قلبه أبداً على دخل . . . ومن ثم أيضاً كان ذلك الرجل الفاضل أحب ما يكون إلى خصومه فى السياسـة كما هو عند أصحابه وأصفيائه .

هذا المعنى كان يلتقى به معنى آخر فى شخصية هذا الرجل وهو روح الأديب الفنان التى كانت تسيطر عليه ومن ثم كنت تراه مع جميع الناس على اختلاف ألوانهم وطبقاتهم هو هو لا يغيره جاه ولا يزدهيه سلطان ولا يسعده شيء فى الدنيا مثل الخبر يقوله إلى من يعرف ومن لا يعرف — ولا يضيق مجلسه فى النهار أو الليل بكبير أو صغير ولا يضيق بطلب مهما يكن الطلب من الكلفة ، إذ كان يرى أن الحياة هى معرفة الواجب وأن أشرف الواجب ما كان لغير غاية . ولهذا كله قلت أن مصر فقدت بموته طرازاً نادراً من الرجال ومثلا من المثل السامية التى يعز على فقدها العزاء .

فى ذمة الله والوطن والتاريخ ذلك الفقيد العظيم الكريم وأن « المصرى » ليتقدم بواجب العزاء إلى أسرته و إلى أمته و يسأل الله أن يعوضها فيه الصبر والأجر وأن يكتبه من الصديقين والشهداء والصالحين .

مجلة المصور
يناير سنة ١٩٥٣

إبراهيم دسوقى أباظة
جهاد ٤٠ عاما

اختار الله لجواره سياسياً مصرياً جاهد أربعين عاما طوالا جهاداً « سياسياً » مستمراً لم ينقطع يوماً واحداً . فمنذ كان طالباً بمدرسة الحقوق ، إلى أن تخرّج واشتغل بالمحاماه ردحاً من الزمن كان فى طليعة رجال « الحزب الوطنى » من أبناء « مصطفى كامل » « وأنصار فريد » ونشبت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ فجاهد الإنجليز وجالدهم جهاداً عنيفاً . وله فى الميدان المشتعل خطب ، وقصائد نارية وفى أثناء الثورة المصرية كان « معاون ضبط » مديرية الجيزة فلطم الاستعمار البريطانى اللطمة الكبرى بأن فتح « محاضر رسمية » دون فيها مخازى الانجليز فى العزيزية والبدرشين وأثبت وقائع السلب والنهب والسرقة وهتك العرض وسفك الدم وشهد أمام المحاكم العسكرية بما يثبت هذه الجرائم . واضطر إلى الاستقالة . ونشرت هذه المحاضر التاريخية وأوفد بها المرحوم « محمد محمود باشا » إلى أمريكا فوكل المستر « فولك » للدفاع عن القضية المصرية وكانت محاضر « إبراهيم دسوقى أباظة » الرسمية هى وثائق « فولك » فأذاعها فى العالم وكانت أكبر وصمة لطخت جبين الإمبراطورية البريطانية . . . . . .

وشغل « دسوقى أباظة » منصب « سكرتير اللجنة الوفدية المركزية » فى الوفد الأكبر الأول الذى ضم جميع الأحزاب . . ثم التحق بحزب الأحرار الدستوريين وولى سكرتيريته العامة . . . . . .

و « الغزالى أباظة » صاحب « الأسلوب الهمورستيكى » الأول فى الصحافة المصرية والذى هز الخواطر بروعته . . . هو الفقيد نفسه . وكان لمقالاته اللاذعة تأثير كبير فى دنيا السياسة . . .

وقد مثل إقليمه فى مجالس النواب المختلفة من بدء الحياة النيابية وانتخب وكيلاً للمجلس فى إحدى دوراته وشغل منصب الوزارة أكثر من خمس مرات . وكان بسليقته أديباً وشاعراً فرعى النهضة الأدبيـة والشعرية ونظم الندوات فى العاصمة والأقاليم . . .

وفى جميع الأحداث والحوادث السياسية كانت داره مقر الاجتماعات السياسية فى القاهرة وأسست « لجنة الـكفاح » فى داره مقراً لها وهى اللجنة التى أدارت معركة الـكفاح ضد الانجليز على ضفاف القنال وفى مديرية الشرقية . . .

هذه هى خلاصة موجزة لتاريخ عامر كله جهاد وجلاد ووطنية كاملة عمرت أربعين عاما طويلة . وكانت مثلا أعلى فى جميع أدوار جهادها الطويل للخلال العالية ، والنزاهة السامية والعفة النادرة المثال ، وإنـكار الذات ، والترفع عن دس السياسيين ، وعبث الحزبيين أما ناحيته الإنسانية والإحساسية فلو شهدت كيف شيع المحرومون والمنـكوبون بوفاته جنازته ، لعلمت أن الفراغ الذى خلفه الفقيد العظيم فراغ كبير فى دنيا السياسة والخير معا . . . . . .

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه فى أخراه خير ما يجزى به الأبرار والأخيار . . .

مجلة الجمهور المصرى
يناير سنة ١٩٥٣

دسوقى اباظة

طوى الموت فى هذا الأسبوع آخر صفحة فى كتاب رجل فاضل من رجال الأدب والسياسة والأخـلاق فى هـذا البلد هو المغفور له الأستاذ دسوقى أباظه وزير المواصلات الأسبق وصاحب الأيادى البيضاء على الأدب والشعر والصحافة والمشتغلين فى ميادينها واللائذين بظلالها .

كان دسوقى أباظه رجل سياسة . ولـكنه لم يكن حزبياً عند نفسه ولاعند الناس . لأنه كان أديباً شاعراً يجرى الأدب والشعر فى أصول نفسه الفياضة بالحب والتواضع والجود . . فكان صديقاً للصحفيين على اختلاف مشاربهم حتى أولئك الذين كانت الاعتبارات السياسية تدفعهم إلى مهاجمته .

والأدب صلة تجمع صاحبها بالناس جميعاً . فلا تستطيع عـوامل الشقاق التى تفرق بين الناس أن تتغلب على تلك الصلة المتينة الرفيعه التى يظـل صاحبها مع الناس أجمعين و إن جنح فى بعض آرائه ومذاهبه إلى طائفة معينة تذهب فى آرائها إلى غير ما تذهب إليه جمهرة الناس . . .

وهكذا عمل دسوقى أباظه فى حزب الأحرار الدستوريين سنوات طوالا ، ولبث وفياً لحزبه ، وهو فى الوقت نفسـه وفى لـكل الناس حتى أولئك الذين قامت بين حزبه و بينهم حواجز العداوة والبغضاء . . .

وكان دسوقى أباظة شاعراً بلفظه . وحياته . وكان المال فى يديه يرخص فى سبيل الأدب والأدباء .

وكان إلى ذلك كله كاتباً ألمعياً ذا أسلوب بديع وطالما زينت « السياسة » صدرها بنقداته اللاذعة بتوقيع مستعار « الغزالى أباظة » .

وقد جاء موته فجأة فلم يمهله حتى يكمل رسالته . ومات كأنه شاعر حزين قضى عليه حزنه قبل أن يكمل القصيدة الأخيرة .

رحم الله الفقيد الكريم وألهم آله وعارفى فضله الصبر الجميل .

جريدة البلاغ
يناير سنة ١٩٥٣

وفاة رجل عامل

يحزن البلاغ كل الحزن أن ينعى إلى الأمة المصرية أحد سياسييها ومجاهديها المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه السكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين المنحل.. والبلاغ إذ تنعاه تنعى بمزيد الأسى والحزن رجلا من رجالات مصر العاملين وسياسياً من سياسييها الذين بذلوا فى سبيل خدمة بلادهم ما بذلوه من صادق التضحيات وعظيم الإخلاص وهو المرحوم المبرور الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة .

عاصر الفقيد الكريم الحركة الوطنية منذ نشأتها فى عام ١٩١٩ وكان له فيها جولات صادقة وصوت مسموع وحركة دائبة ولا يزال الكثيرون يذكرون كلماته التى كان يكتبها فى الصحف حينذاك ويوقعها باسم الغزالى أباظه ، فلما ألف حزب الأحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٢ انضم إليه .

وقد تولى إبراهيم دسوقى أباظه المنصب الوزارى غير مرة ، إذ كان وزيراً للشئون الاجتماعية ثم المواصلات والخارجية والأوقاف ، واختير سكرتيراً لحزب الأحرار الدستوريين وبقى فيه حتى صدر القانون بحل الأحزاب وكان ينوب فى مجلس النواب عن دائرة بردين بمديرية الشرقية .

وكان للفقيد الكريم ولع بالأدب والشعر فاحتضن كثيراً من الأدباء والشعراء يشجعهم ويشد أزرهم ويستمع إلى كلماتهم وإلى شعرهم فلما اجتمع نفر منهم وقرروا تأليف جماعة أدباء العروبة عرضوا رياستها عليه فقبلها ولم يمنعه

المنصب الوزارى ولا الانغماس فى شئون السياسة عن حضور اجتماعاتها وحفلاتها وتشجيع أعضائها بكل صنوف التشجيع .

وإذا كانت مصر اليوم تفقد بوفاته سياسياً من رجالاتها فقد فقدت النهضة الأدبية ركناً من أهم أركانها طالما أخذ بيدها وعمد إلى تدعيمها .

أنزل الله سكينته على الأباظية وأجمل عزاءها فى فقيدها العظيم وعوض الله مصر والعروبة خير العوض .

إبراهيم دسوقى أباظة

روعت البلاد بنعى الرجل العظيم فى أخلاقه وفى ماضيه وفى وفائه وفى تاريخه إبراهيم دسوقى أباظه ، فكانت جنازته معبرة عن مكانته فى نفوس عارفيه حيث كان موكب الجنازة يجمع بين مئات من كبار الساسة وأصحاب المناصب الحكومية ورجال المال والأعمال ورجال الأدب والصحافة والفن ، الجميع يبكون فى الفقيد أكرم الشمائل وأفضل الفضائل .

و (الصباح) تتقدم بالعزاء إلى الأستاذين نجليه الفاضلين و إلى حضرات أعضاء الأسرة الأباظية . كما تتقدم بالعزاء إلى نفسها حيث فقدت صديقاً عزيزاً كريماً وفياً مخلصاً تربطه بصاحبها أكرم وأوثق صلات المحبة والود والأخاء منذ بدأت الحركة الوطنية وآثر الاستقالة من منصبه ليكون مجاهداً حراً مع المجاهدين الأحرار .

جريدة الاهرام

يناير سنة ١٩٥٣

انطوى كتاب رجل عظيم

إبراهيم دسوقى أباظه

بالأمس انطوى كتاب رجل عظيم هو المغفور له الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه ومكانه فى عالم السياسة وفى عالم الأدب أشهر من أن يعرف .

لقد كان الفقيد فى صدر حياته من شباب الحزب الوطنى المتحمس . وله فى ثورة سنة ١٩١٩ موقف وطنى جليل ، فقد كان من أمضى أسلحة « الوفد المصرى » فى دعاياته ضد المحتلين .

واشترك رحمه الله فى تأسيس حزب الأحرار الدستوريين وفى الإشراف على تحرير صحيفته «السياسة» وصار سكرتيراً عاماً له وتولى باسمه الوزارة مرات .

وقد اشتهر بالرقة والسماح وحب الخير للصديق والخصيم على سواء وشغل طول حياته بالأدب والشعر ، وكان للشعراء أخا وأباً .

« والأهرام » تتقدم إلى أسرة الفقيد الكبير بأصدق العزاء وتسأل الله أن ينزله منازل الرضوان وأن يعوض الوطن خيراً .

مجلة الفداء

يناير سنة ١٩٥٣

فقيـــد عظيم

افتقدت مصر فى الأسبوع الماضى عظيما من أشد أبنائها غيرة على خدمتها والتفانى فى الذود عن حقوقها والعمل لصالحها فى ميادين السياسة والاجتماع بموت الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة وزير المواصلات والشئون الاجتماعية والأوقاف والخارجية السابق ويزيد فى الحزن على فقده أن وفاته جاءت مفاجأة لآلاف من عارفيه إذ لم يمهله المرض طويلا فقاضت روحه إلى بارئها راضية مرضية .

وتاريخ الفقيد يزدان بالكثير من الخدمات الجليلة التى أداها للبلاد فيما تخصص فيه ونبغ .

والأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه كانت حياته متصلة بالحياة السياسية وتطوراتها فى العصر الحديث وقد خلف وراءه آثاراً كثيرة فى مختلف الوزارات التى وليها ونهض بها كما كان جهاده الوطنى يشهد له بالثبات على الرأى والتضحية فى سبيل العقيدة التى آمن بها . . .

وكان للأستاذ أباظة صلة وثيقة بالأدب والأدباء وما تشجيعه للنهضة الفكرية وتنشيطه لها بعد تقلده لرياسة جامعة أدباء العروبة بخاف عن الأذهان . . .

رحم الفقيد العظيم وعوض البلاد عن فقده خيراً .

جريدة الأخبار الجديدة

يناير سنة ١٩٥٣

إبراهيم دسوقى اباظة

فقدت مصر أمس رجلا من رجالها العاملين . الذين بذلوا جهودهم فى سبيلها وساهموا بنصيب موفور فى نهضتها هو المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة .

فقد عاصر الراحل الكريم الحركة الوطنية منذ سنة ١٩١٩ وأسهم فيها بنصيب مشكور بما كان ينشره فى الصحف من كلمات تفيض بالوطنية الصادقة والحماسة المشبوبة .

وللفقيد الكريم أياد مذكورة على الأدب والأدباء فكان يقربهم إليه ويشجعهم ، أفاض الله على الفقيد الكبير رحمته وأنزله منازل الأبرار جزاء ما قدم لبلاده من جلائل الأعمال ، وما أدى لوطنه من واجب فى إخلاص وكفاية .

مجلة شيخ الصحافة
يناير سنة ١٩٥٣

علم من اعلام الجهاد !

نعى إلينا علم من أعــلام الجهاد فى مصر منذ الحركة الوطنية وهو المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة الموظف والنائب والوزير والسياسى ، وقد وافته المنية على أثر مرض مفاجىء فذهب مبكياً عليه من الجميع ومن عارفى فضله .

وقد احتفل بجنازته ونقل جثمانه الطاهر إلى بلدته غزالة حيث ووري مقره الأخير رحمه الله رحمة واسعة ـ ونقدم أصدق العزاء للأسرة الأباظية الكريمة .

وكان الفقيــد ينفق أثنــاء الأزمات من جيبــه الخاص على حزب الأحرار الدستوريين .

مات

الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه

السكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين

علمنا مع الأسف بوفاة الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة وزير المواصلات ، والسكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين السابق ، ورجل الأدب المشهور ، والذى سار شوطاً كبيراً فى الحياة السياسية ؛ وتمتع بالتقدير العام .

وقد شيعت جنازته أمس بالقاهرة .

تخرج المرحوم فى كلية الحقوق وفى أثناء قيام الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ . كان الفقيد عضواً فى نيابة الجيزة ، وبهذا الوصف أجرى تحقيقات فى فظائع القوات البريطانية « بالعزيزية والبدرشين » وقد سجل هذه التحقيقات فى تقرير وضعه تحت تصرف السلطات المصرية ، ثم ترجمها إلى الفرنسية والانجليزية . وكانت سنداً هاماً فى القضية الوطنية ، وفى هذه الظروف ترك الوظيفة الحكومية وأصبح عضوا عاملاً فى الحياة السياسية

وفى عام ١٩٢٢ انضم إلى حزب الأحرار الدستوريين حتى صار سكرتيرا عاما له ؛ وكان أول وزير للخارجية يتنازل عن مرتبه الإضافى وهو مايوازى مرتب وزير .. قائلا : أنه يكرم ضيوف مصر من ماله الخاص لأنه يعتبر هذا العمل واجباً وخدمة للوطن .

جريدة المصرى
فبراير سنة ١٩٥٣

مضت الأربعون

أربعون يوماً مضت على فقد هذا الرجل الذى عاش لوطنه ، ومات فى سبيل وطنه وهكذا تمضى الحياة أياماً وأعواماً ، وإنها مهما تطل لن تنسينا أبداً دسوقى أباظه والمثل النبيلة التى كانت تتجلى فى شخصيته وفى أخلاقه ، بل أنها لن تزيدنا إلا إحساساً بفقده وإدراكا للفراغ الذى تركه من بعده .

أربعون يوماً مضت على فقد المغفور له إبراهيم دسوقى أباظه . فما كشفت هذه الأربعون فى حديث الناس على اختلاف طوائفهم إلا عن صفحات مشرقة فى تاريخ ذلك الفقيد العظيم احتسبها فى خدمة وطنه وأمته ، وإلا عن شخصية كانت تكافح الحياة لخير الناس لا لنفسها . فلا غرو أن بكته كل عين ودمع فيه كل قلب . وتلاقى على العزاء فيه جميع المواطنين . . . .

لقد احتفلت أسرة الفقيد ليلة أمس بإحياء ذكرى الأربعين له فى بلدة غزالة بالشرقية . وأقيم لذلك سرادق كبير توافدت عليه الجموع من شتى أنحاء الشرقية وفى مقدمتهم مدير الشرقية وكبار الشخصيات فيها ثم من القاهرة وفى مقدمتهم الدكتور محمد حسين هيكل ، وكان أعضاء الأسرة الأباظية يستقبلون الوافدين للعزاء ، وقد أخذ الخطباء والشعراء يتتابعون فى تأبين الفقيد .

ثم استمر مشاهير القراء يتلون آيات الذكر الحكيم إلى ساعة متأخرة من الليل .

وان « المصرى » ليكرر العزاء إلى أنجال الفقيد العظيم وإلى الأسرة الأباظية . جميعها ويسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه . وأن يثيبه ثواب الشهداء والصديقين لقاء ما قدم من عمل فى الخير والبر وما بذل لوطنه وأمته من جهود وتضحيات .

جريدة المصرى

فبراير سنة ١٩٥٣

للأستاذ ثروت اباظه

نجل الفقيد الكريم

لا أملك اليوم غير كلمة شكر أزجيها إلى هؤلاء الذين شاء لهم كرم خلقهم أن يواسونى فيما أصابنى به الدهر — غير أنى أحس بالقلقلة فى هذا الشكر: فقد كانوا جميعاً معى فى المصاب مثلى . . . حزنى حزنهم وألمى ألمهم ودموعى دموعهم . . . أحسوا باليتم ، كما أحسست فتبادلنا العزاء ولم يفد ، وحاولوا أن يصبروا نفسى على ما أصابها وحاولت أن أصبر نفوسهم على مالا قبله فلم يجدنى قولهم أصبر . وما أجداهم قولى صبراً و بدنا نحمل اليتم والحزن والألم بغير معين فجميع من رأيتهم لا يملكون من نفوسهم المشتتة إلا الدموع المسفوحة والقلوب المحطمة ، ولا يملك أحد أن يخفف المصيبة على صاحبه .

كلمة الشكر إذن كلمة عاجزة تقتحم لنفسها طريقاً ليس لهـا وتصدر عن غير خليق بقولها إلى قوم يكبرون أن يسمعوها .

أأقول شكراً لهؤلاء القوم الذين تدافعوا لا أعرفهم ولا يعرفون . . . سمعوا عن الفقيد فمشوا يشيعون هذا الاكتمال الذى أقام فى دنيانا حيناً ثم زهد فيها .

أأقول شكراً فحسب ؟ ما أعجز الكلمة وما أغناهم عنها ! ؟

أأقول شكراً لهؤلاء الأكرمين من أبناء الصعيد الذين أقاموا المآتم وذكرى الأربعين « بإسنا » فى الصعيد . . . ما وقف بهم هذا عن أن نضج فى المصاب سواء اتحدت أرواحنا فى تلقى الرزء وما منع هذا الاتحاد نفوسنا أن تصبح شتاتاً بدداً من هول ما نرى .

هيه أيها الاخوان أأقول شكراً .. أشكراً فحسب ، صغرت كلمة وكبرتم قوماً.

أأقول شكراً لكل فرد جاء أو تعذر مجيئه فأرسل الكلمات من قلبه تقطر أمامنا دماً ودموعاً .

أأقول شكراً لهذه الجريدة التى أكتب بها جريدة « المصرى » أيجديها منى الشكر أو يجدى أفرادها الذين أفاضوا على كرمهم ؟ ولكن أيها الإخوان إن الأسرة لا يشكر فرد منها فرداً فاسمحوا لى أن أكتم عنكم هذا الشكر فى نفسى .

أأقول لهذه الجماعات التى أقامت وتقيم حفلات التأبين . . . هل أملك إلا هذه الكلمة القصيرة « شكراً » وهل ينتظرونها ... إنهم مثلى أبناء أو هم إخوان يعزى الواحد منهم صاحبه ولا شكر بينهم ولا لهم .

كلمة ضئيلة كلمة الشكر هذه ولكنى لا أجد غيرها وما بغريب أن أعجز اليوم فهو يومى الأسود فعذراً من لدنكم وأنتم بعذرى أدرى وحسبى الله ! ! !

شكر الأسرة الأباظية

تتقدم الأسرة الأباظية بموفور شكرها وبالغ تقديرها للأمة المصرية الكريمة ممثلة فى مختلف أفرادها وطوائفها وبيئاتها على الفضل العميم الذى أضفته عليها بمواساتها الكريمة فى وفاة كبيرها العظيم المغفور له الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة .

وإن كان للأسرة أن تخص بشكرها أحداً فلن تخص كبراء البلاد وأعلامها من زملاء الفقيد العظيم ولا أصدقائه الكثيرين وحدهم الذين عرفوه فقدروا فضله وجهاده فى سبيل بلاده منذ صدر شبابه إلى أن اختاره الله لجواره فحسب وإنما ترفع عميق شكرها وصادق تقديرها لأولئك الألوف الذين تدافعوا ليواسوها فى فقده من غير أن تجمعهم به رابطة ماسة أو وشيجة واصلة تكريماً منهم لفضيلة الإنصاف والوفاء وشهادة منهم بفضل عميم لمسوه فيه يعلمونه ويعلم الله العالم بالنجوى وما تخفيه الصدور وكفى بالله وكيلاً . وكفى بالله شهيداً .

صدق قوله تعالى « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » ويبتهلون إليه جلت قدرته أن يجزى كل من واساهم فى مصابهم الأليم أحسن الجزاء وأن يقيهم عوادى الزمان .

قصيدة الأستاذ فؤاد شاكر

تشريفاتى بمحفل عاهل الجزيرة العربية

هتف الشعرُ ، فانصتوا للهتافِ ... لستُ أدرى ، أمْ ذاكَ نوحُ القوافِ
كلَّما أنَّ موجعٌ أو حزينٌ ... خلتُ ذاكَ الأنينَ ، ذوْبَ شغافى
ما احْتيالى ، وما احْتيالُ رِفاقى ... فى كؤوس قدأُترعَتْ منْ زُعافِ
قدَّرَ الناسُ فى الحياةِ أموراً ... أمعنَتْ فى الخيالِ والأطيافِ
وإذا الأمْرُ مثلماَ قدَّرَ اللهُ ... على خلقهِ ، دقيقٌ وخافِ
طافَ ساقى المنَى بكأسِ المنَايا ... فسقانا زُعافَه ، فى سُلافِ
أىُّ خطبٍ دَهى العروبةَ والضَّادَ ... فشدَّتْ أوصالَها منْ خِلافِ
يَوم أوْدَى أديبُها الألمعىُّ ... الفذُّ ، واغْتالَه الحِمامُ الموافى
فُجعَ الشعرُ فى النبيلِ المرجَّى ... فِى الكريمِ الأخْلاقِ والأوصافِ
بِتُّ أخْشَى على القريضِ نُضُوباً ... منْ جفَاه ، وكبْوةٍ منْ جَفافِ
بت أخشَى عَلَى البيانِ من العدمِ ... ومنْ رقةِ السنينَ العِجَافِ

* * *

ويْحَ نفْسِى قدْ أثقلتْها شجونٌ ... تتوالَى ، مَا إن لَهَا منْ تَلافِ
فى هموم كأنها قِطَعُ الليلِ ... سَواداً ، موْصُولةُ الأسْدَافِ
كُلَّ يومٍ يُنعَى إلى صديقٌ ... بانتهابٍ ، وتارةً باخْتطافِ

ألقى الشاعر المعروف هذه القصيدة التى كانت موضع التقدير فى الاحتفال الذى أقيم بجمعية الشبان المسلمين .

ألفُ لهفي : فأين منا « دُسُوقي » ومجاليـــه ، ندوةُ الآلاف
إنهُ الكعبةُ التي كانَ فيها موضعُ الرّكنِ ، واستلامُ الطَّواف
أمةٌ وحْدَهُ ، وصدْرٌ رحيبٌ وجلالٌ موطأُ الأكناف
حَسَبٌ باذخٌ تناهى إليه مَنْ كعدنانَ أو كعبْدِ مَناف
يُرسِلُ النظرةَ الحصيفةَ في الرأي فتمضي به إلى الأهداف
فإذا ما رأيتَه فقَوامٌ سمهريٌّ ، في رقَّةٍ وانعطاف
كالقنا في اعتدالِه وهْو في الحزْ مِ ، وفيما يُمضيه ، كالأسْياف
أريحيُّ الوجْدانِ ، طلْقُ المحيَّا كاملُ السمْتِ طيِّبُ الأعراف
وإذا ما سَمِعتَهُ فبيانٌ كخفيفِ النسائمِ الشَّفَّاف
وإذا ما أفاضَ فالقولُ سِحْرٌ دافقُ المَوْجِ ، ثائرُ الرَّجاف
وإذا ما طلبْتَه فعظيمٌ شامخٌ ، في تواضُعِ الأشْراف

* * *

أينَ منَّا صدْرُ الندىِّ ، «دسُوق» وهْو زَهْرٌ ، في الروْضَةِ المِئْناف
كم سُقينا رَحيقَه في بَيانٍ بانتهالٍ ، وتارَةً بارْتِشاف
كمْ نعِمْنا في روْضِه بائتناسٍ من حديثٍ مُسلْسَلِ الوُدِّ صَاف
قد فقدْنا بفقْدِهِ عبقريًّا طائراً صيتُه مهيبَ الطراف

* * *

يا بني مصْرَ ، بَلْ ومالي لا أدْعُو بني الضَّادِ في الرُّبَى والقَيافي
جلَّ عنْ مِقْولي وفاقَ بَياني ذلك الخطبُ حينَ مَسَّ شغافي
غاضَ مِنِّي البيانُ يوْمَ « دسُوق » فَخذُوني مُقصِّراً باعترافي

وفاء

للدكتور ابراهيم سلامة

اجتمع الشعراء فى القديم حول المسجى العظيم ، وسلك كل شاعر مسلكه فى تمجيد محامده ، والإشادة بمآثره ، والشعراء مغرمون بالمديح ، والمسجى كان يحب من الشعر جيدَه ، أنى كانت وجهته ؛ فكما قالوا فى حياته « طود شامخ » قالوا فى مماته طود دُكّ ، وطود هوى ! وكما قالوا فى حياته « علم رافع » قالوا فى مماته طُوى العلم فانطوى ! وكما قالوا عنه حياً «علم فى رأسه نار » قالوا عنه مُدْرجاً، انحدر العلم إلى الوادى ، وخبت النار . وكما لم يرضَوا فى حياته أن يمدح بالكلم فنظموا الكواكب عقود مدح ، أشاحوا بوجوههم و برموا بهذا النقاد العاتى الذى يختار الجياد من الجواهر . جرى الشعراء فى أمر المسجى بعد الحياة ، بما كانوا يقضون فى أمره أثناء الحياة : يمجدون عظمة ظاهرة ، وسلطة قاهرة ، يبكون فيه دهراً سالفاً ، وعزاً سابقاً ، وذكراً عزيزاً .

وتلت هذه الطائفة طائفة أخرى ، وقفوا على حفرته ، كما طالما أطالوا الوقوف فى حضرته ، وصمتوا عند جلال الموت ، صمتهم أمام عظمة الحياة ، وكان صمتهم فى الأولى من الخشية والرهبة ، وصمتهم فى الثانية من العظة والعبرة ، و بينهما يجد الشعراء ما يقولون : فالبلاغة كلام ، والبلاغة صمت ، ورب صمت أغنى عن كلام ، ورب صمت كان دونه الكلام .

و بكت طائفة ثالثة هذا العظيم الذى غُيبَ فى رحمة الله ، كما يبكى العطاش أمام العين الثرّة غطتها الرمال ، فغيض الماء ونضب المعين ؛ وهم يدورون حول

هذا المعنى ، ويدورون به ، فقد أجدب خصبهم ، وأقوى ربعهم ، فمن للحياة ؟ ومن للسقيا ؟ ومن للمعتفى ؟ ومن للمستسمح إذا كان الـ ـح قد انحدر فى المغيب ، واصفر الزهر ، وجف الندى ! !

وفلسف بعض الشعراء هذا المعنى ليكون مجـديًا على النقد وعلى الأدب ، فقال ذهبت السماحة ، وذهب السمح ، ويحار الشاعر ويضطرب ! أمات السمح الكريم ؟ أم مات مذهب السماحة والكرم ، فأصبح الناس بعده لا يعرفون للسماحة مذهبًا ولا سبيلا !

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون ، أمَذهب أم مُذهب

كل هذا أو بعضه كان يقال . ولكن شاعرًا من الشعراء كان منزويًا فى ركنه منطويًا على همه ، شادًا على قلبه بكلتا يديه ، وكان صدره ضيقًا حرجًا بكل ما قيل ! إذ لم ير فيه ما يدل على المسجى ، وما يبرز منه مثاليته النادرة ، فقد وجد أن الشعراء بعيدون عن غور نفسه ؛ بقدرما هم قريبون من فنيتهم الشاعرة التى تمدهم بالألفاظ والأساليب أكثر مما تمدهم بالحاسة والعاطفة ؛ كان يعرف المسجى معرفة نفسية ، وكان يمدحه حيًا من شعوره ، لأنه كان فيه يمجد شعوره ، وكان يقدره من نفسه ، لأنه قدر فيه نفسه ، وكانت وحدها التى تدفعه إلى أن يفيض على الناس بخير الخلق ، وبخير ما يرجون .

انفلت الشاعر بعيدًا عن الشعراء ، واختلط بالغمر من النـاس الذين كانوا يعيشون على خير المسجى وبره ، وبكى مع الباكين ، فوجد فيهم العانى ، يبكى من يُعين ، ووجد فيهم الطاوى كان يطرق بابَه فيرجع بالحياة ، ووجد فيهم نائى المزار يقطع السبل إليه ، فينفض عن وجهه المُغبر غبرة السفر ، وقترة الحياة المرهقة ، ووجد فيهم الملتاع جاء عائدًا فرجع مشيعًا ، وبين العيادة والتشييع تلك المسافة

القصيرة التى سماها الصبر والعزاء أجلا انقضى ، وقضاء حُم ووقع . ووجد منزل المسجى يمج بالناس ، كأنهم من رفده وخيره على موعد .

سكن الشاعر إلى هؤلاء ، أكثر مما سكن إلى إخوانه الشعراء، وتسمع إليهم فسمعهم يذكرون شبابه ورجولته وما بينهما من صفحات تمجدها الناس للماجدين . وهنا وجد مادة رثائه ، ووقع على مكمن اللوعة ومكان المناجاة ، فجاشت شاعريته ، وامتلأت عاطفته ، واخترق الجموع إلى المسجى يزاحم عليه الشعراء ، وأخذ يناديه ، بعد أن كان يناجيه ، فرآه حيًّا فى المناداة ، كما كان حيًّا فى المناجاة، فرثاه بما يعرف، وبما يعرفه الناس ، وبما بكى ، وبما أبكى عليه الناس ، فقال :

ليبكك عانٍ لم يجدْ من يعينه ... وطاوى الحَشَا نَأْيِ المَزارِ غريبُ
حبيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشيانُ بيْتِهِ ... جميلُ المحيَّا ، شبَّ وهو أريبُ
حليف الندى ، يدعو الندى فيجيبه ... قريباً ، ويدعوهُ النَّدَى فيُجيبُ
حليمٌ إذا ما سورة الجهل أطلقت ... حُبى السيب ، للنفس الجموح غلوبُ

هذا موقفى منك أيها الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان ، فما أرثيك إلا بما كنت أمدحك به ، وما مدحتك إلا بما رأيت فيك .

لقد طلبوا منى الرثاء فقلت لا أقدر ! قالوا قد مدحت ! قلت الفرق كبير بين المدح والرثاء ! قالوا بين المدح والرثاء مسافة قصيرة ! فقل كان بدل أن تقول يكون أو سيكون ! قلت أراه دائماً أمامى، فما أستطيع أن أقول كان وهو حىّ فى موته، وحىّ فى حياتى !

ما زلت أراه يشق الفضاء بطول فارع ، ويضيئه بابتسامة غامضة لازمة ، فيها معرفة الحياة ومعرفة المصير : استمعْ إليه متحدثاً تر حديثه ابتسامة على شفتيه ، ورضاً فى طمأنينة صوته ، وكل كلمة تخرج من فيه تداعب آلامك لتكون أملا ،

وتداعب ترددك ليكون رجاء ، وتداعب نفسك كلها ، لترضى عن نفسك ، ثم لترضى بعدُ عن الحياة !

وهو لا يقف منك هـذا الموقف الشعرى ، بل يقف أيضاً موقف الرجولة ، يقيم ما يريد أن ينقضّ منك ، ويَسند بقوة ما يلمح أن الآلام ستهدم منه ، ويقع من نفسك غيثاً كريماً على التربة شققها الجفاف ، واستنزف ماءها اللفح ، وغيّر معالمها سافى الريح ، وصوح بأوراقها اختلاف الأعاصير !

ثم ألمحه ثانيـة إذا غضب، تراه كالمتردد الحائر بين نفس حسّاسة تريد أن تغضب لأن هناك ما يُغضب ، ونفس لا تقل عن الأولى حساسية تعاصيه وتحجزه ، وهو تائه بين النفسين ؛ وتلمح الحيرة على شفتيه ترتعشان فلا تدرى إذا كانت رعشة الابتسامة أم رعشة الألم، ووجهه من أثر الانفعالين وجه البرىء، عابساً باسماً! يغيم ويضحى ! ثم لا يلبث البريق أن يشع فى جو نفسه فترضى !

يسرك مظلوماً ويرضيك ظالمًا ... وكلٌّ الذى حَملتـــه فهو حامله

إذا القومُ أمُّوا بيتـــه فهو عامدٌ ... لأحسنِ ما ظنوا به ، فهو فاعله

إذا جدَّ عنـــد الجِدِّ أرْضاكَ جِدُّهُ ... وذو باطلٍ ـ إن شئت ـ أرضاك باطله

إن « دسوقى » كان جوًّا مريحاً ، تستريح إليه كما يستريح المهجّر إلى الظل ، وترتوى من عذوبة نفسه كما يرتوى المحرور عَصَبَ ريقه ، وشرق حلقه ، ثم وجد ما يعتصر به من ماء .

كان « دسوقى » فى مكان بعيد من نفسه بعيـدة الهمة ، وكان فى مكانة مما شرُف به فى نواحيه الاجتماعية ، فإذا قابلته على غير تعارف أدناك من نفسه ، وكلما أدناك تلطفه أبعدتك مكانته ، فهو كالمُثل العليا تزداد منها ابتعاداً ، كلما

ازددت منها اقتراباً . وكان إذا شعُر بابتعادك ، أرسـل إليك أشعة من ابتسامة تتسلق عليهـا حتى تصل إلى مشرق النور فى نفسه ؛

كان عظيماً بالخلق، وكان كبيراً بالخلق، وهو فى كل ما يعمل يصدر عن طبيعة صريحة لا موار بة فيها ولا التواء . خلق طبيعى ركب فيه ، وركب منه ، تجده فى أخلاقه ، كما تجد العبير فى الزهرة ، والحرارة فى الشمس ، والضوء فى الشعاع ، وكما تجد البراءة فى الجمال ، وكما تحس الارتياح فى الفضيلة ، وكما تجد رعشة الانفعال أمام المناظر الجميلة ، ومن هنا تتصف أخلاقه بالجمـال ، كما تتصف أعلى مبادىء السلوك بالحق والخير والثبوت .

و بعدُ فإن الاسترسال فى هذه السبيل يؤذينا فى عواطفنا، ويَهيضنا إلى ما بنا ، فأحمد الحالات أن نرجع إلى بارئنا ، فقد حل ما لا يُدفع، والجزع مما لابد منه تمرد على القـدر ، والمسئول الله الذى ابتلانا بفقده أن يجعل سبيل الخير فى أولاه ، سبيلَه إلى النعيم فى أخراه .

فالعزاء لأخويه ، والبقية الصالحة فى ولديه ، فكل من حولكم إخوة وآباء .

وأرجع فأقول إن من ترك هذه القلوب حولكم ، ومعكم، لجدير بأن يبكى عليه ولا ينسى !

ذكريات . . .

للأستاذ سامح أباظة

. . مضى عام وما زال فى كل قلب هلعة ، و بين كل جفن عبرة . .

لم تهدأ زفرات الحزن ، ولم تنقض آلام الذكريات .

إننا نسترجع من هذا السجل الحافل الخالد ما يجعل حزننا يزيد على مر الأيام فإن فى كل ركن أثراً ، وعلى كل ناحية دروساً وعبراً . .

و إنه لموقف أليم على نفسى أن أسطر فيه رثاء ، فلن يقوى قلمى على الرثاء ، إنه ماثل فى خاطرى يملك علىّ شعوري وحسى ، إننى أستوحيه فى كل خفقة من خفقات قلبي ؛ وكل نبضة من نبضات ضميرى . .

إنه يجل على الرثاء ، لأن أعماله ومآثره تتحدى الموت أو الفناء .

و إنى لأتمثله شاباً فتياً وهب نفسه للعلم والوطنية ؛ فهو يؤمن بحق بلاده إيماناً بحق نفسه ؛ فإذا كانت لنفسه عليه حقوق العلم ، والتثقيف . . فلوطنه عليه أيضاً حقوق العمل على تخليصه من المستعمر الغاصب . سافر وهو طالب بالحقوق إلى أوربا يدعو إلى تحرير بلاده فنشرت له جريدة « الطان » الفرنسية وهى من أوسع الجرائد انتشاراً مقالات وطنية ؛ يوضح فيها أحقية المصريين فى استقلالهم ثم انقضت أيام دراسته فخرج إلى حياته العملية ؛ يريد أن يحرر وطنه ، فما إن عمل مأموراً للضبط بمديرية الجيزة حتى اتخذ من عمله أداة لإثبات حق بلاده ، و إظهار هذا الحق المغلوب ؛ فكانت تحقيقات البدرشين والعزيزية والشوبك محاضر

رسمية سجل فيها فظائع الإنجليز ، وطبعها على نفقته الخاصة ؛ وترجمت إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية .

وقدم إلى المحكمة العسكرية الإنجليزية فأثبت أنه هو المسؤول عن طبع هذه التحقيقات وقد قدمت بشأنها أسئلة بمجلس العموم .

كانت هذه التحقيقات من أقوى الأسانيد ضد الإنجليز فى مفاوضة محمد محمود — هندرسون . .

وهنا تترابط حلقات جهاده الوطنى فيستقيل من الوظيفة بعد إعلان إضراب الموظفين بمديرية الجيزة — وهكذا اتسمت كل أعماله بسمات الوطنية الحقة يؤيد كل من يعمل لتحرير مصر ولو كان من خصومه فى الرأى .

فعندما أعلن إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فى أكتوبر سنة ١٩٥١ دعا شيوخ الشرقية ونوابها وأعيانها إلى اجتماع عام بداره « بغزالة » وطلب منهم إنكار ذواتهم وحزبيتهم ؛ ودعاهم إلى التكتل لمواجهة المستعمر . وفى هذا الاجتماع تألفت اللجان التى تولت الإشراف على معركة القنال من كافة الوجوه دعا إلى ذلك فى الوقت الذى كان فيه زعيما للمعارضة بمجلس النواب فى الحكومة الوفدية التى كانت تتولى الحكم حينئذ . .

كان مناضلا من طراز فريد ، اتخذ من ساحة المجلس النيابى ميداناً لصولاته وجولاته يدافع عن الحق ، ويدفع الباطل ، ويوجه الأمور ، إلى أمثل الغايات والمقاصد ، . . .

وفى عام ١٩٢٦ ، استقبلت الحكومة اللورد لويد استقبالاً رسمياً ، فانتقد دسوقى أباظة، ولفيف من أعضاء مجلس النواب ، الحكومة وهاجموها هجوماً عنيفاً . وكان لكلامه وقع أى وقع فى نفس سعد زغلول ، الذى قال له على أثر سماعه

خطبته . . ! ! لقد كنت أعلا الخطباء كعبا ، وكنت أود أن تطيل ، فقد كان صوتك فى أذنى كالموسيقى . . ! !

وفى عام ١٩٣٧ ، قدم استجواباً عن القمصان الزرق واستجواباً آخر عن الطلبة والتنكيل بهم وسوء معاملة الحكومة لهم وهاجت الأغلبية الوفدية تريد منعه من الكلام .

وتكرر الموقف ذاته عندما قدم استجوابه عن الاستثناءات فى سنة ١٩٣٧ وفى سنة ١٩٥٠ وعندما اجتاحت مصر موجة الاعتقال السياسى فى وزارة الوفد سنة ١٩٤٢ كان الراعى لبعض أسرار المعتقلين يساعدهم بكل ما فى طوقه ، حتى إذا ما كثرت حوادث الاعتقالات قدم استجواباً بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٤٤ عن الوسائل التى يعامل بها المعتقلون السياسيون . . وفى هذا اليوم الذى حدد فيه نظر الاستجواب ألقت الحكومة القبض على الأستاذ مكرم عبيد .

فوقف دسوقى أباظة فى مجلس النواب قائلا : « حددت الحكومة هذا اليوم لمناقشة الاستجواب كما حددته للقبض على مكرم عبيد ، والاستجواب كما هو معروف اتهام موجه للحكومة وإرشاد لها لتكف عما هى مقدمة عليه ، ولكن اتضح الآن جلياً أن الحكومة سائرة فى طريق العبث والاستهتار .

وأحب أن أقول لكم أننا جميعاً متضامنون مع مكرم فى كل عمل دعا الحكومة للقبض عليه فلتقبض علينا الحكومة ، ولتلق بنا فى المعتقلات فلن يضعف هذا من قوتنا ، ولن يخمد من عزيمتنا ، بل إنه سيكسبنا جهاداً وجلادا » .

ودعا المعارضة للانسحاب احتجاجاً على هذا الإجراء ، وقد قال له الأستاذ كامل الشناوى بعد الجلسة « ما رأيت موقفاً كهذا الموقف ولا شاهدت جرأة كهذه الجرأة ، لقد كدت من فرط إعجابى أن ألقى بنفسى من شرفة الصحفيين لأقبلك إعجاباً » .

وفى ساعة متأخرة من مساء هذا اليوم حاصر منزل دسوقى أباظة عشرات من ضباط البوليس السياسى وجنوده وراحوا يفتشون فى كل مكان عن المنشورات التى كانت تصدرها « جبهة المعارضة » وقد قال لهم « إن الإنجليز فتشوا بيتى بالقاهرة وبالريف فى ثورة ١٩١٩ سبع مرات ، ومع ذلك فقد كانوا أكثر منكم لباقة . أما عن المنشورات فليس فى بيتى منها شىء لأنها وزعت فى كل مكان ، وعندما تطبع منشورات جديدة سأخبركم بذلك » .

وبعدئذ جاءه رسول من قبل المرحوم أمين عثمان وزير المالية وقتئذ يخبره بأن النية كانت متجهة لاعتقاله لولا أنه هدد بالاستقالة فأجابه دسوقى أباظة « أرجو أن تبلغه شكرى وإن كان قد حرمنى من شرف عظيم » ولما أرادت حكومة الوفد أن تسلب مجلس الدولة اختصاصه ثار لذلك معترضاً لما يراد بالحريات من أذى وإضرار . . وطالب الحكومة باحترام الأحكام الصادرة من مجلس الدولة بالعمل على تنفيذها . . وقد انضم إليه فى ذلك بعض النواب المؤيدين للحكومة وعلى رأسهم المرحوم عزيز فهمى . .

وكان لمثل هذه التصرفات تأثير نفاذ فى قلوب النواب حتى تعلقوا به . .

أذكر من ذلك مثالا فى عام ١٩٣٤ رشح نفسه لوكالة مجلس النواب ورشحت الحكومة ضده الأستاذ وهيب دوس وكان واضحاً قبل الانتخاب أن النواب سينتخبون دسوقى أباظة لهذا المنصب فدعاهم المرحوم عبد الفتاح يحيى — رئيس الحكومة ورئيس حزب الشعب — وقال لهم « أن انتخاب دسوقى أباظة نحد صريح من المجلس للحكومة و إعلان لفقدان الثقة بينهما » ودعاهم إلى عدم انتخابه ولكن حدث ما لم يحدث فى برلمان مصرى من قبل أو بعد ، حدث أن انتخب دسوقى أباظة لوكالة مجلس النواب على الرغم من حكومة مجلس النواب . . . كما انتخب لهذا المنصب قبل ذلك و بعد ذلك عدة مرات . ولم يكن حب النواب

له إلا صـورة من صور الحب العميق الذى كانت تكنه له قلوب ناخبيـه .

فلقد منحوه ثقتهم فى كل معركة خاضها منذ بدء الحياة النيابية وهو الوحيد بين السياسيين الذى مثل دائرته فى جميع أدوار مجلس النواب، فلقد تأكدت بينه وبين ناخبيه أواصر الألفة والوفاء .

كان يسعى إليهم فى أحزانهم وأفراحهم ويتعرف أحوال كل منهم ؛ متبسطاً متواضعاً .

فى وباء الكوليرا ذهب إليهم الوزير . . دسوقى . . غير هياب من خطورة الوباء ؛ ماداً يد المعونة لكل منهم حتى أصبح حبهم له عقيدة لا يزعزعها وعـد أو وعيد . .

وما معركة الانتخاب الفرعى سـنة ١٩٤٣ ببعيدة عن الأذهان فقد حاربته الحكومة فى دائرته وكانت الأحكام العرفية معلنة فى البلاد بكل ما أوتيت من قوة وبطش وإرهـاب . . ولكن أهالى دائرته الذين لا يؤثر فى ولائهم له بغى ولا طغيان أجمعوا على الثقة به . وفاز فى الانتخاب فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٣ مضحين فى ذلك بأرواحهم التى أرخصوها فى سبيل فوزه وانتصاره . .

ولم يكن دسوقى أباظة الوزير إلا دسوقى أباظة النائب . . سماحة وإشراقاً يطالعان نفسك عند رؤيته ، وتواضعاً مع إجلال يملآن عليك مشاعرك . . لم يرد سائلا ، ولم يخيب آملا ، وإنما هو البذل والمعروف فى أوسع وأرفع معناه .

ولطالما لاح الوزير لناظرى ... وكأنه فرعون ذو الأوتاد
إنى غدوت بفضل بسمة ثغره ... ألقى الوزير ولا يدق فؤادى

تلقفته المناصب الوزارية، فمن وزير للشؤون الاجتماعية ، إلى وزير للمواصلات إلى وزير للأوقاف إلى وزير للخارجية .

وفى وزارة الشئون الاجتماعية أنشأ كثيراً من المراكز الاجتماعيـة وعمل على تعميمها مساعدة للفقراء ؛ كما أعان الجمعيات الخيرية .

وعندما تعرضت مصر لخطر الغارات الجوية وهاجر من المدن الساحلية الكثير . . أراد أن يحصن هؤلاء المهاجرات — صوناً لهن من الرذيلة — ففكر فى زواجهن وكان يدفع مهورهن من جيبه الخاص ويقدم لهن الهدايا عند الزواج .

أما فى وزارة المواصلات فقـد قام بتحسين ميناء الإسكندرية وكان هذا التحسين مشروعاً فى خيال الحكومات طيلة ستة وعشرين عاماً ، كما أنشأ مدرسة البحرية التجارية لتخريج ضباط السفن ومصر الوظائف بالوزارة ووصـل مصر بالسودان بالتليفون اللاسلكى كما استرد سكة حـديد العريش رفح من الإنجليز وقد ظلت تحت أيديهم يستخدمونها ، ويستغلونها خمسة عشر عاماً بعد أن كلفت مصر الملايين .

ومن تضحياته بوزارة المواصلات ، أنه تنازل عن خمسين جنيهاً شهرياً قيمة مكافأته لرئاسة النقل المشترك بالاسكندرية وقد دون ذلك فى محضر الجلسة الرسمى كما تنازل عن حقه المخول له قانوناً فى منح التذاكر المجانية على سائر الخطوط ، وفى سائر الدرجات عدا الدرجة الثالثة التى استبقى حقه فى منحها للفقراء والمحتاجين كما تنازل عن حقه كوزير للمواصلات بمقتضى المدالية الذهبية فى نقل البضائع بالسكة الحديد بالمجان وعند ما عرض عليه المهندس محمد الزرقا مدير مصلحة الطرق سابقاً رصف الطريق الموصل إلى بلدته « غزالة » أنذره إذا أقدم على ذلك . .

أما فى وزارة الأوقاف فقد وضع لا تحة تنظيم داخلى لها لأول مرة وهى الآن معمورة باسمه ومصدق عليه من البرلمان ، كما أنشأ كثيراً من المستشفيات لعلاج المرضى من الفقراء ونظم ترتيب الإعانات للمحتاجين .

أما فى وزارة الخارجية فقد تولاها بالإنابة و بالأصالة فى أوقات عصيبة عرضت فيها قضية مصر على مجلس الأمن ، فكان خير من قام بالعبء على أكمل وجه وكم كان يقيم المآدب فى داره لرجال الهيئات الدبلوماسية على حسابه الخاص دون أن يكبد الدولة شيئاً وعند ما عرض عليه الأستاذ يحيى حقى بأن يوقع بموافقته على بدل التمثيل المقرر له كوزير للخارجية تنازل عنه ، وقدره ألفان وخمسمائة جنيه سنوياً وعندما حذروه بأن ذلك يعتبر تقليداً مقيداً للوزراء بعده ، أجابهم « هذه مسألة تقديرية ولغيرى أن يقبل أو يرفض إذا شاء » .

وكان هو وزير الخارجية الوحيد الذى تنازل عن هذا الحق ، كما رفض أن يتقاضى بدل السفر عند ما سافر إلى لبنان فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ لتمثيل مصر فى مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية بل ذهب إلى أبعد من هذا بأن حرم الأستاذ أحمد علما الذى رافقه فى هذا المؤتمر من أن يتقاضى بدل السفر الخاص به لأن المبلغين كانا فى استمارة واحدة رفض التوقيع عليها . .

وفى وزارة حسين سرى الائتلافية فى يوليو سنة ١٩٤٩ تبادل الوزراء إقامة المآدب بدأها الأستاذ فؤاد سراج الدين بدعوة جميع الوزراء ، ومن بين رجال السراى الأساتذة حسن يوسف وعبداللطيف طلعت وحسين حسني وكريم ثابت وتلاه دسوقى أباظة .

فدعى من تقدم ذكرهم عدا كريم ثابت ، ولما سئل عن تخلف بعض المدعوين أجاب بأن مرعى (بك) اعتذر لارتباطه بموعد وكريم ثابت لم أدعه لأنى لا أحبه « ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » وعندما جاوز طغيان الملك السابق المدى كان دسوقى أباظة ضمن الموقعين على عريضة المعارضة التى أرسلت إلى الملك ، ولما لم يكف عن مباذله واستهتاره أرسل دسوقى أباظة خطاباً إلى الملك فى مايو سنة ١٩٥٢ . وقدمه للدكتور حافظ عفيفى رئيس الديوان مطالباً فيه بوجوب المحافظة على سمعته

الشخصية ليكون قدوة للمصريين وأن يتحرى الشخصيات عند التعيين فى مجلس الشيوخ أو الوظائف الكبرى ، وأن ينتقل لمواساة المنكوبين والجرحى بمنطقة القنال ؟ وأن يخفف عن المستأجرين بالخاصة الملكية وأن يقيم من نفسه حارساً وحامياً للنزاهة ، وأن يطبق قانون من أين لك هذا ؟ ويكون له أثر رجعى وأن يقاوم الاستهتار والفساد .

وقد نشر جزء من هذا الخطاب بعدد (آخر ساعة) بتاريخ ٦ أغسطس سنة ١٩٥٢ .

. . . هذه بعض مواقف خالصة لدسوق أباظة وقفها بغير سلاح سوى سلاح الحق الذى شهره دائماً فى وجه الظلم ، والعسف ، والطغيان ، وهدفه الكرامة لهذه الأوطان ، لقد عاش لمصر ، ومات فى سبيل مصر ، وستبقى مثله العليا . منارة تهدى الأجيال إلى سواء السبيل .

وليس الذى يحيا الزمان بفعله مثل الذى يحيا وليس له غد

هكذا كانت صفاته وشمائله ، وهكذا كان هو ، كما عرفه الناس ، صلابة فى الحق ، وشجاعة فى الرأى ، وبسالة فى مواجهة الأحداث .

ألم وحسرة . . .

للأستاذ عبد الفتاح السناوى

شغلتنى الحياة بضعة أيام فلم أتشرف بلقائه ولم أسعد بالتحدث إليه . ثم ذهبت إلى منزله العامر وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى . متصوراً عتابه بأدبه الرفيع و بسمته العذبة . ووجهه المستبشر فأزداد خجلا من نفسى ومحاسبة لها . وأخيراً دخلت المنزل على استحياء وسألت عنه فقيل لى أنه مريض من خمسة أيام . فظننت أنها علة طارئة وستزول حتما بإذن الله . ومكثت أحضر للسؤال عنه كل مساء . وفى كل مرة أتلمس أخبار علته ومراحل تطورها إلى أن بشّر الطب بالشفاء فهدأت النفس . وزالت عن القلب مخاوفه وانجابت عن العين سحابة الألم . وعاد للمنزل بهاؤه وسارت الفرحة فى أنحائه تتنقّل بين زواره وأهله وأصدقائه إلى أن كان يوم الخميس — وليتنى ما عشت هذا اليوم — ولا أشرقت علىّ شمس شؤمه ، و بينما أنا جالس فى الصباح بإحدى غرف وزارة الأوقاف لعملٍ يتصل بوظيفتى كمفتش مالى فيها . إذا بى أقوم فجأة وأترك الغرفة من غير استئذان للجالسين معى وأخرج إلى الطريق مهرولاً منادياً أول سيارة تمر أمامى فأركبها إلى . . العباسية . . كى أطمئن على الوالد الروحي والمثل الأعلى لى فى كل شىء . فما كدت أشرف على المنزل حتى لمحت عليه الغلالة القاتمة . ووجدت كل من فيه وما فيه . يبكى صاحبه الراحل على غير ميعاد بدمع صادق . ولوعة قاتلة . وآهة مميتة . فقد كنا جميعاً غير مصدقين فقده كأنما الموت عليه محال .

ولن أستطيع أن أصف الباكين من حول نعشه وهم يحملون جثمانه الطاهر .

وقد كانوا منذ زمن قريب يحملونه فوق أعناقهم هاتفين بحياته من أجل إخلاصه لوطنه . واستماتته فى الدفاع عن استقلاله . غير مبال بسلطان المحتل وجبروته . هازئاً بمدافعه وحرابه . مضحياً ماله وصحته وراحته فى كل ما يعود على أمته بالرفعة والمجد والفخار .

كما لا أستطيع أن أصف مُنَاجَاتى له وهو « مسجىّ » والسيارة تقطع بنا الطريق إلى « غزالة » الذى كثيراً ما سرنا عليه وهو يحدثنى بروحه الوطنية الصادقة . عما للوطن لدى رجال السياسة من رسالة شاقة يجب عليهم أن يؤدوها له بذمة وأمانة ونزاهة حتى يصل إلى حريته التامة واستقلاله الصحيح .

وتا لله لقد عاشرت الفقيد الكريم أكثر من خمسة عشر عاماً قضيت منها ما يقرب من ست سنوات . أتشرف فيها بالعمل معه كسكرتير له ثم كمدير لمكتبه فى وزارتى المواصلات والأوقاف . فما وجدت له مثيلا فى حب الخير للخير نفسه . ولا وقعت عيناى على شبيه له يعشق الفضيلة لذاتها ويعمل المعروف لغيره وهو فرحٌ به متلذذ من أجله . وكأنما يعمله لنفسه ويُسْعِدُ به شخصَه . ولا سمعت أذناى بمن يدانيه فى كرم النفس وسخاء اليد وعفة الضمير ونزاهة الذمة . والترفع بنفسه عن الشبهات فما علقت ريبة بتصرف من تصرفاته . وما خضع لهوى فى حكمه ، ولذلك لا عجب أن أجمع على تقديره وإكباره أصدقاؤه وخصومه — أستغفر الله فما كان لفقيد الوطن العظيم — خصم بمعنى الخصومة البغيضة — وإنما كان له مخالف فى رأيه . ولا يمنع ذلك من أن تجمعها دائرة الحب المتبادل والتقدير والود من الجانبين .

كما لا عجب أن يبكيه كل من عرفه أو سمع به فهو لم يعش لنفسه ولا لأسرته وانما عاش لوطنه خاصة وللعروبة عامة وللانسانيه على وجه أشمل . فلقد سرى الحنان بين جوانحه يسرع لنجدة المضطر ويجيب إغاثة الملهوف بلا مَنّ . ويسدّ

أذنه عن تلقى الشكر لما فعله ، إذ لا شكر عنده على ما يعتبره واجباً عليه فى إنقاذ بائس و إسعاد محتاج ونصرة ضعيف ومعونة قاصد .

كما تملكته العفة والنزاهة وطهارة اليد فى كل عمل من أعماله . فما اتخذ الحكم مطية لأغراضه الخاصة ولا وسيلة لتحقيق مأرب شخصى له . فجده التليد خير حافز له فى البعد عن مواطن الشبهات . وأدبه الرفيع أكبر مشجع له فى أن يبذل سلطانه وجاهه لنفع بنى وطنه . و إعلاء كلمته . وتمسكه بدينه يحتّم عليه أن يراقب الله فى سره وعلنه . حتى يحشر عند لقاء ربه فى زمرة الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا .

و إنه لصعب على أن أتتبع فضائله وأسرد مكارمه وأتلو محامده . و إنه لمثلى أن يحيط بأعماله الباهرة . وصفاته النادرة . وتالله لو أن الوطنية والشجاعة والطهارة والأمانة والنزاهة والعفة والترفع عن الدنايا . وكل الصفات الفاضلة صورت بشراً سوياً لكانت هى « ابراهيم دسوقى أباظة » .

رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم لوطنه ودينه وللعروبة والإنسانية من خير عظيم . وأسبغ عليه رضوانه وغفرانه . وأمدنا بصبر من عنده حتى نستطيع أن نتحمل آلام فقده . إن ربى لسميع مجيب .

هذا الكتاب

بقلم

الناشر
أحمد عبد المجيد الغزالى

ربما كانت حياة الخالدين ، ملكاً لهم من ناحية خاصة ؛ كما هى ملك لبلادهم ومواطنيهم من النواحي العامة . . .

. . فهم يملكون فى حياتهم أن يحولوا بينهم ؛ وبين الحديث عن المثل العليا ؛ التى يعيشون فيها ؛ ويعيشون لها ، إنكاراً لذواتهم : وفناء فى مقدساتهم . .

ثم هم فى هذه الحياة ؛ ملك لوطنهم ومواطنيهم ؛ لا يدخرون وسعاً فى الاستجابة لأكرم المقاصد ، وأسمى الغايات . .

. . إنهم يعملون ما استطاعوا إلى العمل سبيلا ؛ غير منتظرين جزاء ولا شكوراً ؛ وغير حافلين برقابة غير رقابة الله والضمير .

أما حين يغادرون هذا العالم، فهم يخلفون وراءهم خلوداً ماثلا فى عمل كريم ، أو فى مأثرة نبيلة ، أو فى صنيع لم يكن يقصدون به إلا وجه الله . .

كلمة الناشر

وهنا ، وهم فى هذه الحياة الباقية . لا يملكون ، أن يحولوا — كما كانوا يحولون — فى حياتهم الفانية بينهم . وبين من يريد أن يتحدث عنهم . فيطيل الحديث . .

. . بهذه المثابة صدر هذا الكتاب ، وكان لا بد أن يصدر ، ليشير إلى وفاء ما يزال يضطرب فى أعماق كثير من الناس ، وليؤكد معرفة الجميل التى توشك أن تجافى حياة بعض الناس . . ثم ليصب فى سمع التاريخ قضايا ، كان لابد أن يسمعها التاريخ ؛ فكم افتات التاريخ على أقدار فطمرها ؛ وكم تجنى على بطولات فطواها ؛ ولكن كان كل ذلك إلى حين . . ثم انبعثت هذه الأقدار من مرقدها ، وانتفضت هذه البطولات من هجعتها ، ترمى من حولها زيف التاريخ ، وباطله ، وضلاله .

وصدر هذا الكتاب أيضاً ، حين لم يسمح السادة الكرام ؛ من الأئمة الأعلام ؛ فى السياسة ، والوطنية ، والخلق ، والأدب ، والشعر . . . صدر حين لم يسمح هؤلاء ، أن يدعوا اليوم الأول ، يمر من وراء هذا الموكب الخالد ؛ الذى أقل دسوق أباظة ؛ إلى الملأ الأعلى . إلا بعد أن سجلوا الصفحات الأولى ؛ من التاريخ الحق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . .

. . تكلم السياسيون ، وشيعوا فى دسوق أباظة سياسياً شريفاً ، مارس السياسة بوسائله الشريفة ، لأنه كان دائماً يستهدف غاياته الشريفة .

. . وتكلم الوطنيون ، وناجوا فى دسوق أباظة وطنياً صميما ، تخذته

الوطنية لحسابها ؛ منذ صباه الباكر ؛ فلم يقامر بها ؛ لأنه كانت فى دمه حساً وكرامة ؛ ولم تكن فى يديه سلعة . . وتجارة . .

. . وتكلم الأخلاقيون ، وودعوا فى دسوقى أباظة ، أخلاقياً كريماً ، تصون فى فضائل عزت فى زمنه ، لأنه اشتقها من ذات نفسه الكبيرة العالية ؛ التى لم تعرف السفوح ؛ وعاشت طوال حياتها فى القمم البعيدة ، وكانت دائماً تصعد إلى فوق . .

. . وتكلم العلماء ، وذهبت نفوسهم حسرات على دسوقى أباظة ، لأنهم فقدوا فيه ، حقيقة عليا ، من هذه الحقائق ، التى يسعدون بها حين يلامسونها ، ويمرحون فى ظلالها الوارفة الظليلة ، فهى تفىء عليهم حدباً ، وعوناً ، واطمئناناً ، فقد كان رحمه الله يتزود بالعلم ، ليواجه الجهل والجهالة . . ويتسلح بالحقيقة ليصارع الفرية والباطل .

. . وتكلم الأدباء حين غربت شمس دسوقى أباظة ، فأظلمت من بعده أجواء ، وآفاق ، كان هو إشراقها وروحها ، والريحان . .

. . لقد خلت على الأدباء ميادين ، كان هو حياتها ، وزحمتها ، ورائد الحركة والحياة فيها . .

وتلفتت فى يومه الفاجع نهضة هؤلاء الأدباء ، تلك النهضة التى خلقها ، ودعمها ، وأقامها ... تلفتت فألفت راعيها ، يولى وجهه نحو الله ، فآلمها أنه يعبر هذه الحياة إلى الشاطىء الآخر ، ويتركها على الشاطىء البعيد ، وراءه . . قد تظمأ فلا تجد الرى . . وكان هو الرى والزاد . .

. . أما الشعراء — فالفجيعة فجيعتهم — تلك التى ليس لها من دون الله كاشفة

. . أنبتت الأسباب بينهم ، وبين « أبى الشعراء » فأنبتت بينهم وبين ينابيع الحياة الدافقة ، التى وصلتهم بالعيش الكريم ، حيناً طويلا من الزمن ، امتد امتداد حياة الرجل الكريم . . وقد صعد فيه الموظف منهم إلى حقه ونبه فيه المغمور فى بيئته ، وعمل فيه الفارغ من العمل . . ثم استشرف رحمه الله . بكل هؤلاء آفاق النباهة والشهرة ، حتى أوفى بهم على الغاية ، وملأ بفنهم الدنيا . .

لقد انتهت بعد يوم الأربعين — إذ ذاك — حفلات التأبين .. انتهت فى القاهرة . . والأسكندرية .. والشرقية .. والصعيد . . ولم تنته مآتم الشعراء — على أبيهم — ولن تنتهى . . لأنها مآتم أقاموها بين جوانحهم الجريحة ، وقلوبهم الكسيرة ، وعيونهم الدامية .

. . وهيهات أن يندمل الجرح ، أو يجبر الكسر ؛ أو تجف الدماء .

. . مات «أبوالشعراء».. فاصطلى الشعراء نار اليتم ، التى لن تنطفىء ، بل ستظل تشب ، وتتوهج ، وتندلع .. لأن جمرتها تتقد من الألم الخالد ، الذى يثيره ذهاب الخالدين . .

. . ثم غير هؤلاء . . وهؤلاء بكى . . وصرخ . . وشق جيبه . . يوم أن استأثر جوار الله بموضوع هذا الكتاب . .

. . بكاه أصدقاؤه فى الرأى والوجهة ؛ كما بكاه خصومه فى المبدأ والسياسة .

بكاه الوجيه فى المدينة والفلاح وابنه فى القرية ؛ لأنه كان

قريباً من نفس هـذا . . وذاك . . فلم تنسه المدينة حق القرية عليه ، ولم يحجزه السادة عن العامة ؛ وأوساط الناس . .

. . ثم لأن كبرياء المجد والجاه ؛ لم تكن تعرف السبيل إلى نفسه أبداً ؛ . اللهم إلا فى حالة واحدة ؛ تحددها العبارة المشهورة . . الكبر على أهل الكبر صدقة .

.. أما بعد هذا .. وقبل هذا .. فقد كان رحمه الله الفضيلة الكبرى ، والخلق العظيم ، والمثالية الرفيعة .

. . هذه الأركان الضخمة ؛ التى قل أن يهبها الله ؛ لكثيرين من طراز الراحل الخالد ؛ إبراهيم دسوقى أباظة . . هذه الأركان ؛ هى التى أقام عليها الكاتب ؛ فى هـذا الكتاب كلمته ، والشاعر قصيدته ، والسياسى رأيه . .

فإلى كل من سجل وفاءه — فى زمن قل فيه الوفاء — الشكر أعمق الشكر .. ممن جمع ألوان هذا الوفاء فى هذا الكتاب . .

وما قصدت بإصداره ؛ إلا أن أطلع كل واحد من هؤلاء الصفوة الأخيار، على وفاء الآخر ؛ فليس أسعد للوفى من أن يتعرف إلى وفى . .

وإن كانوا هم فى الأغلب الأعم ؛ اجتمعوا يوماً ما ؛ تحت رعايته ؛ أو إخوته ، أو فضله . . فى البيت . أو الندوة . . أو الديوان . .

وليس الذى بين دفتى هذا الكتاب ؛ إلا قطرة من محيط ؛ قيل فيه ، فى حياته ؛ شعراً ونثراً .

. . ولست غالياً ولا مسرفاً ؛ حين أقرر أن الشعر ؛ الذى قاله كبار

شعراء ، هذا الجيل ؛ فى دسوق أباظه ؛ يربى على عشرة دواوين ؛ بل إننى أعرف ؛ شعراء من زملائى وإخوانى للواحد منهم ديوان كامل ، فى دسوق أباظة .

. . ولست مسرفاً ؛ حين أقرر أيضاً : أنه لم يوجد ، ولن يوجد رجل كدسوق أباظة ظفر بمثل ما ظفر به من روائع الشعر والأدب ، وآراء الساسة والعلماء ؛ على تعدد ألوانهم ؛ ومشاربهم . .

لقد كان إبراهيم أمة وحده . .

يرحمه الله . . ويتولى من بعده الأدباء والشعراء .

إنه نعم المولى ونعم الوكيل . . .

القاهرة فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٧٣
٣ يناير سنة ١٩٥٤

أحمد عبد المجيد الغزالى

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
حفلة أدباء العروبة	٣
حفلة الشرقية	٣١
حفلة اللجنة القومية	٦٢
حفلة نادى أبناء الشرقية بالأسكندرية	١٠٦
حفلة أسوان	١٣٥
حفلة الشبان المسلمين	١٤١
متفرقات	١٧٢
الصحافة	١٩٣
قصيدة الأستاذ فؤاد شاكر	٢٢٤
كلمة الدكتور ابراهيم سلامة	٢٢٦
كلمة الأستاذ سامح أباظة	٢٣١
كلمة الأستاذ عبد الفتاح الشناوى	٢٣٩
هذا الكتاب	٢٤٢